

مَجَالِدُ الْمُؤَرَّخِ

لِلْإِمَامِ
أَبِي الْفَرَجِ بْنِ الْجَوَازِي

حَقَّقَ
بِقِسْمِ التَّحْقِيقِ بِالْأَدَارِ

دَارُ الصَّحَابَةِ لِلتَّحْقِيقِ بِطَنْطَا

تَجَابَّ قَدَحِي دُرَّرًا بِعَيْنِ نَحْسٍ مَحْفُوظَةٍ
لِهَذَا قُلْتُ تَنْبِيهًا
حَقُّوَ الطَّبْعَ مُحْفُوظَةً

لدار **الصَّحَابَةِ لِلثَّلَاثِ** بطنطا

للنَّشْرِ - وَالتَّحْقِيقِ - وَالتَّوْزِيعِ

المُرَاسَلَاتُ:

طنطاش المديرية - أَمَامَ مَحْطَةِ بَنْزِينِ التَّعَاوُنِ

ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

تقديم بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله :

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا .

من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (*) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (**).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (***) .

وبعد :

فهذه صفحات من تراثنا النفيس ، نحن في حاجة إليها في خضم هذه الأفكار المستوردة ، وتلك المفاهيم الغريبة عن ديننا ، البعيدة كل البعد عن أخلاق أهل ديارنا .

(*) سورة آل عمران : ١٠٢ .

(**) سورة النساء : ١ .

(***) سورة الأحزاب : ٧٠ - ٧١ .

فالحمد لله الذي وفقني إلى إخراجها إلى عالم النور ، بعد أن ظلت حبيسة
في عالم المخطوطات لقرونٍ طوال .

« مقدمة التحقيق »

نبذة عن عصر ابن الجوزى :

عاش ابن الجوزى فى القرن السادس الهجرى وعاصر ظواهر اجتماعية متعددة فى بغداد فى هذا الوقت ومن ضمن هذه الظواهر التى عاصرها ابن الجوزى ظاهرة العزلة واللجوء إلى المساجد والجبال بسبب عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى الذى اتسم به هذا العصر مما أدى إلى اتساع التيار الصوفى وانتشاره فى المجتمع فى هذه الفترة وكأنها حركة احتجاج سلبى على تجاوزات السلطة فى ذلك العصر حيث انحصرت نشاطات هؤلاء المتصوفة على شعائر معينة وطقوس مختلفة فكانت هذه التيارات المنعزلة والمنغلقة بمثابة رد فعل على تيارات الفساد والمجون وعدم الاستقرار فى هذا العصر .

نشأ ابن الجوزى فى هذا العصر وتأثر به فى بداية حياته فقد سلك طريق العباد والزهاد فترة من حياته العملية كما أشار هو بنفسه إلى ذلك بقوله : « كنت فى بداية الصبوة قد التمتست طريق الزهاد بإدامة الصلاة والصوم وحُببت لى الخلوة » وهذا يفسر لنا بعض الأشياء التى ذكرها عن المتصوفة وكراماتهم وخوارقهم والتى ربما توهم القارئ بأن ابن الجوزى يؤيد الصوفية والمتصوفين ويقرهم على ما هم فيه من بدع وضلالات وهذا محال من ابن الجوزى صاحب السيف البتار المسلول على أباطيل المتصوفة والمشعوذين ، تجد ذلك فى كتابه القيم « تلبس إبليس » الذى خصص فيه جزءاً كبيراً لكشف ألاعيبهم وبيان تلبس إبليس عليهم فى عبادتهم وانخداعهم بذلك فى أسلوب علمى شرعى يدل على تمكن ووعى تام بالأدلة العقلية والعقلية التى تفضح أباطيلهم .

* عرض الكتاب :

وبعد هذه المقدمة والتي أرجو أن أكون قد ألفت من خلالها بعض الضوء على العصر الذى عاش فيه ابن الجوزى وتأثيره عليه أود أن أقوم بعرض موجز للكتاب الذى بين يديك - أخى القارىء - أعنى كتاب «بحر الدموع» . وهو كتاب فى المواعظ التى اشتهر بها ابن الجوزى فى عصره أيما اشتهار ولم يكن هناك فى عصره من يضارعه فى تلك الموهبة الوعظية التى رزقه الله إياها حتى قيل عن مجالسه الوعظية الكثير . والكثير مما يضيق هذا المقام عن ذكره فإذا أردت مزيداً من التفصيل فارجع إليها فى كتب التراجم التى تحدثت عنه مثل : «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، و «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب و «البداية والنهاية» لابن كثير ، وستجد بغيتك إن شاء الله .

والكتاب الذى بين يديك - أخى القارىء - تحدث فيه ابن الجوزى عن بعض المعاصى كترك الصلاة والتعامل بالربا ومعاقرة الخمر والظلم وغير ذلك من الذنوب والمعاصى محذراً من اقترافها ومرغباً فى الابتعاد عنها والتحلى بأضدادها حتى يكون الإنسان طاهراً من الذنوب سائراً كما يريد الله تبارك وتعالى مجتنباً غواية الشيطان ، ويسوق فى ثنايا ذلك حكايات عن توبة العاصين وندمهم وسكهم البحار من الدموع على ذنوب اقترفوها ويصور لنا كيف أنهم يطلقون الزفرات والآهات خوفاً من ملاقة رب الأرض والسماوات ، ويألها من دموع ..

إنها دموع الخشية ، دموع الخوف من الجليل التى وصفت الله بها أوليائه فقال تعالى : ﴿ وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمْ خَشْيَةً ﴾ أولئك الذين ﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ أولئك الذين فازوا برضوان الله جزاء خشيتهم له وطاعتهم لله ورسوله .

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ . وهكذا ينقلنا ابن الجوزى من فصل إلى فصل ذاكراً فى ثنايا كلامه عن

الترهيب من المعاصي - قصصاً عن الصالحين والتائبين لعل توبتهم تكون ترغيباً لكل شارد وكل منحرف عن الطريق المستقيم الذى رسمه لنا رب العالمين فى كتابه الكريم ورسوله - ﷺ - إلى يوم الدين .

والكتاب عبارة عن مقدمة واثنين وثلاثين فصلاً .

ففى المقدمة :

يتحدث عن عظيم قدرة الله وعظيم فضله ، وعن نعمه التى لا تعد ولا تُحصى ، تلك النعم التى توجب شكره سبحانه وذكره آناء الليل وأطراف النهار ، وقد خصص غالبية المقدمة للحديث عن الذكر وفضله وساق أحاديث وآثار متعددة فى ذلك الموضوع ، وعقب ذلك حذر من اقتراف الذنوب والتمادى فى العصيان حاثاً ابن آدم على المسارعة إلى التوبة وترك المعاصي واجتناب الشهوات ، ثم ساق حكاية عن سوء خاتمة مذنب تمادى فى اقتراف الذنوب والمعاصي وبعد ذلك دعا إلى الفرار إلى الله ، ورغب فى التوبة وقيام الليل ودعا العبد إلى عدم اليأس والقنوط من رحمة الله لأن رحمته واسعة وفضله عظيم .

وفى الفصل الأول :

دعا المسلم إلى الانتباه من الغفلة عن العمل ليوم الحساب موجهاً اللوم له على إثاره الفانى على الباقي وذكر بعض الأحاديث التى تحث على البكاء من خشية الله وتبين فضله ثم تحذره من خداع الدنيا وغرورها ، وحذر من الغفلة داعياً العبد إلى العودة إلى الله .

وفى الفصل الثانى :

استهل هذا الفصل بالحديث عن عاقبة التسويف والمماطلة محذراً من هجوم الأجل أعقبه بذكر أثر عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - عن عاقبة المعاصي ثم ساق حكاية لذى النون المصرى مع عابده وابنه ليبين من خلالها بعض الكرامات للصالحين لكن والله أعلم أجد فيها كثيراً من المخالفات الشرعية علقت عليها فى حينها فافقرأ هذا التعليق فى مكانه بالهامش رقم (٦٢) إن شئت .

وفي الفصل الثالث :

بدأ بالتحذير من الإصرار على الخطايا والعصيان داعياً العبد إلى أن ينتفع بالمواعظ وأن يرفض الدنيا لأن رزقه لا بد أن يأتيه ، كما قدره الله له ، فيبقى أن يثق في رزق الله له ويبادر إلى التوبة وختم الفصل بذكر قصة إسلام معروف الكرخي وأسرته .

وفي الفصل الرابع :

حذر فيه الإنسان من الموت قائلاً له إن الموت لبالمرصاد وجعل ذلك مدخلاً ليتكلم بعد ذلك عن تواضع العابدين وبين للإنسان عاقبة غفلته موضحاً له أن هناك يوماً للحساب قريب وسوف يكون الحساب فيه شديد إلا على الصالحين .

وفي الفصل الخامس :

تحدث فيه عن عاقبة حب الدنيا والاعتزاز بها وحث العبد على محاولة كبح جماح نفسه وأن يتعظ بالمصائب التي تحدث من حوله ، وأن يسارع بالاستغفار لأن العمر محدود والدنيا دار تكليف وامتحان لا دار جزاء ، ثم دعاه إلى كثرة سكب الدموع لعلها تغسل الخطايا وتمحوها .

وفي الفصل السادس :

حث في بدايته على الاستعداد للآخرة بالتوبة والأعمال الصالحة موضحاً فيها من هو المفلس في الآخرة ، كما عرفه رسول الله - ﷺ - وختم الفصل بذكر قصة للحسن البصري عن البكاء من خشية الله ذكر فيها الحسن قصة عابدة وابنتها ماتا من شدة الخوف من الله .

وفي الفصل السابع :

تحدث فيه عن النظر إلى المحرمات محذراً ابن آدم من عاقبته وحتمها بذكر قصة عبد تائب وما حدث له بعد موته من كرامات .

وفي الفصل الثامن :

حذر فيه من قلة الزاد وبعد السفر وحذر فيه من الغرور أعقبها بذكر أبيات رائعة عن الموت وما يحدث للإنسان فيه ثم ذكر حديث عن النبي - ﷺ - يتحدث فيه عما يحدث للإنسان بعد خروج روحه .

وفي الفصل التاسع :

بدأه بذكر مراحل السفر في الدنيا ، وقسمها إلى ستة أسفار في عمر الإنسان محذراً له من الدنيا وتقلبها .

وفي الفصل العاشر :

ذكر فيه قصة لذي النون تحث على تكرار التوبة ثم دعا العبد إلى مرافقة التائبين وملازمتهم في عبادتهم وبكائهم وخشيتهم لله عز وجل .

وفي الفصل الحادى عشر :

بدأه بتوضيح أن العمر أمانة يجب المحافظة عليه وعدم شغله إلا بما يرضى الله سبحانه ، وحث فيه على ملازمة بابه ، لعله يتفضل بالرحمة ثم ذكر قصة لعبد يبحث فيها على العفة عن أكل الحرام ولو كان يسيراً ثم انتقل إلى بيان أثر الطاعة في وجوه الصالحين ثم تكلم عن أقسام الرجاء ومجاهدة المحبين .

ثم انتقل مباشرة إلى الفصل الرابع عشر دون ذكر للفصل الثاني عشر والثالث عشر فلعله سقط من الناسخ والله أعلم .
وفي الرابع عشر :

حث فيه على ملازمة التائبين ثم بيّن أحوال الذاكرين وبين من هم أجباء الشيطان ثم ذكر قصة ابتلاء فقيه بغدادى بالنظرة والعشق .

وفي الفصل الخامس عشر :

نبه الإنسان فيه إلى أن الشيب نذير باقتراب الأحل وأن عليه أن يخرج من ضلاله وحيرته إلى نور الإيمان والصلاح والهدى . فعليك أخى القارىء أن تتهز فرصة التنبأ قبل أن يأتى نذير الشيب .

وفي الفصل السادس عشر :

حث فيه على التزود قبل الرحيل بالطاعات وحذر فيه من التجارة الخاسرة وهى تجارة المعاصى كما نبه على تقلب الأيام ، وحذر من الفتنة فى الدين .

وفي الفصل السابع عشر :

حث فيه على التوبة من الذنوب ، وحذر من يكثر من الذنوب ولا يتوب من عاقبة العصيان ثم ذكر قصة عن زهد سلمان الفارسى - رضى الله عنه - فى الدنيا .

وفي الفصل الثامن عشر :

عاد للحديث مرة أخرى عن الغفلة وعن إنذار الشيب ودعا العبد إلى محاسبة نفسه قبل أن يحاسب وحذر من إيثار الدنيا على الآخرة ، وذكر أمثلة لإيثار الآخرة والزهد فى الدنيا ، ثم ذكر قصة توضح علامة محبة الله تعالى ..

وفى الفصل التاسع عشر :

حث فيه على التقوى وحذر فيه من العصيان ، وأوضح أن مهر الآخرة يسير وهو عبارة عن قلب مخلص ولسان ذاكراً ثم تحدث عن محبة الله عند الأنبياء والصالحين وبقية الفصل تكلم فيه عن المحبة وعن حقيقتها وفضلها .

الفصل العشرون :

عاد مرة أخرى إلى الحديث عن العمله وحذر فيه من تناقص العمر وقلة العمل وكفران النعمة ، ومالك الملك لا يغيب عنه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

الفصل الحادى والعشرون :

أشتمل على عدة موضوعات منها حسن الظن بالله ، والمراقبة والمحاسبة وعن أهل المحبة ، وعلامة الأولياء .

الفصل الثانى والعشرون :

أجاب فيه عن سؤال كيف يتطهر الإنسان من ذنوبه ، وبين فيه أيضاً فضيلة الاعتذار إلى الله من خلال قصة ذكرها .. خلص من ذلك إلى دعوة الناس إلى المبادرة إلى الصلح مع الله وحثهم على أن يجتهدوا ويجهتدوا قبل الرحيل .

الفصل الثالث والعشرون :

أشتمله بالحديث عن عاقبة التسويف وحذر فيه من هجوم الأجل وقيام الساعة طالباً من الإنسان أن يأخذ التقوى سبيلاً إلى رضوان الله سبحانه ثم أوضح عاقبة ترك الشهوة وتحدث عن الأنس بالله وبجبه .

الفصل الرابع والعشرون :

تحدث عن أهل العزائم ومسارعتهم إلى التزود قبل الرحيل بالاجتهاد في الطاعة والإخلاص والبكاء من خشيته وسرعة التوبة إليه ثم ذكر بعض الكرامات لبعض الصالحين وأعقبها بالحديث عن إفلاس الطاعة ثم ذكر بعض كرامات الصالحين أيضاً .

الفصل الخامس والعشرون :

عاتب فيه الإنسان على تفريطه في عمره بتضييعه في اللهو واللعب وإتيان الشهوات ثم ذكر قصة شيقة لحذيفة عندما سأله عمر كيف أصبت يا حذيفة ؟ ورد عليه ردّاً تعجب منه عمر وغضب وهم أن يبطش به ففسره له على بن أوى طالب . وختم الفصل بالحديث عن الخوف من الله تعالى وشدة الخشية له والهروب من الدنيا وهجران البشر .

الفصل السادس والعشرون :

تحدث في بدايته عن التائبين ثم وجّه حديثه إلى الفقراء والفتيان ناصحاً إياهم ومحبباً إليهم سلوك طريق التائبين الذين يقومون الليل لا يفترون ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن فضيلة الصف الأول في صلاة الجماعة ، وفضل حضور تكبيرة الإحرام ، من خلال قصة ذكرها ابن عباس لعلى بن أوى طالب مع رسول الله ﷺ - ، ثم ذكر قصة أخرى من دلائل نبوته - ﷺ - .

الفصل السابع والعشرون :

أفرده للحديث عن كبيرة من الكبائر ألا وهي كبيرة الزنا بين فيه عواقبه محذراً من مقدماته مبيناً أن النساء حبايل الشيطان ثم رغب في الزواج الذى هو السبيل الوحيد لكبح الشهوة ، والوقاية من الزنا وجذر أيضاً من الأسباب التى تؤدى إليه وخاصة النظر .

الفصل الثامن والعشرون :

أفردته للحديث عن فضيلة الصمت وحفظ اللسان محذراً من تتبع عورات الناس ومرغباً في كثرة الصمت ذاكراً بعض القصص لبعض الصحابة والصالحين ترغب في الصمت .

الفصل التاسع والعشرون :

بدأه بالحديث عن الغيبة وذمها والتحذير منها ثم تلاها بالحديث عن التهمة وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة ، ثم أعقبها بذكر وصية من أعرابية لابنها تعتبر من أعظم الوصايا . فعليك أختي المسلم بتدبرها ، وتدبر معانيها لعل الله ينفعك بها ثم أخذ ينتقل من الحديث عن الغيبة إلى التهمة محذراً منها ومن عواقبها .

الفصل الثلاثون :

حذر فيه أيضاً من الغيبة حتى ولو كانت بالقلب مبيناً معنى الغيبة ومعنى التهمة والفرق بينهما ثم ختم الفصل بوصية من الرسول - ﷺ - لمعاذ - رضى الله عنه - .

الفصل الحادى والثلاثون :

حذر فيه من ظلم المسلم لأخيه المسلم ثم عاد مرة أخرى للحديث عن الصمت وفضائله وخطورة اللسان على الإنسان حاثاً فيه المسلم ألا يقول إلا خيراً ، وانتقل بعد ذلك للحديث عن إعجاب المرء بنفسه محذراً من ذلك وحذر أيضاً من القنوط واليأس من رحمة الله ثم أتبع ذلك بذكر حوار جميل بين بعض النحاة وواعظ عن (فضل فصاحة الأفعال على فصاحة الأقوال) وتبع ذلك بالحديث عن فضل التواضع وفضل العفو وكظم الغيظ .

الفصل الثاني والثلاثون :

بدأه بالحديث عن الربا ، ورهب من التعامل به ، وحذر كذلك من أكل الحرام بكل صوره وأشكاله مبيناً أن طلب الحلال فرض على كل مسلم مبيناً عاقبة أكل الحرام وعاقبة التورع كذلك عن أكل الحرام مبيناً أن الحرام يعمى البصيرة ، ثم حذر من الخيانة في الميزان بتطفيفه وحذر أيضاً من السرقة والخيانة والغش ، وشرب الخمر مبيناً آثار شرب الخمر على الإنسان ، ثم انتقل إلى الحديث عن تارك الصلاة ذاكراً أثراً يبين عواقب ترك الصلاة في الدنيا ، وعند الموت وفي القبر ، وفي الآخرة ، ثم ختم الكتاب بالحديث عن حكم تارك الصلاة ذاكراً كثيراً من الآثار والأخبار والأقوال التي ترهب ترهيباً شديداً من ترك الصلاة .

وهكذا يمضى بنا ابن الجوزى فى كتابه هذا من بدايته إلى نهايته مازجاً مواعظه بالعبرات والدموع للذين عرفوا قدرة الله عليهم فذرفوا الدموع أنهاراً خوفاً منه ، وعلموا رحمة الله فرفعوا أكف الضراعة والإنابة إليه ، سائلين إياه - عز وجل - العفو والمغفرة والرضا .

فاللهم اجعلنا من التائبين العابدين الخاشعين إنك نعم المولى ونعم المعين .
آمين .

ترجمة ابن الجوزي

نسبه :

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله (عبد الله) بن حمادي
ابن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد
ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق .

كنيته ولقبه :

يكنى بابن الجوزي وقد أجمعت على ذلك غالبية المصادر سوى بروكلمان
الذي كناه بأبي الفضائل .

ويلقب بجمال الدين ، ويعرف بالحافظ ، والواعظ والفقير والإمام
والعلامة .

نسبه :

قيل إن نسبة الجوزي ترجع إلى حد من أجداده يعرف بمجهر الجوزي ، وقيل
نسبة إلى فرضة نهر بالبصرة ، وقيل إلى محلة بمدينة البصرة تدعى محلة الجوزي ،
وقيل نسبة إلى بيع الجوز ، وقيل غير ذلك الكثير ، الكثير .

مولده :

ولد ابن الجوزي بمدينة بغداد في درب حبيب ولذا ينسب إلى بغداد فقيل
البغدادى .

قد اختلف المترجمون اختلافاً كبيراً في تاريخ ولادته وغالبية المصادر
تضعه ما بين عامي ٥٠٨ هـ ، ٥١٠ هـ تقريباً . وترجح أنه ولد سنة ٥١٠ هـ فقد

ذكر عن سبط ابن الجوزى أنه سأل جده عن ذلك فقال ما أحققه لكن يكون تقريباً في سنة ٥١٠ هـ . اهـ

أسرته :

تقلب على أسرته التجارة ومنها تجارة النحاس ، ولم يعرف عن أحد من أجداده أنه قد امتحن العلم ، وتوفي والده ولم يكن لابن الجوزى سوى ثلاثة سنين ، وبقيت والدته على قيد الحياة حيث سبقها هو إلى الموت بأيام سنة ٥٩٧ هـ .

تربيته ونشأته :

وجه ابن الجوزى منذ صغره توجيهاً علمياً وقد كان لعمه وعمته الفضل الأكبر في تعريفه بشيوخه الذين أخذ عنهم العلم في صغره ، وأصبح لذلك أثراً كبيراً في نمو شخصيته العلمية وانقطاعه إلى الدروس وحضوره مجالس العلم وترك ما كان أترابه يلهون به من اللعب للتفرغ للحفظ والتوغل في طريق العلم وقد نشأ وهو صبي ديناً مجموعاً على نفسه لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيه شبهة .

وكانت مدينة بغداد في هذا العصر زاخرة بالمعاهد والعلماء ولم تفتقر فيها الحركة العلمية إطلاقاً فساعد ذلك ابن الجوزى على الاختلاف إلى شيوخه في وقت مبكر من حياته وقد أخذ علوم اللغة والأدب والحديث والتفسير وجد في التحصيل والدراسة حتى أصبح عالم بغداد وخطيبها ومحدثها .

ثناء العلماء عليه :

قال عنه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» : وله في كل علم مشاركة لكنه كان في التفسير من الأعيان وفي الحديث من الحفاظ وفي التاريخ من المتوسعين ولديه فقه كاف وأما السجع الوعظي فله فيه ملكة قوية . اهـ

وقال عنه نكلسن « كان كاتباً غزير الإنتاج في كل فرع من فروع الأدب على وجه التقريب » . اهـ

منزلته في مجال الوعظ :

كان الوعظ وعقد مجالسه مما اهتم به ابن الجوزي أعظم الاهتمام حيث كان ذلك سبيله للاتصال بالجمهور وتوجيهه وتربيته تربية دينية نظرياً وعملياً وقد لاقت مجالسه الوعظية أصداء واسعة في الوسط البغدادي في ذلك الوقت قل نظيرها ، وقد حول بعض دروسه الوعظية إلى كتب مستقلة مثل تفسيره « زاد المسير في علم التفسير » الذي أكد مكانته البارزة بين أقرانه حتى وصف ابن كثير مكانته الوعظية بقوله « وبالجملة كان أستاذاً فرداً في الوعظ وغيره وقد كان فيه بهاء وترفع في نفسه وإعجاب وسمو بنفسه أكثر من مقامه » اهـ .

وقال عنه ابن رجب الحنبلي :

إن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير ولم يسمع بمثلاً .

وقال عنه ابن جبير صاحب « الرحلة » ما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يعطى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أعطى هذا الرجل اهـ .

وقد قيل عن مجالسه الوعظية الكثير والكثير حتى قدر عدد حضور مجلسه بمائة ألف شخص وقال هو عنه : « لقد تاب في مجالسي أكثر من مائة ألف » اهـ .

شيوخه :

ذكر الدكتور حسن عيسى على الحكيم في كتابه « ابن الجوزي » ذكر

لابن الجوزي من الشيوخ ١٤٣ شيخاً أهمهم :

- ١- أبو القاسم هبة الله بن محمد (ابن الحصين) الشيباني .
- ٢- أبو منصور عبد الرحمن محمد القزاز الشيباني البغدادي .
- ٣- أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري البصري البغدادي .
- ٤- أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي البغدادي .
- ٥- أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي البغدادي .
- ٦- أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد السلامي البغدادي .

تلاميذه :

ذكر الأستاذ / حسن عيسى على الحكيم في كتابه « ابن الجوزي » ما يقرب من ٧٨ تلميذاً أهمهم :

- ١- أبو عبدالله محمد بن يحيى الواسطي (المعروف بابن الديتتي) .
- ٢- أبو عبدالله محمد بن محمود بن الحسن البغدادي (المعروف بابن النجار) .
- ٣- أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي البغدادي الدمشقي (المعروف بسبط ابن الجوزي) .

مصنفاته وآثاره :

[١] له في القرآن وعلومه ما يقرب من (٢٧) كتاباً منها :
١- زاد المسير في علم التفسير . ٢- أسباب النزول . ٣- عيون علوم القراءات .

[٢] له في الحديث ورجاله وعلومه ما يقرب من ٤٢ كتاباً ومنها :
١- أربعون حديثاً في فضائل الأعمال . ٢- أسماء الضعفاء والمتروكين .
٣- الموضوعات .

[٣] له في علم الفقه وأصوله ٥٤ كتاباً منها :
١- أحكام النساء . ٢- عمدة الدلائل في مشهور المسائل . ٣- المذهب الأحمد في فقه الإمام أحمد .

[٤] له في علوم اللغة والأدب ٢٠ كتاباً منها :
١- تذكرة الأديب في اللغة . ٢- تقويم اللسان . ٣- المختار من الأشعار .

[٥] له في التاريخ والسير والمناقب ٩٢ كتاباً منها :
١- أنيس الجليس . ٢- تلبس إبليس . ٣- مولد النبي - ﷺ - .

[٦] له في علوم التربية والأخلاق والمواعظ ٤٣ كتاباً منها :

- ١- رؤوس القوارير (وقد نشرته دار الصحابة للتراث) .
- ٢- اللطائف في الوعظ (وقد نشرته دار الصحابة للتراث) .
- ٣- بحر الدموع (وهو الكتاب الذي بين يديك الآن) .

[٧] له في علوم الطب والحياة ١٠ كتب منها :

- ١- الطب الروحاني . ٢- لقط المنافع أو اللقط . ٣- منافع الطب .

وفاته :

كانت وفاة ابن الجوزي على أثر مرض لم يمض سوى خمسة أيام وعلى أثر ذلك فارق الحياة في ليلة الجمعة الثاني عشر من شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ في مدينة بغداد بداره الواقعة في قطفتا وحملت جنازته على رؤوس الناس إلى مقبرة باب حرب فدفن عند أبيه وكان يوماً مشهوداً لكثرة مشيعيه حتى أفطر جماعة من شدة الزحام وحرارة الجو وقد ترك موته فراغاً كبيراً في نفوس البغداديين فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين آمين .

لمزيد من التفصيل عن ترجمته : انظر

- ١ - كتاب « ابن الجوزي » للدكتور حسن عيسى على الحكيم .
- ٢ - « وفيات الأعيان » لابن خلكان .
- ٣ - « البداية والنهاية » لابن كثير .
- ٤ - « الأعلام » للزركلي .
- ٥ - « ذيل طبقات الحنابلة » لابن رجب .
- ٦ - دائرة المعارف الإسلامية (١٢٥/١) .

عملی فی الكتاب

- ١- إصلاح ما يمكن إصلاحه من أخطاء ربما يكون قد وقع فيها الناسخ
- ٢- تدارك السقط كلما أمكن ذلك ووضعه بين معكوفين .
- ٣- عزو الآيات القرآنية إلى أماكنها بالكتاب العزيز .
- ٤- تخریج الأحادیث النبوية بعزوها إلى مواضعها في كتب الحديث مع ذكر ما قاله أهل المصطلح - كلما أمكن - في درجة الحديث .
- ٥- عمل مقدمة تشمل التعريف بالمصنف ومولده ونشأته ومن روى عنهم ومكانته في عصره وثناء العلماء عليه وأهم الآثار والمصنفات التي تركها .
- ٦- ضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط لتسهيل للقارئ مهمته .
- ٧- توضيح بعض الكلمات التي قد تبدو صعبة وذلك بالرجوع إلى أصل هذه الكلمات في معاجم اللغة مثل لسان العرب لابن منظور والمعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .
- ٨- عمل بعض العناوين التوضيحية لتسهيل للقارئ مهمته ووضعها بين معكوفتين .

تم التحقيق بالدار بإشراف قسم التحقيق

هذا كتاب بحر
الدموع تليق العالم
العلامة أبو محمد
عبد الرحمن ابن علي
الجوزي رحمه
الله تعالى ورضي
عنه يرحمه
الله
امين

الصفحة الأولى من المخطوطة

لغروبك وتزويج عورتي فانا وجميع ما في من أجور
 والسود والولدان والقصور حرام عليك
 أبدا المديين أم كمد كتاب بحر الدروع والمكر لله
 واليه الرجوع والفتاة والسلام
 على مولانا محمد زكي المجيد
 والمقام المرفوع
 وعلى آله وصحبه
 أجمعين
 اللهم صل على
 محمد
 وآل محمد

وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكر في المذكرات
 وغفل عن ذكره الغافلون وغفل عنه الكاتب
 ومشايقه ولاخوانه ولجميع المسلمين والمحمدية
 العلية
 آمين
 آمين

الصفحة الأخيرة من المخطوطة

بداية الكتاب :

قال الشيخ الفقيه الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي - رحمه الله تعالى - ورضي الله عنه بمنه وكرمه :

[مقدمة المصنف] :

الحمد لله الذي اخترع الأشياء بلطيف لطائف قدرته ، فأحسن فيما اخترع ، وأبدع الموجودات على غير مثال فلا شريك له فيما ابتدع ، ألف بين اللطيف والكثيف من أعداد آحاد الجواهر وجمع ، ليقر له بالوحدانية ويستدل على وجود الصانع بما صنع ، فالعارفون واقفون تحت مطارق اللطائف بأفنية أبنية ألوية الورع ، ليس لقلوبهم مجال في ميدان الكبرياء على أن حماه رحب متسع ، فهم إن مالوا إلى نيل مظلومهم ردهم قهر الهيبة إلى مفاوز الهيبة والجزع ، وإن همَّوا بالذهاب عن الباب عاقهم قيود الغيب فعزَّ عليهم الرجوع وامتنع .

فمنهم كاتم محبته قد لف شكوا لسانه وقطع ومنهم من باخ يقول إذا لام عذول ذر الملام ودع أليس قلبي على محبته وكيف يخفى ما فيه وهو قطع أين المحبون والمحب لهم وأين من شئت الهوى وجمع لهم عيون تبكي فواعجباً لجن صب إذا هما^(١) ودمع قد حرموا النوم والمتيم^(٢) لا يهوى هجوعاً إذا الخلى هجع بالباب ييكون والبكا إذا كان خليا من النفاق نفع تشفع فيهم دموعهم وإذا شُفع دمع المتيمين شفع

١ - هما : أى سال أو سقط - والمعنى اهتمرت دموعه وسالت -

[المعجم الوسيط (٩٩٦/٢)]

٢ - المتيم : المحب شديد الحب الذى ملكه الحب واستعبده [المعجم الوسيط (٩٢/١)]

فبينما هم حيارى من الخوف والجزع ، سكارى من شراب اليأس والطمع ، إذ يزغ عليهم قمر السعادة من فلك الإرادة فى جوانب قلوبهم ولمع ، وأفيض عليهم من ملايس سنادس الاستثناس والبسط (٣) خلع (٤) ، لكل خليفة غلمان من الإيمان ما زين بهما بشر إلا ارتفع ، رغم العلم الأيمن ﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِثًا الْحُسْنَى﴾ (٥) ، ورغم العلم الأيسر ﴿لَا يَخْزُلُهُمُ الْفَرْغُ﴾ (٦) ، فسبحان من يتوب على الجانى ويقبل العاصى إذا تاب إليه ورجع .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أقر له بالوحدانية ، واعتترف له بالربوبية والألوهية ولعز جلاله وجماله قد خضع ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى سن السنن وبين الفرائض وشرع الأعياد والجمعة ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما تفجر الماء ونبع ، وظهر فى ميدان سطح الماء نجم وطلع ، وسلم تسليماً كثيراً .

[الحث على ذكر الله]

قال الله العظيم : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٧) .

وفى الخبر عن رسول الله - ﷺ - : أنه قال قال الله تبارك وتعالى : «أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني فى ملأ ذكرته فى ملأ خير

٣- البسط : جمع بساط : وهو نوع من الفراش ينسج من الصوف ونحوه
[الوسيط (٥٦/١)]

٤- الخلع : مفردا تحلعة وهى ما تحلعه من الثياب ونحوه بمعنى اللبس وأعطى
[الوسيط (٢٥٠/١)]

٥- سورة الأنبياء : الآية ١٠١ .

٦- سورة الأنبياء : الآية ١٠٣ .

٧- سورة الذاريات : الآية ٥٥ .

منه ، وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن تقرب إليّ شبراً تقربت منه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتاني مشياً أتيت هرولة» (٨) .

وعن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ - : « من عجز منكم عن الليل أن يكابده ، وجبن عن العدو أن يقاتله ويبخل بالمال أن ينفقه فليكثر ذكر الله تعالى » (٩) .

وقال جابر بن عبدالله -رضي الله عنه- : خرج علينا رسول الله ﷺ - ونحن في مسجد المدينة فقال : « إن لله سرايا من الملائكة تجول وتقف في مجالس الذكر في الأرض فإذا رأيتهم رياض الجنة فارتعوا قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : مجالس الذكر اغدوا وروحوا في ذكر الله تعالى ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله عنده فإن الله ينزل العبد حيث أنزله من نفسه » (١٠) .

٨- حديث صحيح : رواه البخاري (١٤٨/٩) ، ومسلم (٢٦٧٥) ، وأحمد (٢٥١/٢) ، والترمذي (٣٦٠٣) ، وابن ماجة (٣٨٢٢) ، وابن أبي الدنيا في حسن الظن (ص/١٨) رقم (٣) .

٩- حديث ضعيف : رواه الطبراني في الكبير (٨٤/١١) ح (١١١٢١) ، والشجري في أماليه (٢٥٦/١) ، والبيهقي في الشعب (٤٠٤/٢) ، (٤٠٥) .

١٠- حديث ضعيف : رواه الحاكم في المستدرک (٤٩٤/١) ، وعبد بن حميد في المنتخب (ص/٣٣٣) رقم (١١٠٧) ، والبيهقي في الشعب (٤٢٤/٢) ح (٥٢٥) ، وأبو يعلى في مسنده (٣٩٠/٣) ، (٣٩١) .

وذكره الهيثمي في الجمع (٧٧/١٠) وقال : رواه أبو يعلى والبخاري والطبراني في الأوسط وفيه عمر بن عبدالله مولى عفرة وقد وثقه غير واحد وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح .

وصححه الحاكم (٤٩٤/١) ، (٤٩٥) وتعقبه الذهبي بقوله : عمر ضعيف .

وقال عبد الله بن [بسر] ^(١١) أتى رجل إلى رسول الله - ﷺ - فقال :
يا رسول الله : إن شرائع الإسلام كثرت عليّ فأمرني بشيء أثبتت به فقال : « لا
يزال لسانك رطباً من ذكر الله تعالى » ^(١٢) .

وفي الخبر عن رسول الله - ﷺ - ^(٥) أنه قال : « ما من يومٍ إلا ويقاع
الأرض تنادى بعضها بعضاً يا جابر هل جاز عليك النوم ذاكراً لله تعالى » ^(١٣) .

إخواني :

إذا صعدت الملائكة من مجالس الذكر قال المولى جل وعلا ياملائكتي أين
كنتم وهو أعلم فيقولون : يارب أنت أعلم كنا عند عبادك يسبحونك ويقدمونك
ويعظمونك ويمجدونك ويسألونك ويستغفرونك ويستعبدونك فيقول :

١١ - بالأصل عبد الله بن بشير وبالخليفة عبد الله بن بشر والصواب ما أثبتناه [انظر
الترمذي (٣٣٧٥)] .

١٢ - حديث صحيح : رواه أحمد (١٨٨/٤ ، ١٩٠) ، والترمذي (٣٣٧٥) ، وابن ماجه
(٣٧٩٣) ، وابن أبي شيبة (٣٠١/١٠) ح (٩٥٠٢) ، والبيهقي في سننه (٣٧١/٣) ،
والحاكم في مستدركه (٤٩٥/١) ، وابن حبان (٢٣١٧ - موارد) ، والشجري في أماليه
(٢٥٥/١) ، وأبو نعيم في الحلية (٥١/٩) .

(٥) ليس بصواب ذكر أنه حديث نبوي كما سيأتي فليتبّه .

١٣ - أثر موقوف صحيح أخرجه ابن المبارك (٣٣٥) في الزهد من قول أنس بن
مالك ، وسنده ضعيف ، و (٣٣٣) من قول ابن مسعود ، وهو صحيح ، وله طريق آخر
عند الطبراني (٨٥٤٢) في الكبير .

ياملأئكتي اشهدوا أني قد أعطيتهم ما طلبوا وأمنتهم مما خافوا وأدخلهم الجنة برحمتي^(١٤) .

وفي الخبر عن رسول الله - ﷺ - أن الله تبارك وتعالى يقول : «عبدى اذكرني ساعة بالغدو وساعة بالعشي أكفك ما بينهما»^(١٥) .

[التحذير من العصيان]

وفي بعض الكتب المنزلة أن الله تبارك وتعالى يقول : «يا بن آدم ما أحيرك تسألني فأمنعك لعلمي بما يصلحك ثم تلج علي في المسألة فأجود برحمتي وكرمي عليك فأعطيك ما سألتني فتستعين بما أعطيك على معصيتي فأهم بهتك سترك فكم من جميل أصنعه معك وكم من قبيح تعمله معي يوشك أن أغضب، عليك غضبة لا أرضى بعدها أبداً»^(١٦) .

وفي بعض الكتب المنزلة أيضاً يقول الله تبارك وتعالى : عبدى ، إلى كم تستمر على عصياني وأنا غديتك برزقي ، وإحساني [أما]^(١٧) خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روحي أما علمت فعلى بمن أطاعني ، وأخذني لمن عصاني .

١٤ - هذا الكلام السابق من قوله «إذا صعدت الملائكة...» إلى قوله «وأدخلهم الجنة برحمتي» معنى حديث صحيح رواه البخارى (١٠٧/٨) ، ومسلم (٢٦٨٩) ، وأحمد (٢٥١/٢) ، والترمذى (٣٦٠٠) وابن أبى شيبه (٥١٧/٢) ، والحاكم فى مستدركه (٤٢١/٢) ، والطبرانى فى الكبير (٢٧١/١٠) ، والبيهقى فى الشعب (٤٢٧/٢) رقم ٥٢٨ ، وأبو نعيم فى الحلية (١١٧/٨) .

١٥ - من الإسرائيليات .

١٦ - انظر السابق .

١٧ - بالأصل (لها) والصواب ما أثبتناه .

عين بصيرتك أعمها الهوى ، قل لى بماذا ترانى ، هذا حال الموعظة فإلى كم
 هذا التوانى ، إن تبت من ذنبك أتيتك أمانى ، أترك داراً صفوها الكدر وأمالها
 أمانى ، بعت وصلى بالدون وليس لى فى الوجود ثانى ، ما جوابك إذا شهدت
 عليك الجوارح بما تسمع وترى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
 مُّخَضَّرًا﴾ (١٨) وأنشدوا :

تعصى الإله وأنت تزعم حبه هذا محال فى القياس بديع
 لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

[حكاية لمالك مع مذهب]

قال مالك بن دينار (١٩) : دخلت على جار لى وهو فى الغمرات يعانى
 عظيم السكرات يغمى عليه مرة ويفيق أخرى وفى قلبه لهيب الزفرات وكان
 منهمكاً فى ديناه متخلفاً عن طاعة مولاه فقلت له : يا أخى تب إلى الله وارجع عن
 غَيْكِ (٢٠) عسى المولى أن يشفيك ويعافيك من مرضك وسقمك ويتجاوز
 - بكرمه - عن ذنبك ، فقال : هيهات هيهات قد دنى ما هو آت وأنا ميت لا
 محالة ، فيا أسفى على عمر أفنيته فى البطالة أردت أن أتوب مما جنيت فسمعت
 هاتفاً يهتف من زاوية البيت : عاهدناك مراراً فوجدناك غداراً . نعوذ بالله من
 سوء الخاتمة ونستغفره من الذنوب المتقادمة .

١٨ - سورة آل عمران : الآية ٣٠ .

١٩ - مالك بن دينار : هو أبو يحيى الزاهد البصرى المشهور كان مولى لبنى أسامة بن
 لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ، وكان يكتب المصاحف بالأحرة ، أقام أربعين سنة لا يأكل
 من ثمار البصرة ، ولا يأكل إلا من عمل يده ، ووقع حريق بها فخرج متزراً ببارية ويده
 مصحف وقال : فاز المخفون توفى ١٢٧ هـ . [شذرات الذهب (١/١٧٣)]

٢٠ - عَيْكِ : عوى - غواية : أى أمعن فى الضلال - وغيك : أى ضلالك .

[المعجم الوسيط (٢/٦٦٧)]

[فروا إلى الله]

ياأخى أقبل على قبلة التوجه إلى مولاك ، وأعرض عن مواصلة غيك وهواك ، وواصل بقية العمر بوظائف الطاعات ، واصبر على ترك عاجل الشهوات ، فالفرار أيها المكلف كل الفرار ، من مواصلة الحرائم والأوزار ، فالصبر على الطاعة في الدنيا حد الصبر على النار .

مولاي إني عبد ضعيف أتيتك أرغب فيما لديك
أتيتك أشكو مصاب الذنوب وهل يشتكى الضر إلا إليك
فَمَنْ (٢١) بعفوك ياسيدى فليس اعتمادي إلا عليك

[حكاية توبة عبد يخشى الله]

قال بعض السادة الأخيار لولده لما حضرته الوفاة : يا بني اسمع وصيتي واعمل ما أوصيك به قال : نعم ياأبه . قال : يا بني ، اجعل في عنقي حبلاً وجرنى إلى عذائي ومرغ خدي على التراب وقل هذا جزاء من عصي مولاه ، قال : فلما فعل ذلك به ، رفع طرفه إلى السماء وقال : إلهي وسيدى ومولاي قد آن الرحيل إليك ، وأزف القدوم عليك ، ولا عذر لي بين يديك ، غير أنك الغفور وأنا العاصي ، وأنت الرحيم وأنا الجاني ، وأنت السيد وأنا العبد ، ارحم خضوعي وزلتي بين يديك ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك ، قال : فخرجت روحه في الحال ، فإذا بصوت ينادى من زاوية البيت سمعه كل من حضر وهو يقول : تذلل العبد إلى مولاه واعتذر إليه مما جناه فقربه وأدناه وجعل جنة الخلد مأواه .
إلهي إن كنت الغريق وعاصياً فعفوك ياذا الجود والسعة الرحب
بشدة فقرى باضطرارى بحاجتى إليك إلهي حين يشتد بي الكرب
بما بى من ضعف وعجز وفاقة بما ضمنت من وسع رحمتك الكتب

٢١- مَنْ : مَنْ عليه : أنعم عليه نعمة بطيبة - والمعنى أحسن إلى بنعمة العفو يارب .

[الوسيط (٢/٨٨٨)]

صلاة وتسليم وروح وراحة على الصادق المصدوق ما انفلق الحبُّ
أنى القاسم الماحى الأباطيل كلها وأصحابه الأخيار ساداتنا النجب (٢٢)

[التائب حبيب الله]

إخواني : هذا القبول ينادى صبيان الهوى ، الشاب التائب حبيب الله ،
ويصيح بكهول الخطأ عسى الله أن يتوب عليهم ، ويهتف بشيوخ الندم : «أنا عند
المنكسرة قلوبهم من أجل» (٢٣) .

[فضل قيام الليل]

وفي الخبر : إذا تاب العبد إلى الله تعالى وحسنت توبته وقام بالليل يناجى
ربه أوقدت الملائكة سراجاً من نور وعلقته بين السماء والأرض فتقول الملائكة ما
هذا ؟ فيقول لهم : إن فلان بن فلان قد اصطاح الليلة مع مولاه .
وفي الحديث عن النبي - ﷺ - أنه قال : «إذا قام العبد بالليل تباشرت
أعضاؤه ونادى بعضها بعضاً قد قام صاحبنا لخدمة الله تعالى» (٢٤) .

٢٢ - التَّجُبُّ : جمع نجيب : وهو الفاضل على مثله النفيس في نوعه - والمعنى
المفضلين أو المختارين .

٢٣ - قال السخاوى في المقاصد الحسنة (١٨٨) حديث جرى ذكره في البداية للغزالي
اه ، قال العجلوني في كشف الخفاء (٢٣٤/١) ح (٦١٤) : وتماه : «أنا عند المدرسة
قلوبهم لأجل» ولا أصل له في المرفوع . اه .

٢٤ - لم أقف عليه .

وعن أحمد بن أبي الخوارى (٢٥) قال : دخلت على أبي سليمان الداراني (٢٦) فوجدته يبكي فقلت له : وما يبكيك ياسيدي ؟ فقال لي : يا أحمد إن أهل المحبة إذا جنهم (٢٧) الليل افترشوا أقدامهم فدموعهم تجري على خدودهم بين رакع وساجد فإذا أشرق المولى جلا جلاله عليهم قال : يا جبريل بعيني من تلذذ بكلامي واستراح إلى مناجاتي وإلى المطلع عليهم أسمع كلامهم وأرى حنينهم وبكاءهم ، فناد بهم يا جبريل وقل لهم ما هذا الجزع الذي أرى بكم هل أخبركم بخبر أن خبيثاً يعذب أحبابه بالنار ؟ أم هل يجمل لي أن أبيت قوماً وعند البيات أمر بهم إلى النار ؟ لا يليق هذا بعبد ذمير فكيف بالملك الكريم ، فبعزتي أقسمت لأجعلن هديتي إليهم أن أكشف لهم عن وجهي الكريم فأنظر إليهم وينظرون إليّ (٢٨) .

[سعة رحمة الله]

وعن أبي سليمان الداراني - رضى الله عنه - قال : قرأت في بعض الكتب المنزلة : يقول الله تعالى : بعيني ما يتحمل المتحملون من أجلى وكابد المكابدون في طلب مرضاتي فكيف بهم وقد صاروا في جوارى ويسبحون في رياض خلدي هناك فليشر المصفون بأعمالهم بالنظر العجيب إلى الحبيب الغريب أترون أني

٢٥ - أحمد بن أبي الخوارى : هو عبد الله بن ميمون أبو العباس الدمشقي ، صاحب الداراني وغيره وسكن دمشق ، كان له ابن يقال له عبد الله من الزهاد ، وأخ يقال له : محمد ، يشبهه في الورع والتقوى ، وأبوه أبو الخوارى من أهل الورع أيضاً فبيتهم بيت الورع والزهد توفي سنة ٢٣٠ هـ [صفة الصفوة (٢٣٧/٤)] ، [طبقات الأولياء : ٣١]

٢٦ - أبو سليمان الداراني : هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي المذحجي ، زاهد مشهور من أهل داريا (بعوطة دمشق) رحل إلى بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام وتوفي في بلده ، وكان من كبار العباد ، وله أخبار في الزهد توفي ١٥٠ هـ .
[الأعلام (٢٩٣/٣)]

٢٧ - جنهم : سترهم وأطمع عليهم . [الوسيط (١٤٠/١)]

٢٨ - روى هذا الأثر أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/١٦ ، ١٧) .

أضيق لهم ما عملوا فكيف وأنا أجود على الموليين وأقبل التوبة على الخاطئين وأنا
بهم أرحم الراحمين^(٢٩) .

٢٩- روى هذا الأثر أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٥/٩) .

الفصل الأول

[انتبه يا أسير الدنيا]

يا أسير دنياه ، يا عبد مولاه ، يا موطن الخطايا ، ويا مستودع الرزايا ، اذكر ما قدمت يدك ، وكن خائفاً من سيدك ومولاك ، أن يطلع على زللِكَ وجفائك ، فيصـدك عن بابـه ، ويـبعدك عن جنابه ، ويمنعك من مرافقة أحبابه فتقع في حفرة الخذلان ، وتتقيد بشرك الخسران ، وكلما رمت التخلص من غيك وعناك صاح بك لسان الحال وناداك :

إليك عَنَّا فما تُحظى بنجوانا ياغادراً قد لهُي عَنَّا وقد خاننا
أعرضت عَنَّا ولم تعمل بطاعتنا وحيثُ تبعي الرُّضَا والوصل قد بانا
بأى وجه نراك اليوم تقصدنا وطال ما كنت في الأيام تنسانا
يا ناقض العهد ما في وصلنا طمع إلا لمجتهد بالجد قد داننا

[يامن باع الباقي بالفانى]

يامن باع الباقي بالفانى أما ظهر لك الخسران ، ما أطيب أيام الوصال وما أمر أيام الهجران ، ما طاب عيش القوم حتى هجروا الأوطان ، وسهروا الليالى بتلاوة القرآن فيبيتون لربهم سجداً وقياماً .

عن عبد العزيز بن سلمان^(٣٠) العابد قال : حدثني مطهر^(٣١) - وكان قد بكى شوقاً إلى الله تعالى ستين عاماً - قال : رأيت كأني على حفة نهر يجري

٣٠ - عبد العزيز بن سلمان : يكنى أبا محمد وهو عائد بصرى مشهور وله ابن يقال له محمد .
[حلية الأولياء (٢٤٣/٦)] ، [صفة الصفوة (٣٧٧/٣)]

٣١ - مُطَهَّر : يقصد مُطَهَّر السعدى وهذا الأثر مروي بحلية الأولياء (٢٤٤/٦) ، (٢٤٥) وورد أيضاً بصفة الصفوة (٣٨٠/٣) .

بالمسك الأذفر وحافته شجر اللؤلؤ وفيه من قضبان الذهب وإذا بجوار مترنمات يقلن بصوت واحد : سبحان المسيح بكل لسان سبحان الموجود في كل مكان (٣٨) سبحانه وتعالى ، سبحانه ، نحن الخالدات فلا نموت أبداً ، نحن الراضيات فلا نغضب أبداً ، نحن الناعمات فلا نتغير أبداً ، قال : فقلت لهن : من أنتن ؟ فقلن : خلق من خلق الله تعالى ، قلت : فما تصنعن ؟ فقلن بصوت حسن مليح :

ذرأنا إله الناس ربُّ محمدٍ نقوم على الأطراف بالليل قومٌ
يناجون رب العالمين إلههم وتسرى هموم القوم والناس نومٌ

فقلت : بخ بخ (٣٣) ، من هؤلاء الذين أقر الله عيونهم ؟ قلن : أما تعرفهم ؟ قلت : لا والله ما أعرفهم فقلن : هم المجتهدون بالليل أصحاب السهر بالقرآن .

وروى عن النبي - ﷺ - أنه قال : «إذا أذنب العبد وتاب إلى الله وحسنت توبته تقبل الله منه كل حسنة عملها وغفر له كل ذنب اقترفه ويرفع له بكل ذنب درجة في الجنة ويعطيه الله بكل حسنة قصراً في الجنة ويزوجه الله حوراً من الحور العين» (٣٤) .

٣٢ - اعلم أحي المسلم أن الاعتقاد السليم الذي عليه أهل السنة والجماعة هو أن الله في السماء وهذا الاعتقاد هو دليل صحة إيمان المؤمن والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿عُتِمَ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَحْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ وكذلك الحديث الذي رواه مسلم (٥٣٧) عندما سأل الجارية قائلاً لها : «أين الله؟» قالت : في السماء ، قال : «من أنا؟» قالت : أنت رسول الله . قال : «أعتقها فإنها مؤمنة» فاعتر إقرار الجارية بأن الله في السماء وأنه رسول الله دليلاً على صحة إيمانها . والله أعلم .

٣٣ - بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب أو المدح والفخر .

[الوسيط (١/٤٠)]

٣٤ - لم أقف عليه .

وفي الخبر عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : «أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود بشر المذنبين وأنذر الصديقين ، فتعجب داود عليه السلام فقال : يارب كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين [؟ قال : نعم . بشر المذنبين أن لا يتعاضمني ذنب أغفره لهم ، وأنذر الصديقين]^(٣٥) ألا يعجبوا بأعمالهم فإنى لا أضع إحسانى على أحد إلا هلك^(٣٥) . ياداود ، إن كنت تزعم أنك تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبا لا يجتمعان في قلب واحد ، ياداود ، من أحبني يتعهد بين يدي إذا نام البطالون ويذكرني في خلوته إذا لهي عن ذكرى الغافلون ويذكر نعمتي عليه إذا غفل عني الساهون .

طوى لمن سهرت بالليل عيناه وبات في قلق في حب مولاه
وقام يرعى نجوم الليل منفرداً شوقاً إليه وعين الله ترعاه

قال رسول الله - ﷺ - : «البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يفنى كن كما شئت كما تدين تدان»^(٣٦) .

ياهذا أتدري ما صنعت ؟ بعث القرب بالبعد ، والفضل بالهوى ، والدين بالدنيا . وأنشدوا :

قم فارق نفسك وابكها مادمت وابك على مهل
فإذا اتقى الله الغنى فيما يريد فقد كمل

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «ما نزع الله عبداً من ذنب إلا وهو يريد أن يقيله منه»^(٣٧) .

(*) ما بين المعكوفتين سقط أثناه من « حلية الأولياء » لأبي نعيم .

٣٥ - هذا الأثر من أوله إلى قوله «فإنى لا أضع إحسانى على أحد إلا هلك» ورد بحلية الأولياء لأبي نعيم (١٩٥/٨) .

٣٦ - حديث ضعيف : أورده الديلمي في مسند الفردوس (٢٢٠٣) ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص/٧٩) ، وأحمد في الزهد (ص/١٧٦) ، وقال عنه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٥٧٦) : حديث ضعيف..

٣٧ - لم أقف عليه .

وعن عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ - : «التائبون إذا خرجوا من قبورهم ارتفع من بين أيديهم ريح المسك ويأتون على مائدة من الجنة يأكلون منها وهم في ظل العرش وسائر الناس في شدة الحساب» (٣٨) .

[فضل البكاء من خشية الله]

ويروى أن رجلاً أتى إلى رسول الله ﷺ - فقال : يا رسول الله ، بم أتقى النار ؟ قال : بدموع عينيك . قال : وكيف أتقيها بدموع عيني ؟ قال : أهمل (٣٩) دموعهما من خشية الله فإن الله لا يعذب بالنار عيناً بكث من خشية الله (٤٠) .

وعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ - : «قطرة تخرج من عين المؤمن من خشية الله خير له من الدنيا وما فيها وخير له من عبادة سنة ، وتفكر ساعة في عظمة الله تعالى وقدرته خير من صيام ستين يوماً وقيام ستين ليلة ، ألا وإن الله ملكاً ينادى كل يوم وليلة أبناء الأربعين زرع دنى حصاده ، أبناء الخمسين هلموا إلى الحساب ، أبناء الستين ماذا قدمتم وماذا أخرتم ، أبناء السبعين ماذا تنتظرون ، ألا ليت الخلق لم يخلقوا فإذا خلقوا ليتهم علموا لما خلقوا فعملوا لذلك ألا قد أتتكم الساعة فخذوا حذرکم» (٤١) .
نَزَّة مَشِيْبِكَ عَنْ شَيْءٍ يَدْنِسُهُ إِنَّ الْبَيَاضَ قَلِيلُ الْحَمَلِ لِلدَّنَسِ

٣٨ - لم أقف عليه .

٣٩ - أهمل : هملت العين : فاضت وسالت - والمعنى أكثر من البكاء من خشية الله .

[الوسيط (٩٩٥/٢)]

٤٠ - حديث ضعيف جداً : رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٦٢/٨) وأورده المنذرى في الترغيب والترهيب (٢٣٠/٤) ، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا والأصبهاني .

٤١ - لم أقف عليه مرفوعاً . وأخرجه أبو نعيم في الحلية (٣٣/٤) مختصراً من كلام وهب بن منبه .

[خدعتك الدنيا وأنت لا تسمع ولا تبصر]

يا عبد السوء ؛ كم تعصى وتستتر ، كم تكسر باب نهى وتحير ، كم تستقطر من عينيك دمع الخشية ولا تقطر ، كم نطلب وصلك بالطاعة وأنت تفر وتهجر ، كم لى عليك من النعم وأنت عبد لا تشكر ، خدعتك الدنيا وأعمال الهوى وأنت لا تسمع ولا تبصر ، سخرت لك الأكوان وأنت تطغى وتكفر ، وتطلب الإقامة فى الدنيا وهى قنطرة لمن يعبر .

منعوك من شرب المودة والصفاء لما رأوك على الخيانة والحفا
إن أنت أرسلت العنان إليهم جاءوا عليك تكرماً وتعطفاً
حاشاهم أن يظلموك وإنما جعلوا الوفا منهم لأرباب الوفا

[مجوسى تدركه رحمة الله فيسلم]

وروى عن الحسن البصرى^(٤٢) - رضى الله عنه - أنه قال : دخلت على بعض المجوس وهو يجود بنفسه عند الموت وكان منزله بإزاء منزلى وكان حسن الجوار ، حسن السيرة ، حسن الأخلاق فرجوت أن الله يوفقه عند الموت ويميته على الإسلام فقلت له : ما تجد وكيف حالك ؟ فقال لى : قلبٌ عليل ولا صحة لى ، وبدن سقيم ولا قوة لى ، وقبر موحش ولا أنيس لى ، وسفر بعيد ولا زاد لى ، وصراط رقيق ولا جواز لى ، ونار حامية ولا بدن لى ، وجنة عالية ولا نصيب لى ، ورب عادل ولا حجة لى . قال الحسن : فرجوت أن الله يوفقه

٤٢ - الحسن بن يسار البصرى ، وأبو سعيد ، تابعى ، كان إمام أهل البصرة وحر الأمة فى زمنه وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان الثساك ، ولد بالمدينة ، وشب فى كنف على بن أبى طالب وسكن البصرة وعظمت هيئته فى القلوب وكان لا يخاف فى الحق لومة لائم وله مع الحجاج مواقف لكنه سلم من أذاه ، ولد ٢١ هـ وتوفى ١١٠ هـ .
[الاعلام (٢٢٦/٢)]

فأقبلت عليه وقلت له : لم لا تُسَلِّمَ حتى تُسَلِّمَ ؟ قال : يا شيخ إن المفتاح بيد
الفتاح والقفل ههنا وأشار إلى صدره وغشى عليه .

قال الحسن : فقلت : إلهي وسيدى ومولاي ، إن كان سبق لهذا المجوسى
عندك حسنة فعجل بها إليه قبل فراق روحه من الدنيا وانقطاع الأمل فأفاق من
غشيته وفتح عينيه ثم أقبل وقال : يا شيخ إن الفتاح أرسل بالمفتاح أمدد يمينك فأنا
أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ثم خرجت روحه وصار إلى
رحمة الله تعالى . وأنشدوا :

يا ثقتى يا أملى أنت الرجا أنت الولى اختم بخير عملى
وحقق التوبة لى قبل حلول أجلى وكن يارب ولى

[الترهيب من الغفلة]

إخوانى : ما هذه السَّنة^(٤٣) وأنتم منتبهون ، وما هذه الخيرة وأنتم تنظرون ،
وما هذه الغفلة وأنتم حاضرون ، وما هذه السكره وأنتم صائحون ، وما هذا
السكون وأنتم مطالبون ، وما هذه الإقامة وأنتم راحلون ، أما آن لأهل الرقدة أن
يستيقظوا أما حان لأبناء الغفلة أن يتعظوا !!

واعلم أن الناس كلهم فى هذه الدنيا على سفر فاعمل لنفسك ما يخلصها
يوم البعث من سقر :

آنَ الرحيلُ فكُنْ على حذر ما قد ترى يغنى عن الحذر
لا تغتر باليوم أو بغد قلوب المغرورين على خطر

قال الجنيد^(٤٤) : كان سرى السقطى^(٤٥) -رضى الله عنه- متصل الشغل وكان إذا فاته شيء من ورده لا يقدر أن يعيده^(٤٦) .

وكذلك كان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- لم يكن له وقت ينام فيه فكان ينعس وهو جالس فقليل له : يأمر المؤمنين ألا تنام ؟ فقال : كيف أنام إن نمت بالنهار ضيعت حقوق الناس ، وإن نمت بالليل ضيعت حظي من الله^(٤٧) .

وسمع الجنيد -رضى الله عنه- يقول : ما رأيت أعبد الله تعالى من سرى السقطى أتت عليه ثمان وسبعون سنة ما رأى قط مضطجعاً إلا في علته التي مات فيها^(٤٨) . قال الجنيد : سمعت السرى السقطى -رضى الله عنه- يقول : لولا الجمعة والجماعة ما خرجت من بيتي وللزمت بيتي حتى أموت^(٤٩) .

٤٤- الجنيد : أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجعيد البغدادي الخزاز ، من العلماء بالدين ، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهاوند ، كان يعمل بالخز ، عده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بالكتاب والسنة . توفي (٢٩٧ هـ) .

[الأعلام (١٤١/٢)]

٤٥- السرى السقطى : هو سرى بن المغلس السقطى أبو الحسن : من كبار العباد ، بغدادي المولد والوفاة ، وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية ، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته وهو خال الجنيد وأستاذه ، توفي (٢٠٥ هـ) .

٤٦- أورد هذا الأثر أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/١٢٤) .

٤٧- أورد هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣٨٢) .

٤٨- أورد هذا الأثر الخطيب في تاريخ بغداد (٩/١٩٢) ، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣٨٢) .

٤٩- أورد هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣٨٣) .

قال أبو بكر الصيدلاني: (٥٠) سمعت [سليمان] (٥٠) بن منصور بن عمار (٥١) يقول: رأيت أُنًى في المنام فقلت له: ما فعل بك ربك؟ قال: إن الرب قربني وأدنانى وقال لى: يا شيخ السوء، أتدري لم غفرت لك؟ فقلت: لا يا إلهى قال: إنك جلست للناس يوماً مجلساً فأبكيتهم فبكى فيهم عبد من عبيدى لم يبك من خشيتى قط فغفرت له ووهبت أهل المجلس كلهم له ووهبتك فيمن ووهبت له (٥٢).

وعن على بن محمد بن إبراهيم الصفار قال: حضرت أسود بن سالم (٥٣) ليلة وهو يقول ويكى:

أمامى موقف قدام رنى سيسألنى وينكشف الغطاء
وحسبى أن أمر على صراط كحد السيف أسفله لظاء (٥٤)

وكذلك روى عن الضحاك أنه قال: خرجت ذات ليلة إلى مسجد الكوفة فلما قربت من المسجد فإذا فى بعض رحابه شاب قد خرّ ساجداً وهو يخور

(*) أبو بكر الصيدلاني: هو جعفر بن محمد بن إبراهيم بن حبيب، توفى ٣١٧ هـ.

[تاريخ بغداد (٧/٢١٠)]

٥٠ - كذا بالأصل والصواب (سليم) [انظر «صفوة الصفوة» (٢/٣٠٨)].

٥١ - سليم بن منصور بن عمار: أبو الحسن المروزي سكن بغداد وحدث بها عن أبيه وعن إسماعيل بن علية، وعلى بن عاصم، وأبو داود الطيالسي وروى عنه الحسن بن الصباح البزار وغيره.

٥٢ - أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٢/٣٠٨).

٥٣ - أسود بن سالم: من أهل بغداد، كان صالحاً ورعاً وكان بينه وبين معروف الكرخي مؤاخاة ومودة ومصافة ومحبة، وكان معروفاً بالخير، مات سنة ثلاث عشرة - أو أربع عشرة - ومائتين. [تاريخ بغداد (٧/٣٥)]، [وصفة الصفوة (٢/٣٠٧)]

٥٤ - أورد هذا الأثر ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» (٢/٣٠٧).

بالبكاء فلم أشك أنه من أولياء الله تعالى فقربت منه لأسمع ما يقول فسمعتة يقول :

عليك ياذا الجلال معتمدى طوى لمن كنت أنت مولاه
طوى لمن بات خائفاً وجلاً يشكوا إلى ذى الجلال بلواه
وما به علة ولا سقم أكثر من حبه لمولاه
إذا خلى في الظلام مبتلاً أجابه الله ثم لباه
ومن ينال ذا من الإله فقد فاز بقرب تقر عيناه
فبقى يكرر هذه الأبيات ويكى وأنا أبكى رحمة لبكائه فيبيننا أنا كذلك إذ لاح لي
ضوء كالبرق الخاطف فأسرعت بيدي إلى عيني فسمعت منادياً ينادى من فوق
رأسه بكلام عذب لذيد لا يشبه كلام بنى آدم وهو يقول :

ليبك عبدى وأنت فى كنفى وكل ما قلت قد قبلناه
صوتك تشتاقه ملائكتى وحسبك الصوت قد سمعناه
أن هبت الريح من جوانبه خرّ صريعاً لما تغشاه
دعاء عبدى يحول فى حجبي وذنبك اليوم قد غفرناه
فقلت : مناجاة الحبيب مع حبيبه - ورب الكعبة - فخرت^(٥٥) مغشياً على
وجهي لما أدركنى من الهيبة ثم أفقت من غشيتى وأنا أسمع ضجيج الملائكة فى
الهواء وخفقان أجنحتهم بين السماء والأرض وخيل لى أن السماء قد قربت من
الأرض ورأيت النور قد غلب على ضوء القمر وكانت ليلة مقمرة ساطعة النور
فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت له : بارك الله فيك من أنت
يرحمك الله ؟ فقال : أنا راشد بن سليمان فعرفته لما كنت أسمع عنه .

٥٥ - كذا بالأصل ولعل الصواب (فخرت) .

الفصل الثاني

[احذروا هجوم الأجل]

إخواني : إلى كم تماطلون بالعمل ١٩ وتطمعون في بلوغ الأمل ، وتغتربون بمنحة المهل ولا تذكرون هجوم الأجل ١٩، ما ولدتم فللتراب ، وما بنيتم فللخراب ، وما جمعتم فللذهاب ، وما عملتم ففى كتاب مدخر ليوم الحساب . وأنشدوا :

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ

[عاقبة المعاصي]

يروى عن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- أنه قال : لا يغرنكم قول الله عز وجل : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا﴾^(٥٦) فإن السيئة وإن كانت واحدة فإنها تتبعها عشر خصال مذمومة :

أولها : إذا أذنب العبد ذنباً فقد أسخط الله وهو قادر عليه .

والثانية : أنه فرح إبليس لعنه الله .

والثالثة : أنه تباعد من الجنة .

والرابعة : تقرب من النار .

والخامسة : أنه قد آذى أحب الأشياء إليه وهى نفسه .

والسادسة : أنه نجس نفسه وقد كان طاهراً .

٥٦ - سورة الأنعام : الآية ١٦٠ .

والسابعة : أنه قد آذى الحفظة .

والثامنة : أنه أحزن النبي - ﷺ - في قبره .

والتاسعة : أنه أشهد على نفسه السموات والأرض وجميع المخلوقات بالعصيان .

والعاشرة : أنه خان جميع الآدميين وعصى رب العالمين^(٥٧) .

[حكاية ذى النون مع عابد]

يروى عن ذى النون المصرى^(٥٨) أنه قال : خرجت أريد الحجاز ولم أصحب أحداً من الناس فبينما أنا سائر إذ وقفت فى أرض صحراء وقد نفذ زادى فأشرفت على الهلاك إذ لاحت لى شجرة فى وسط الصحراء دائية الفروع متدلية الأغصان كثيرة الأوراق فقلت فى نفسى : أسير إلى نحو هذه الشجرة فأكون فى ظلها حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فلما وصلت إلى الشجرة ودنوت منها وأردت الدخول فى ظلها فأخذ غصن من أغصانها بركونى^(٥٩) فانفرد الماء الذى كان بقى لى فيها أحى به رمقى فأيقنت بالهلاك وطرحت نفسى فى ظل الشجرة وبقيت انتظر ملك الموت ليقبض روحى فإذا أنا بصوت حزين يخرج من قلب شخص حزين وهو يقول : إلهى وسيدى ومولاي إن كان فى هذا رضاك منى فزد

٥٧ - أورده المصنف بصيغة التضعيف « يروى » .

٥٨ - ذو النون المصرى : هو ثوبان بن إبراهيم الإحيمى المصرى ، أبو الفياض أو أبو الفيض : أحد الزهاد العباد المشهورين ، من أهل مصر ، نوى الأصل من الموالى ، كانت له فصاحة وحكمة وشعر ، وهو أول من تكلم بمصر فى « ترتيب الأحوال والمقامات لأهل الولاية » توفى بالجيزة بمصر سنة ٢٤٥ هـ . [الأعلام (١٠٢/٢)]

٥٩ - بركونى : الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء .

[المعجم الوسيط (٣٧١/١)]

حتى ترضى عني يا أرحم الراحمين ، فقممت وجعلت أمشي نحو الصوت فإذا أنا بشخص حسن الصورة حسن الوجه وهو ملقى على الرمل والنسور قد أجدت به تنهش من لحمه فسلمت عليه فرد عليّ السلام وقال لي : ياذا النون - لما نفذ الزاد وانغرق الماء وأيقنت بالموت والفناء - فجلست عند رأسه وجعلت أبكي رحمة لبكائه وشفقة لما رأيته منه فبينما أنا كذلك إذا أنا بقصعة من الطعام ووضعت بين يدي فوكر الأرض بعرقوبه فإذا بعين من الماء قد انفجرت أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل فقال لي ياذا النون ، كُلْ واشرب لا بد لك من الوصول إلى بيت الله الحرام ولكن ياذا النون لي إليك حاجة فإذا قضيتها لي فلك الأجر والثواب ، قلت : وما هي ؟ قال لي : إذا أنا مت فغسلني وادفني واسترني من الوحش والطير وسرّ فإذا قضيت الحج فإنك تصل إلى مدينة بغداد وتدخل من باب الرعفران فإنك تجد هنالك الصبيان يلعبون وعليهم ألوان الثياب فتجد هنالك شاباً صغير السن ليس يشغله شيء عن ذكر الله تعالى قد تحزم بخرقه وجعل على كتفيه أخرى وفي وجهه خططان أسودان من آثار الدموع فإذا وجدته فذلك ولدي وقرة عيني فأقرئه مني السلام ، قال ذو النون فلما فرغ من كلامه سمعته يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله وشهق شهقة فارق الدنيا رحمة الله عليه . فقلت : ﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ (٦٠) وكان معي قميص في وعائي لا أفارقه فغسلته من الماء وكفنته وواريته التراب وسرت إلى بيت الله الحرام وقضيت مناسك الحج وخرجت إلى زيارة قبر رسول الله - ﷺ - فلما قضيت الزيارة وسرت إلى مدينة بغداد فدخلتها في يوم عيد فإذا الصبيان يلعبون وعليهم ألوان الثياب فنظرت فرأيت الصبي الموصوف جالساً لا يشغله الموهوب عن ذكر علام الغيوب وقد ظهرت على وجهه الأحزان وفي وجهه خططان أسودان من آثار الدموع وهو يقول :

الناس كُلُّهُمْ للعيد قد فَرَحُوا	وقد فرحتُ أنا بالواحدِ الصمِّدِ
الناس كُلُّهُمْ للعيد قد صَبَّغُوا	وقد صبغتُ ثيابَ الذِّلِّ والكمِّدِ
الناس كُلُّهُمْ للعيد قد غَسَلُوا	وقد غسلتُ أنا بالدمعِ للكُبدِ

قال ذو النون : فسلمت عليه فرد عليّ السلام ، وقال : مرحباً برسول أتى من عند أئى فقلت له : من أخبرك بأئى رسول أتيتك من أئيك ؟ قال : الذى أخبرنى أنك دفنته فى الصحراء إذاذا النون أترعّم أنك دفنت أئى فى الصحراء فوالله إن أئى رفع إلى سدرّة المنتهى ولكن سر معى إلى جدقى فأخذ بيدى وسار معى إلى منزله فلما وصل إلى الباب نقر نقرأ خفياً فإذا بالعجوز قد خرجت علينا فلما رأتنى قالت : مرحباً بمن تمتع بالنظر فى وجه حببى وقرّة عينى قلت لها : من أخبرك بأئى رأيته ؟ قالت : الذى أخبرنى بأن الكفن مردود عليك إذاذا النون فوعزة رى وجلاله إن خرقة ابنى يياهى الله بها الملائكة فى الملاء الأعلى ثم قالت : إذاذا النون صف لى كيف تركت ابنى وقرّة عينى وثمرّة فؤادى قلت لها : تركته فى الفيافى والقفار بين الرمال والأحجار قد حظى بما أمل من العزيز الغفار ، فلما سمعت العجوز ذلك ضمت الصبى إلى صدرها وغابت عنى وحجبت عن نظرى ولا أدرى فى السماء صُعد بها ولا فى الأرض هُبط بها فصرت أطلبهما فى أركان الدار فما وجدتهما فسمعت هاتفاً وهو يقول : إذاذا النون لا تتعب نفسك فقد طلبتهم الأملاك فلم يجدوهم فقلت : أين صاروا ؟ فقال لى : إن الشهداء يموتون بسيف المشركين وهؤلاء المحبون يموتون بالشوق إلى رب العالمين فيحملون فى مركب من نور ﴿ فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ (٦١) قال ذو النون فتفقدت الجراب فوجدت الكفن الذى كفنته فيه مطوياً كما كان أولاً (٦٢) . رضى الله عنهم أجمعين .

٦١ - سورة القمر : الآية ٥٥ .

٦٢ - لا أدرى ماذا أقول عن مثل هذه الحكايات أهى من الكرامات أم من الخرافات فانعابد بترك نفسه للنسور تنهش جسده دون أن يحاول المقاومة وكأنه لم يسمع قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ يستسلم للنسور تماماً وهذا نوع من التواكل الذى نهانا رسول الله - ﷺ - عنه ، والابن ينادى ذا النون باسمه ويمجده بخبر أبيه مع أنه غيب عنه وكأنه يعلم الغيب . تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فلا يعلم العيب سواه ﴿ قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ ولننظر إلى رسول الله ﷺ عندما طرق عليه الباب طارق ، قال : من ؟ فهو لا يعلم من الطارق ما لم يعلمه ذلك الطارق أو يأتيه وحى من الله ينبئه عن ذلك ! والألم كذلك تخبر عن ابنها أنه فى الحنة فمن الذى أعلمها بذلك !!! فالله المستعان وحده على مثل هذه الأخبار وتلك الفتى !!

الفصل الثالث

[احذر يامقيماً على الخطايا والعصيان]

أيها المقيم على الخطايا والعصيان ، التارك لما أمر به الرحمن ، المطيع لغوى الشيطان ، إلى متى أنت على جرمك مصرٌّ ١٩ ، وما يقربك إلى مولاك تفر ١٩ ، تطلب من الدنيا ما لا تدركه ١٩ ، وتبتغي من الآخرة بما لا تملكه ١٩ لا أنت بما قسم الله لك من الرزق واثق ، ولا أنت بما أمرك به لاحق ١٩ .

[أما تتنفع بالمواعظ]

ياأخى الموعظة - والله - لا تنفعك ، والحوادث لا تردعك ، ولا الدهر يردعك ، ولا داعي الموت يسمعك ، كأنك يامسكين لم تنزل حياً موجوداً وكأنك لا تعود نسباً مفقوداً ، فاز - والله - الخفقون من الأوزار ، وسلم المتقون من عذاب النار ، وأنت مقيم على كسب الجرائم والأوزار . وأنشدوا :
عَيْلٌ صَبْرِي^(٦٣) وَحَقٌّ لِي أَنْ أَنْوَحَا لَمْ تَدْعُ لِي الذُّنُوبُ قَلْباً صَحِيحاً
أَخْلَفْتَ مَهْجَتِي أَكْفَ الْمَاضِي وَنَعَانِي الْمَشِيبُ نَعِيّاً صَرِيحاً
كَيْمَا قَتَلْتَ قَدْ جَرَحَ قَلْبِي عَادَ قَلْبِي مِنَ الذُّنُوبِ جَرِيحاً
إِنَّمَا الْفُوزُ وَالنَّعِيمُ بَعِيدٌ جَاءَ فِي الْحَشْرِ آمناً مُسْتَرِيحاً

٦٣ - عيل صبرى : أى نفد . [المعجم الوسيط (٢/٦٣٧)]

٦٤ - أورد هذا الأثر أبو نعيم فى « حلية الأولياء » (١٠ / ٢٧٣) .

[ارفضوا الدنيا]

إخواني ، ارفضوا هذه الدنيا كما رفضها الصالحون ، وأعدوا الزاد لنقلة لا بد لها أن تكون ، واعتبروا بما تدور به عليكم الأيام والسنون .
يا من غدا في الغي والتهيه و غره طول تماديه
أملى لك الله فبارزته ولم تخف غب معاصيه
وقال الجنيد - رحمه الله - : مرض السرى - رحمه الله - فدخلت عليه أعوده
فقلت له : كيف تجدك ؟ فقال :

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي قد أصابني من طبيبي
فأخذت المروحة لأروح عليه فقال : كيف يجد ريح المروحة من جوفه يحترق من
داخل ١٩ ، ثم أنشأ يقول :

القلب محترق والدمع مستيق والكرب مجتمع والصبر مفترق
كيف الفرار على من لا فرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق
يارب إن كان شيء لي فيه فرح فامنن علي به مادام بي رمق^(٦٤)

[الثقة في رزق الله]

روى عن علي بن الموفق^(٦٥) - رحمه الله - أنه قال : خرجت يوماً لأؤذن
فأصبت قرطاساً فأخذته ووضعت في كمي وأقمت الصلاة وصليت فلما صليت

٦٥ - علي بن الموفق : أبو الحسن العابد من أهل بغداد وكان من الزاهدين المذكورين
وتوفي سنة ٢٦٥ هـ . [تاريخ بغداد (١١٠/١٢)] ، [صفة الصفوة (٣٨٦/٢)]

قرأته فإذا فيه مكتوب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، يا على بن الموفق أتخاف الفقر وأنا ربك ١٩ » (٦٦) .

[احتضار الشافعي]

ويروى عن المزني (٦٧) قال : دخلت على الشافعي -رضي الله عنه- في علته التي مات فيها فقلت له : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت من الدنيا راحلاً ، وللإخوان مفارقاً ، ولكأس المنية شارباً ، ولسوء عملي ملاقياً ، وعلى الله وارداً ، فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ، ثم بكى وأنشأ يقول :

ولما قسى قلبي وضائق مذاهبي	جعلت الرجا مني لعفوك سُلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته	بعفوك ربّي كان عفوك أعظماً
فمازلت ذا عفو عن الذنب لم تزل	تجود وتعفو منةً وتكرماً (٦٨)
فلولاك لم ينتج من إبليس عابد (٦٩)	وكيف وقد أغوى صفيك آدم

٦٦- أورد هذا الأثر الخطيب في تاريخ بغداد (١١٢/١٢) ، وابن الجوزي في صفة الصفوة (٣٨٦/٢) .

٦٧- المزني هو إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل ، أبو إبراهيم ، صاحب الشافعي من أهل مصر ، كان زاهداً عالماً مجتهداً قوى الحجة وهو إمام الشافعيين ، من كتبه «الجامع الكبير» و «الجامع الصغير» والمختصر .. ولد ٢٧٥ هـ وتوفي ٣٦٤ هـ [الأعلام (٣٢٩/١)]

٦٨- أورد هذا الأثر ابن الجوزي في صفة الصفوة (٣٥٨/٢) ، ونسب الخطيب في تاريخ بغداد (٤٤٧/٧) هذه الأبيات لأبي نواس عند احتضاره .

٦٩- ورد هذا الشطر في تاريخ بغداد (٤٤٧/٧) هكذا : ولولاك لم يغو بإبليس عابد .

[بادروا بالتوبة]

إخواني : بادروا بالتوبة من الذنوب ، واقتفوا آثار التوايين ، واسلكوا مسالك الأوايين ، الذين نالوا التوبة والغفران ، وأتعبوا أنفسهم في رضا الرحمن ، فلو رأيتهم في ظلم الليالي قائمين ، ولكتاب ربهم تالين ، بنفوس خائفة ، وقلوب واجفة قد وضعوا جباههم على الثرى ، ورفعوا حوائجهم لمن يرى ولا يرى . وأنشدوا :

ألا قف بياى عند قرع النوائب وثق لى تجدنى خير خل وصاحب
ولا تبغ غيرى فتصبح نادماً ومن يتبع غيرى يعيش عيش خائن

[إسلام معروف الكرخي وأسرته]

كان أبو محفوظ معروف الكرخي^(٧٠) قد خصه الله الاجتبا في حال الصبا ، يذكر أن أخاه عيسى قال : كنت أنا وأخي معروف في المكتب وكنا نصارى وكان المعلم يعلم الصبيان أب وابن قال : فيصبح أخى معروف أحد أحد فيضربه المعلم على ذلك ضرباً شديداً حتى ضربه يوماً ضرباً عظيماً فهرب على وجهه . وكانت أمه تبكى وتقول : لمن ردّ الله علىّ معروف لأتبعنه على أى دين كان ، فقدم عليها معروف بعد سنين كثيرة فقالت له يابنى ، على أى دين أنت ؟ قال : على دين الإسلام فقالت : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فأسلمت أمى وأسلمنا كلنا^(٧١) .

٧٠- معروف بن فيروز الكرخي ، أبو محفوظ : أحد أعلام الزهاد والعباد كان من موالى الإمام على الرضى بن موسى الكاظم ، ولد في كرخ ببغداد ، ونشأ وتوفى ببغداد ، اشتهر بالصلاح كان الإمام أحمد يختلف إليه ولابن الجوزى (المصنف) كتاب في أخباره . [الأعلام (٢٦٩/٧)]

٧١- أورد هذا الأثر المصنف في «صفة الصفوة» (٣١٨/٢ ، ٣١٩)

وقال أحمد بن الفتح^(٧٢) رأيت بشر بن الحارث في منامي وهو قاعد في بستان وبين يديه مائدة وهو يأكل منها فقلت : يا أبا نصر ، ما فعل الله بك ؟ قال : رحمني وغفر لي وأباح لي الجنة بأسرها وقال لي : كل من جميع ثمارها ، واشرب من أنهارها ، وتمتع بجميع ما فيها كما كنت تحرم نفسك عن الشهوات في دار الدنيا ، فقلت له : فأين أخوك أحمد بن حنبل ؟ فقال : هو قائم على باب الجنة يشفع لأهل السنة ممن يقول القرآن كلام الله غير مخلوق ، فقلت : ما فعل الله بمعروف الكرخي ؟ فحرك رأسه وقال : هيهات ، هيهات حالت بيننا وبينه الحُجب ، إن معروفاً لم يعبد الله شوقاً إلى جنته ولا خوفاً من ناره^(٧٣) وإنما عبده شوقاً إليه فرفعه إلى الرفيق الأعلى ، ورفع الحجاب بينه وبينه ذلك الدرياق المقدس المجرب فمن كانت له إلى الله حاجة فليأت قبره وليدع فإنه يستجاب له^(*) إن شاء الله تعالى .

٧٢- أحمد بن الفتح بن موسى ، أبو بكر الأرزقي الوراق صاحب بشر بن الحارث ، حكى عن بشر حكايات .
[تاريخ بغداد (٣٤٤/٤)]

٧٣- اعلم أخى المسلم أن المؤمن يعبد الله خوفاً من ناره وطمعاً في جنته مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى واصفاً أحد أنبيائه ﴿لأنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

(٥) اعلم أن قصد قبور الصالحين ودعائهم لم ينص عليه الشرع الحنيف ولا هي من أماكن لإجابة الدعاء .. فهي مخالفة للشرع كل المخالفة . والله المستعان !!

الفصل الرابع

[يا إخوان الغفلة تيقظوا]

يا إخوان الغفلة تيقظوا ، يامقيمين على الذنوب انتهوا واتعظوا ، فبالله أخبروني من أسوء حالاً؟ من استعبده هواه أم من خسر صفقته، أمن باع آخرته بدينياه؟ فما للغفلة قد شملت قلوبكم ، وما للجهالة قد سترت عنكم عيوبكم ، أما ترون صوارم^(٧٤) الموت بينكم لامعة ، وقوارعه^(٧٥) بكم واقعة ، وطلائعه عليكم طالعة ، وفجائعه لعذركم قاطعة ، وسهامه فيكم نافذة ، وأحكامه بنواصيكم آخذة ، أتطمعون في بقاء الأبعد؟ كلا والواحد الصمد ، إن الموت لبالمرصاد ، ولا يبقى على والد ولا ولد ، فجدوا -رحمكم الله- في خدمة مولاكم ، وأقلعوا عن الذنوب فلعله يتولاكم .

[تواضع العابدين]

ويروى عن محمد بن قدامة قال : لقي بشر بن الحارث^(٧٦) رجلاً سكراناً فجعل السكران يقبله ويقول : ياسيدي أبا نصر ولا يدفعه بشر عن نفسه ، فلما ولى ، تغرغرت عيننا بشر بالدموع ، وقال : رجل أحب رجلاً على خير توهمه فيه ولعل الحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله ، قال : فوقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت : يا أبا نصر لعلك تشتبهى من هذا شيئاً؟ قال : لا

٧٤- صوارم : السيوف القاطعة الباترة . [الوسيط (١/٥١٣)]

٧٥- قوارع : جمع قارعة وهى المصيبة . [الوسيط (٢/٧٢٨)]

٧٦- بشر بن الحارث بن على بن عبد الرحمن المروزي ، أبو نصر المعروف بالحاق : من كبار الصالحين ، له في الزهد والورع أخبار ، وهو من ثقات رجال الحديث من أهل « مرو » سكن بغداد وتوفى بها ، (ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفى ٢٢٧ هـ) . [الأعلام (٢/٥٤)]

ولكن نظرت في هذا إذا كان يطعم لمن يعصيه فكيف من يطيعه ماذا يطعمه في
الجنة ويسقيه (٧٧) .

[تحذير إلى الغافل]

إخواني : ما الغافل إلى كم يلام ، أما توقظه الليالي والأيام ، أين سكان
القصور والخيام ، دار - والله - عليهم كأس الحمام ، فالتقطهم الموت كما يلتقط
الحب الحمام ، ما للمخلوق فيها دوام ، طويت الصحف وجفت الأقلام .
وأنشدوا :

دعوني على نفسي أنوح وأندب	بدمع غزير أو أكف تصب
دعوني على نفسي أنوح لأنني	أخاف على نفسي الضيعة (٧٨) تعطب (٧٩)
فمن لي إذا نادى المنادى بمن عصي	إلى أين ألقأ أم إلى أين أهرب
فيأطول حزني ثم ياطول حسرتي	إذا كنت في نار الجحيم أعذب
وقد ظهرت تلك القبائح كلها	وقد قرب الميزان والنار تلهب
ولكنني أرجو الإله لعله	يحسن رجائي فيه لي يتوهب
ويدخلني دار الجنان بفضله	فلا عمل أرجو به أتقرب
سوى حب طه الهاشمي محمد	وأصحابه والآل من قد ترهبوا

٧٧ - أورد هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣٢٧/٢) .

٧٨ - كذا بالأصل ولعلها (العصية) ليستقيم الوزن والمعنى .

ومعنى (العصية) : المخالفة لأمر الله [الوسيط (٦٠٦/٢)]

٧٩ - تعطب : تهلك وتفسد . [الوسيط (٦٠٧/٢)]

[شدة الحساب]

قال رسول الله - ﷺ - : «يؤتى برجل يوم القيامة قد جمع المال من الحلال وأنفق في الحلال فيقال له : قف للحساب فيحاسب على كل حبة وذرة ودانق من أين أخذه وفيما أنفقه» (٨٠) ثم قال - ﷺ - : «يا بن آدم ما تصنع بالدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب» (٨١) وأنشدوا :
فلا تأمن لدى الدنيا صلاحاً فإن صلاحها عين الفساد
ولا تفرح لمال تقتنيه فإنك فيه معكوس المراد

[البسطامي عند موته]

قال بعض السلف : إن أبا يزيد البسطامي (٨٢) بكى عند موته ثم ضحك ثم فارق الدنيا، فرئى في المنام بعد موته فقيل له : لم بكيت قبل الموت ثم ضحكت ؟ فقال : لما كنت في النزع أتاني إبليس لعنه الله وقال لي : يا أبا يزيد أفلت من شبكتي فبكيت حيثئذ إلى الله تعالى فنزل عليّ ملك من السماء وقال لي : يا أبا

٨٠ - لم أقف عليه .

٨١ - حديث ضعيف جداً : أورده الديلمي (٨١٩٢ - الفردوس) وعزاه السيوطي في جامع الجوامع (٩٤٦/١) إلى الدارقطني والديلمي عن ابن عباس .
- وعزاه العراق إلى ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب .

٨٢ - أبو اليزيد البسطامي ، ويقال بإيزيد : هو طيفور بن عيسى البسطامي : زاهد مشهور له أخبار كثيرة ، كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر . سبته إلى سظام (بلدة بين خراسان والعراق) أضله منها ووفاته فيها ، وفي المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية ولد ١٨٨ هـ وتوفي ٢٦١ هـ .
[الأعلام (٢٣٥/٣)]

يزيد يقول لك رب العزة لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة فضحكت عند ذلك وفارقت الدنيا . وأنشدوا :

وقلت وأجفاني تفيض دموعها ذليل حزين مطرق الطرف نادم
وكل مسيء أوبقته ذنوبه (*)
فيارب ذنبي قد تعاظم قدره وأنت بما أشكوه يارب عالم
وأنت رؤوف بالعباد مهيمن حلیم كريم واسع العفو راحم

كم من يوم قطعته بالتسوية ؟ ، كم من سبب أضعت في التكليف ؟! كم من
أذن سماعة لا يزجرها التخويف ؟! .

[احتضار جابر بن زيد]

ولما حضرت جابر بن زيد^(٨٣) الوفاة قيل : ما تشتهي ؟ قال : نظرت في
وجه الحسن^(٨٤) فبلغ ذلك الحسن فجاءه ودخل عليه^(٨٥) وقال له : يا جابر ،
كيف تجددك ؟ قال : أجد أمر الله غير مردود ، يا أبا سعيد ، حدثني حديثاً سمعته
من رسول الله - ﷺ - فقال الحسن : يا جابر ، قال رسول الله - ﷺ - :

(*) سقط الشطر الثاني من هذا البيت ولعله سقط من النسخ .

٨٣- جابر بن زيد الأزدي البصري أبو الشعثاء ، تابعي فقيه ، من الأئمة ، من أهل
البصرة . أصله من عمان ، صاحب ابن عباس وكان من بحور العلم وصفه الشماخي (وهو
من علماء الإباضية) بأنه أصل المذهب وأسه الذي قامت عليه أطامه . نفاه الحجاج إلى
عمان وفي كتاب الزهد للإمام أحمد : لما مات جابر بن زيد قال قتادة : اليوم مات أعلم أهل
العراق . ولد (٢١ هـ) وتوفي (٩٣ هـ) [الأعلام (١٠٤/٢)]

٨٤- الحسن : يقصد الحسن البصري التابعي الجليل - رضي الله عنه - وقد سبقت
الترجمة له .

٨٥- هذا الأثر إلى قوله (ودخل عليه) أورده أبو نعيم في «حلية الأولياء»
(٨٩/٣) .

«المؤمن من الله على سبيل حير ، إن تاب قَبْلَهُ ، وإن استقال أقاله ، وإن اعتذر إليه قَبْلَ اعتذاره وعلامة ذلك قبل خروج روحه يجد برداً على قلبه»^(٨٦) فقال حابر : الله أكبر إلى لأحد برداً على قلبي ، ثم قال : اللهم إن نفسي تطمع في ثوابك فحقق ظني ، وآمن خوفي وجزعي ثم تشهد ومات .

[سبب توبة داود الطائي]

وكان سبب توبة داود الطائي^(٨٧) أنه دخل المقبرة فسمع امرأة عند قبر تبكي وتقول :

تَزِيدُ بلى فِي كُلِّ يَوْمٍ وَليلةٍ وَتُسَلِّي كما تبلى وَأنت حبيبٌ
مقيمٌ إلى أن يبعثَ اللهَ خَلْقَهُ لِقَاؤِكَ لا يُرجى وَأنت رقيبٌ^(٨٨)

الفصل الخامس

[اقرأوا صحف العبر]

إخواني ، رودوا هذه النفوس بزمان ، وازجروا هذه القلوب عن الآثام ، واقرأوا صحف العبر بالأسنة الأفهام ، يامن أجله خلفه ، وأمله قدامه ، يامقتحماً على الجرائم أى اقتحام ، انتهوا يانوام كم ضيعتم من أعوام ، الدنيا كلها منام وأحلى ما فيها أحلام ، غير أن عقل الشيخ فيها كعقل الغلام ، فكل من قهر نفسه فيها فهو

٨٦- حديث ضعيف : من مراسيل الحسن البصري .

٨٧- داود الطائي : داود بن نصير الطائي أبو سليمان : من أئمة العباد ، كان في أيام المهدي العباسي ، أصله من خراسان ومولده بالكوفة رحل إلى بغداد فأخذ عن أبي حنيفة وغيره وعاد إلى الكوفة فاعتزل الناس ولزم العبادة إلى أن مات فيها سنة ١٦٥ هـ .

[الأعلام (٣٢٥/٢)]

٨٨- أورد هذا الأثر المصنف في «صفة الصفوة» (١٣٢/٣) .

الهمام^(٨٩) ، هذه الغفلة قد تناهت ، والمصائب قد تدانت فإننا لله وإنا إليه راجعون والسلام .

[عاقبة حب الدنيا]

مر عيسى عليه السلام - على قرية فوجد كل من فيها أمواتاً وهم مطروحون على وجوههم في الأزقة فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك وقال : يامعشر الحواريون إن هؤلاء القوم قد ماتوا على سخط وغضب ولو ماتوا على رضا من الله لدفن بعضهم بعضاً ، فقالوا : ياروح الله ودنا أن نعرف قصتهم وخبرهم ، قال : فسأل الله عز وجل في ذلك فأوحى الله إليه : إذا كان الليل ناد بهم فإنهم يجيئون ، فلما كان الليل صعد عيسى على شرف^(٩٠) ونادى يا أهل القرية ، فأجابه مجيب من بينهم لبيك ياروح الله ، فقال : ما قصتكم ؟ وما خبركم ؟ فقال : ياروح الله ، بتنا في عافية وأصبحنا في الهاوية ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لحبنا في الدنيا وطاعتنا لأهل المعاصي ولم نأمر بالمعروف ، ولم ننه عن المنكر ، فقال له عيسى - عليه السلام - : كيف كان حبكم للدنيا قال : كحب الصبي لأمه ، إذا أقبلت فرحنا ، وإذا أدبرت حزنا وبكينا ، فقال له عيسى - عليه السلام - : يا هذا ، ما بال أصحابك لم يجيئوني ؟ قال : إنهم ملجمون بلجام من النار بأيدي ملائكة غلاظ شداد ، قال : وكيف أجبتني أنت من بينهم ؟ قال : إني كنت فيهم ولم أكن منهم فلما نزل بهم العذاب لحقني معهم فأنا الآن معلق على شفير جهنم لا أدري ألأنجو منها أم أكب فيها^(٩١) . أعاذنا الله منها .

[الوسيط (٩٩٥/٢)]

٨٩- الهمام : السيد الشجاع السخي .

٩٠- شرف : الشرف : الموضع العالي يشرف على ما حوله . [الوسيط (٤٨٠/١)]

٩١- أورده أبو نعيم في الحلية (٤/٦١ ، ٦٢) وابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا »

(ص/١٠٢ ، ١٠٣) رقم ٢٨٢ ، وأورده الغزالي في الإحياء (٢٠١/٣) .

[العمر]

يا من يسير بعمره وقد تعدى الحدود، ابك على مصيبتك فإنك مطرود ،
يا من عمره يشهد به ، وليس الماضي يعود ، قد أسمعك المواعظ من إرشادها
نصحاً ، وأخبرك الشيب أنك بالمرت ثقفد ، وناداك لسان الاعتبار ﴿يا أيها
الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً﴾^(٩٢) . وأنشدوا :

لما انقضى زمن التواصل والرضا قد صيرت تطلب رداً أمر قد مضى
هلاً أتيت ووقت وصلك ممكن وياض شيبك في العوارض قد هنى

[أوان الاستغفار]

يا أخى ، هذا أوان الرجوع والاستغفار ، والإقلاع عن الذنوب والأوزار ، « من
بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره فليتهجز إلى النار »^(٩٣) .
وأنشدوا :

أُتيتك راجياً يا ذا الجلال	ففرّج ما ترى من سوء حالى
عصيتك سيدى وئلى بجهلى	وعيب الذنب لم يخطر ببالى
إلى من يشتكى المملوك إلا	إلى مولاه يامولى الموالى
فَوئلى ليت أُمى لم تلدنى	ولا أعصيك فى ظلم الليالى
وها أنا ذا عُبيدك عبدٌ سوءٍ	ببابك واقف يا ذا الجلال
فإن عاقبت يارب فإئنى	محق بالعذاب وبالنكال
وإن تعفو فعفوك أرتجيه	ويحسن إن عفوت فبيح حالى

٩٢ - سورة الانشقاق : الآية ٦ .

٩٣ - هذا الحديث قال عنه المصنف فى الموضوعات : هذا حديث لا يصح عن
رسول الله ﷺ - [انظر الموضوعات لابن الحوزى (١٧٩/١)]

[الدنيا دار تكليف وامتحان]

يقول الله عز وجل : عبادى ، أما علمتم أنى جعلت الدنيا دار تكليف وامتحان وأنى لا أخص بمنازل الفضل والإحسان ، إلا من تاب إلىّ فيها عن مواطن الزلات والعصيان ، فمالكم ما أتيتم لبائى ، ولا رغبتم فى جزيل فضلى وثوائى ، ولا خفتكم من أخذى وعقابى ؟!

[قطرات الدموع]

فيامن جلت غفلته ، وطالت سكرته ، تأمل عطف المولى عليك وإحسانه إليك ، فبالله عليكم خطوا بالتوبة عن ظهوركم أحمال الخطايا والذنوب ، وأقبلوا بقلوبكم إلى علام الغيوب ، واغسلوا وجوهكم بقطرات الدموع واشتملوا^(٩٤) بأردية التذلل والخضوع . وأنشدوا :

ركبتُ مأثمى فلقيت ذلاً وسالت عبرتى طلاً ووبلاً^(٩٥)
وصرتُ أَعَاتِبُ القلبَ المبلأ إلى من يشتكى المملوك إلا
إلى مولاه يامولى الموالى فلطفك بى إله العرش أولى

٩٤ - اشتملوا : اشتمل بثوبه : أداره على جسده كله حتى لا تخرج منه يده .

[الوسيط (١/٤٩٥)]

٩٥ - طلاً : الطل : المطر الخفيف يكون له أثر قليل .

ووبلاً : الوبل المطر الشديد ، الضخم القطر .

والمعنى - والله أعلم - ذرفت الدمع قليلاً وكثيراً .

الفصل السادس

[شمروا لأخراكم]

إخواني ، انتبهوا من غفلتكم فنوم الغفلة ثقيل ، وشمروا لآخرتكم فإنما الدنيا منزل وفي طريقها مقيل .

جاء في بعض الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه - عليهم السلام - « يا نبي ، شتان بين من عصاني وخالف أمري وبين من قطع عمره في معاملي وذكرى ولزم الوقوف بياني » . .

فيا خجلة الخطئين ، وياندامة البطالين . وأنشدوا :
اخلو بنفسك إن أردت تقرباً ودع الأنام بمعزل ياعاني
واعمل على قطع العلائق جملة فالعيش في خرق الحجاب الفاني

[من المفلس ؟]

وفي الخبر أن النبي - ﷺ - قال ذات يوم لأصحابه : يا أصحابي أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يارسول الله ، المفلس عندنا من ليس له دينار ولا درهم . فقال لهم : ليس هو ذلك ، إنما المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وصدقة ثم يأتي وقد شتم هذا ، ولطم هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا كذلك حتى تفنى حسناته قبل أن يؤدي ما عليه فتؤخذ خطاياهم فتحمل على خطاياهم ويقذف في النار (٩٦) . فهذا هو المفلس نعوذ بالله من الحرمان .

٩٦ - حديث صحيح : رواه مسلم (٢٥٨١) ، وأحمد (٣٠٣/٢) ، والترمذي (٢٤١٨) ، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٣/٦) ، والبعث في شرح السنة (٧٥/٦) ، والخطيب في تاريخه (٢٣/٤) .

[كرامة لابن أدهم]

قال بعض الصالحين : أتيت إبراهيم بن أدهم لأزوره فطلبت في المسجد فلم أجده فقليل لي : إنه خرج الآن من المسجد فخرجت في طلبه فوجدته في بطن واد نائم في زمان الحر وحية عظيمة عند رأسه وفي فم الحية غصن من الياسمين وهي تطرد عنه الذباب فبقيت متعجباً من ذلك وإذا بالحية قد أنطقها الله الذي أنطق كل شيء فقالت لي : مم تتعجب أيها الرجل ؟ فقلت : من فعلك هذا وأكثر تعجبي من كلامك وأنت عدوة لبني آدم ، فقالت لي : والله العظيم ما جعلنا الله أعداء إلا للعاصي ، وأما أهل طاعته فنحن لهم منقادون^(٩٧) . وأنشدوا :

فِعالِي قَبِيحٌ وَظَنِّي حَسَنٌ	وَرَبِّي غَفُورٌ كَثِيرُ الْمَنِّ
تَبَارَزُ مَوْلَاكَ يَأْمَنُ عَصِي	وَتَخْشَى مِنَ الْجَارِ لَمَّا فَطِنَ
رَكِبْتُ الْمَعَاصِي وَشَبَّيْتُ مَعِيَ	فَوَاللَّهِ يَأْنِفُسُ مَا ذَا حَسَنِ
فَقُومِي الدِّيَاجِي لَهُ وَارْغَبِي	وَقُولِي لَهُ يَاعَظِيمَ الْمَنِّ
وَقُولِي لَهُ يَاعَظِيمَ الرَّجَا	إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْفُ عَنِّي فَمَنْ
يَحَقُّ التَّيْبِي هُوَ الْمُصْطَفَى	يَحَقُّ الْحُسَيْنُ بِحَقِّ الْحَسَنِ ^(٩٨)
أَيُدْفَعُ مِثْلِي إِلَى مَالِكٍ ^(٩٩)	وَتَعْلَمُ أَلَيْ ضَعِيفُ الْبَدَنِ

[ألا تبكون]

جلس الحسن البصري ذات يوم يعظ الناس فجعلوا يزدهمون عليه ليقربوا منه فأقبل عليهم وقال : يا إخواني ، تزدهمون عليّ لتقربوا مني فكيف بكم غداً في

٩٧- هذا الأثر أورده المصنف في «صفة الصفوة» (١٥٧/٤) بنحوه .

٩٨- لا يجوز شرعاً سؤال الله بحق أحد لأنه ليس لأحد حق على الله فهذا الذي ذكرها باطل جملة وتفصيلاً ولزيد من التفصيل انظر كتاب «التوسل» للشيخ ناصر الدين الألباني أكرمه الله .

٩٩- المراد هنا «مالك» خازن النار .

القيامة إذا قربت مجالس المتقين وأبعدت مجالس الظالمين ، وقيل للمخففين جوزوا وللمثقلين حطوا ، فياليت شعري أعم المثقلين أحط أم مع المخففين أجوز ؟ ثم بكى حتى غشى عليه وبكى من حوله فأقبل عليهم وناداهم : يا إخواني ، ألا تبكون خوفاً من النار ؟ ألا من بكى خوفاً من النار نجاه الله منها يوم : يُجر الخلائق بالسلاسل والأغلال .

يا إخواني ، ألا تبكون عطشاً إلى الله ، ألا وإن من بكى شوقاً إلى الله لم يحرم من النظر غداً إلى الله إن تجل بالرحمة واطلع بالمغفرة واشتد غضبه على العاصي .

يا إخواني ، ألا تبكون من عطشى يوم القيامة يوم يحشر الخلائق وقد ركبت شفاههم ولم يجدوا ماء إلا حوض المصطفى - ﷺ - فيشرب قوم ويمنع آخرون ، ألا وإن من بكى من خوف عطش ذلك اليوم سقاه الله من عيون الفردوس ، ثم نادى الحسن - رضي الله عنه - : واويلاه إذا لم يرو عطشى يوم القيامة من حوض المصطفى - ﷺ - ، ثم بكى وجعل يقول : والله لقد مررت ذات يوم بامرأة من المتعبدات وهي تقول : إلهي قد سئمت الحياة شوقاً ورجاء فيك فقلت لها : يا هذه أترائي على يقين من عملك ؟ فقالت : حبتي فيه وحرصتي على لقائه بسطني ، أتراه يعذبني وأنا أحبه ؟ فبينما أنا كذلك أخاطبها إذ مرّني صغير من بعض أهلي فأخذته في ذراعي وضممته إلى صدرى ثم قبلته فقالت لي : أتحب هذا الصبي ؟ قلت : نعم ، قال : فبكث ، وقالت : لو يعلم الخلائق ما يستقبلون غداً ما قرأت أعينهم ولا التذت قلوبهم بشيء من الدنيا أبداً ، قال : فبينما أنا كذلك إذ أقبل ولد لها يقال له : ضيغم^(١٠٠) ، فقالت : يا ضيغم أتراني أراك غداً يوم القيامة في المحشر ويحال بيني وبينك ؟ قال : فصاح الفتى صيحة ظننت أنه قد انشق قلبه ، ثم خر مغشياً عليه فجعلت تبكي عليه وبكيت لبكائها ، فلما أفاق من غشيته قالت له : يا ضيغم ، قال لها : لييك يأماء ، قالت : أتحب الموت ؟ قال : نعم ، قالت لم

١٠٠ - ضيغم بن مالك من أهل البصرة وكان من العابدين فقد قال عنه سيار بن حاتم : كان ورد ضيغم كل يوم أربعمئة ركعة ، وهذا الأثر ورد مختصراً بصفة الصفوة للمصنف (٣/٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠) .

يابنى ؟ قال : لأصير إلى من هو خير منك وهو أرحم الراحمين ، إلى من غَدَانِي في ظلمة أحشائك وأخرجني من أضيق المسالك ولو شاء لأماتني عند الخروج من ضيق ذلك المسلك حتى تموت أنت من شدة أوجاعك لكنه برحمته ولطفه سهّل عليّ وعلىك ذلك أما سمعته عز وجل يقول : ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾ (١٠١) وجعل يبكي وينادى : أواه أواه إن لم أنج غداً من عذاب الله ، ولم يزل يبكي حتى غشى عليه وسقط في الأرض ، فذنت منه أمه فلمسته بيدها فإذا هو ميت رحمه الله . فجعلت تبكي وتقول : يا ضيغماه ، يا قتيل مولاه ، ولم تزل كذلك حتى صاحت صيحة عظيمة ووقعت في الأرض ، قال : فحركتها فإذا هي قد ماتت رحمة الله عليه وعليها ورحمنا أجمعين .

الفصل السابع

[عاقبة النظرة]

إخوانى ، الدنيا سموم قاتلة ، والنفوس عن مكائدها غافلة ، كم من نظرة تجلو فى العاجلة ومرارتها لا تطاق فى العاقبة الآجلة .

يا ابن آدم قلبك قلب ضعيف ورأيتك فى إطلاق الطرف رأى مخيف ، عينك مطلوقة ، ولسانك يبنى الآثام ، وجسدك يتعب فى كسب الحطام ، كم من نظرة محتقرة زلت بها الأقدام . وأنشدوا :

عَاتَبْتُ قَلْبِي لَمَّا رَأَيْتُ جِسْمِي نَحْلًا
فَلَامَ قَلْبِي طَرْفِي وَقَالَ كُنْتُ الرِّسُولَا
فَقَالَ طَرْفِي لِقَلْبِي بَلْ كُنْتَ أَنْتَ الدَّلِيلَا
فَقُلْتُ كُفَّا جَمِيعَا تَرَكْتَانِي قَتِيلَا

كان عيسى - عليه السلام - يقول : النظرة تزرع فى القلب الشهوة^(١٠٢) .
وقال الحسن : من أطلق طرفه كثر ألمه^(١٠٣) .

قال [إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب]^(١٠٤) :
ومن كان يؤتى من عدو وحاسد فإنى من عيني أوتى ومن قلبى

١٠٢ - أورد هذا الأثر الغزالى فى « إحياء علوم الدين » (٩٨/٣) ، وأورده كذلك المصنف فى « ذم الهوى » (ص ٨٠) .

١٠٣ - أورد هذا الأثر المصنف فى « ذم الهوى » (ص ٨١) .

١٠٤ - ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من كتاب المصنف « ذم الهوى » (ص

وقد روى عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن رجلاً جاء إلى رسول الله -ﷺ- وهو يتشلسل (١٠٥) دماً . فقال له النبي -ﷺ- : مالك ؟ فقال مرت بي امرأة فنظرت إليّ فلم يزل يتبعها بصرى فاستقبلني جدار فضربنى فصنع بي ما ترى فقال النبي -ﷺ- : إن الله إذا أراد بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا (١٠٦) .

قال أبو يعقوب النهرجوري (١٠٧) : رأيت في الطواف رجلاً بفرد عين وهو يقول في طوافه : أعوذ بك منك، فقلت له : ما هذا الدعاء ؟ فقال : إني مجاور منذ خمسين سنة، فنظرت إلى شخصي يوماً فاستحسنته وإذا بلطمة قد وقعت على عيني فسالت على خدي، فقلت : آه فوقعت أخرى وقائل يقول : لو زدت لزدناك (١٠٨) . وأنشدوا :

دعوني أناجي مولى جليلاً	إذ الليل أرخى على السدولا
نظرت إليك بقلب ذليل	لأرجو به يا إلهي القبولاً
لك الحمد والمجد والكبرياء	وأنت الإله الذي لن يزولا
وأنت الإله الذي لم يزل	حميداً كريماً عظيماً جليلاً
ثميت الأنام وتحيى العظام	وتنشئ الخلائق جيلاً فجيلاً
عظيم الجلال كريم الفعال	جزيل النوال تنيل السؤالا
حيب القلوب غفور الذنوب	مدارى العيوب ثقل الجهولا
وتعطى الجزيل وتولى الجميل	وتأخذ نقداً وذاك القليلاً
خزائن جودك لا تنقضى	تعم الجواد بها والبخيلاً

١٠٥ - يتشلسل : يتتابع ويتقاطر ويتصبب . [الوسيط (١/٤٩٢)]

١٠٦ - رواه أحمد بن حنبل (٨٧/٤) ، وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٩١) للطبراني وكذلك أورده المصنف في «ذم الهوى» (ص ١٠٥) .

١٠٧ - أبو يعقوب النهرجوري : هو إسحاق بن محمد النهرجوري : من العلماء العباد . نسبته إلى نهر حور قرية بالقرب من الأهواز (رحل إلى الحجاز ، وأقام مجاوراً بالحرم سنين كثيرة ومات بمكة . توفي (٥٣٣٠هـ) . [الأعلام (١/٢٩٦)]

١٠٨ - هذا الأثر أورده المصنف في «ذم الهوى» (ص ١٠٦) .

[حكاية عبد صالح]

قال بعض العارفين : خرجنا من أرض العراق نريد مكة ومدينة المصطفى - ﷺ - وكنا في رفقة كبيرة من الناس فإذا نحن برجل من أهل العراق وقد خرج معنا رجل به أدمة^(١٠٩) في شعره وهو مصفر اللون قد ذهب الدم من وجهه مما قد بلغت فيه العبادة وعليه ثياب خلقة من رقاع شتى ويده عصي ومعه مزود^(١١٠) فيه شيء من الزاد .

قال : وكان ذلك الرجل العابد الزاهد ناوياً الغرى فلما نظر إليه أهل القافلة على تلك الحالة أنكروه ، وقالوا له : نظن أنك عبد سوء ؟ قال : نعم . قالوا : أتظن أنك عبد سوءٍ وهربت من مولاك . قال لهم : نعم . قالوا : كيف رأيت نفسك حين هربت من مولاك وما صار حالك إليه ؟ أما إنك لو عزك ما كانت هذه حالتك ، وإنما أنت عبد سوء مقصر ، فقال لهم : نعم أنا عبد سوء ونعم المولى مولاي ومن قبل التقصير ، ولو أطعته وطلبت رضاه ما كان من أمرى هذا وجعل ييكى حتى كادت نفسه أن تزهق قال : فرحمه القوم وظنوا أنه يعنى مولاً من موالى الدنيا ، وهو ما كان يريد بذلك إلا رب العزة ، فقال له رجل من أهل القافلة : لا تخف أنا آخذ لك من مولاك الأمان ، فارجع إليه وتب .

قال : وكان خرج زائراً إلى قبر رسول الله - ﷺ - فسارت القافلة ذلك اليوم وسار معهم وجدوا في السير فلما كان الليل نزلوا في فلاة من الأرض وكانت ليلة شاتية باردة كثيرة المطر ، فأوى كل واحد من أهل القافلة إلى رحله وخبائه ، ولم يأو إلى شيء ، ولم يسأل أحداً شيئاً . قال : وقد كان آلى^(١١١) على نفسه أن لا يسأل شيئاً من أمور الدنيا لمخلوق وإنما تكون حوائجه إلى الله سبحانه ، فبلغ به البرد تلك الليلة مبلغاً شديداً ، حتى اضطربت خوارحه من شدة البرد ، واشتد عليه سلطان البرد حتى مات في جوف الليل .

[الوسيط (١٠/١)]

١٠٩ - أدمة : أى شديد السمرة .

[الوسيط (٤٠٦/١)]

١١٠ - مزود : وعاء يوضع فيه الزاد .

[الوسيط (١٢٥/١)]

١١١ - آلى : حلف وأقسم .

فلما أصبحوا وأرادوا الرحيل نادوه قم أيها الرجل فإن الناس قد رحلوا ، فلم يجيبهم فأتاه رجل قريب منه فحركه فوجده ميتاً - رحمه الله - فنادى : يا أهل القافلة ، إن العبد الهارب من سيده قد مات ولا ينبغي لكم الرحيل حتى تدفنوه ، قالوا : وما الحيلة في أمره ، فقال لهم رجل صالح كان معهم : إن هذا العبد كان عبداً تائباً راجعاً إلى مولاه نادماً على ما صنع ونحن نرجو أن ينفعنا الله به وقد قبل توبته ونخاف أن نُسئل عنه إن تركناه غير مدفون ولا بد أن تصبروا حتى تحفروا له قبراً وتدفعوه فيه ، فقالوا : هذا موضع ليس فيه ماء ، فقال بعضهم لبعض : أسألوا الدليل فسألوه فقال : إن بينكم وبين الماء ساعة ولكن أرسلوا معي واحداً وأنا آتيكم بالماء ، فأخذ الدليل دلواً وسار إلى الماء .

فلما خرج من القافلة إذ هو بغدير من الماء ، فقال الدليل : هذا هو العجب الذي لم أر مثله هذا موضع ليس فيه ماء ولا على قرب منه فرجع إليهم وقال لهم : قد كفيتم المؤنة عليكم بالخطب فجمعوه ليسخنوا به الماء من شدة البرد ثم أتوا إلى الماء ليأخذوه فوجدوه سخناً يغلي فازدادوا تعجباً وفزعوا من ذلك الرجل وقالوا : إن لهذا العبد قصة وشأننا .

قال : فأخذوا في حفر قبره فوجدوا التراب ألين من الزبد والأرض تفوح مثل المسك الأذفر^(١١٢) ولم يشموا في دار الدنيا أطييب منه رائحة ، فعند ذلك أشتد خوفهم وملئوا رعباً وفزعاً وكانوا إذا نظروا إلى التراب وإذا شموا وجدوا رائحته كرائحة المسك فضربوا له خبأً وأدخلوه فيه وتنافسوا في كفنه فقال رجل من القوم : أنا أكفنه وقال آخر : أنا أكفنه فاتفق رأيهم على أن يجعل كل واحد منهم ثوباً ثم أنهم أخذوا دواة وقرطاساً وكتبوا صفته ونعته وقالوا : إذا وصلنا إن شاء الله إلى المدينة ، فلعل من يعرفه .

وجعلوا الكتاب في أوعيتهم ، فلما أرادوا أن يُغسلوه وأرادوا أن يكفنوه كشفوا الخبأ الذي كان عليه فوجدوه مكفناً بكفن من الجنة لم ير الراعون مثله ، ووجدوا على كفنه مسكاً وعنبراً وقد ملأت رائحة حنوطه الدنيا ، وعلى جبينه خاتم من مسك وعلى قدميه كذلك فقالوا : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،

إن الله عز وجل قد كفنه وأغناه عن أكفان العباد ونرحو الله تعالى أنه قد أوجب لنا الجنة ورحمنا ببركة هذا العبد الصالح وندموا ندامة شديدة على تركه تلك الليلة حتى مات بالبرد ثم لأنهم حملوه ليدفنوه ووضعوه في بقعة سهلة ليُصلُّوا عليه . فلما كبروا سمعوا صوت التكبير من السماء إلى الأرض ومن المشرق إلى المغرب وأغلقت أفئدتهم وأبصارهم ولم يدروا كيف صلوا عليه من شدة الجزع وعظيم رعبهم مما سمعوا فوق رؤوسهم فحملوه يريدون قبره فكأنه يخطف من بينهم ولا يجدون له ثقلاً حتى أتوا به إلى القبر ليدفنوه فدفنوه ورجع القوم وقد تعجبوا من أمره .

فلما قضوا سفرهم وأتوا إلى مسجد الكوفة ، وأخبروا بخبره وما كان من صفته ، فعند ذلك عرفه الناس وارتفعت الأصوات بالبكاء في مسجد الكوفة ، ولولا ذلك ما عرف أحد بموته ولا بمكان قبره لاختفائه عن الناس وهروبه منهم -رضى الله عنه - ونفعنا ببركاته آمين .

الفصل الثامن

[آه من قلة الزاد وبعد الطريق]

إخواني : إلى كم هذه الغفلة وأنتم مطالبون بغير مهلة ، فبالله عليكم تعاهدوا أيامكم بتحصيل العُدَد ، وأصلحوا من أعمالكم ما فسد ، وكونوا من آجالكم على رصيدٍ ، فقد آذنتكم الدنيا بالدهاب ، وأنتم تلعبون بالآحل وبين أيديكم يوم الحساب .

آه من ثقل الحمل وسوء الرفيق ، آه من قلة الزاد وبعد الطريق .

[ذم الغرور]

فيا أيها المغرور بإقباله ، المفتون بكواذب أماله الذي غاب عن الصواب وهو في فعله كذاب ، يابطل إلى كم تؤخر التوبة وما أنت في التأخير بمعذور ؟ إلى متى يقال عنك مفتون ومغرور ؟ يامسكين قد انقضت أشهر الخير وأنت تعد الشهور ، أترى أنت مقبول أم أنت مطرود ، أترى مواصل أنت أم مهجور ، أترى تركب النجب^(١١٣) غداً أم أنت على وجهك مجرور ، أترى من أهل الجحيم أنت أم من أرباب النعيم والقصور ؟ فاز - والله - المتحفون ﴿ وخسر هنالك المبطلون ﴾^(١١٤) ﴿ ألا إلى الله تصير الأمور ﴾^(١١٥) . وأنشدوا :

مالي أراك على الذنوب مواظباً أخذت من سوء الحساب أماناً
لا تغفلن كأن يومك قد أتى ولعل عمرك قد دنا أو حانا
ومضى الحبيب لحفر قبرك مسرعاً وأتى الصديق فأنذر الجيرانا

[الوسيط (٩٠١/٢)]

١١٣ - النجب : خيار الإبل وأفضلها .

١١٤ - سورة غافر : الآية ٧٨ .

١١٥ - سورة الشورى : الآية ٥٣ .

وَأَتُوا بَعْثَالٍ وَجَاءُوا نَحْوَهُ وَبَدَأَ بِعَسَلِكَ مَيْتاً غُرْبَانَا
فَقُسِلَتْ ثُمَّ كُسِيَتْ ثَوْباً لِلْبَلَى وَدَعَا لِحَمَلِ سَرِيرِكَ الْإِخْوَانَا
وَأَتَاكَ أَهْلُكَ لِلدَّاعِ فَوَدَّعُوا وَجَرَتْ عَلَيْكَ دَمُوعُهُمْ غُذْرَانَا
فَخَفَ إِلَهُهُ فَإِنَّهُ مِنْ خَافِهِ سَكَنَ الْجَنَانَ مَجَاوراً رِضْوَانَا
جَنَاتٍ عَدْنٍ لَا يَبِيدُ نَعِيمُهَا أَبْدَأَ بِخَالِطِ رُوحِهِ رِيحَانَا
وَلَمَنْ عَصَى نَاراً يُقَالُ لَهَا لَظَى تَشَوَّى الْوَجْهُ وَتَحْرَقُ الْأَبْدَانَا
نُبْكِي وَحَقٌّ لَنَا الْبُكَى بِأَقْرَمِنَا كَى لَا يُؤَاخِذُنَا بِمَا قَدْ كَانَا

[ملوك الموت]

قال النبي - ﷺ - : « إذا كان ابن آدم في سياق الموت بعث الله إليه خمسة من الملائكة .

أما المَلَكُ الأولُ فيأتيه وروحه في الحلقوم فيناديه : يا ابن آدم ، أين بدنك القوي ما أضعفه اليوم ، أين لسانك الفصيح ما أسكته اليوم ، أين أهلك وقرابتك ما أوحشك منهم اليوم .

ويأتيه الملك الثاني إذا قبض روحه ونشر عليه الكفن فيناديه : يا ابن آدم ، أين ما أعددت من الغنى للفقر ، أين ما أعددت من الخراب للعمران ، أين ما أعددت من الأنس للوحشة .

ويأتيه الملك الثالث إذا حمل على الأعناق فيناديه : يا ابن آدم ، اليوم تسافر سफراً بعيداً لم تسافر سफراً أبعد منه ، اليوم تزور قوماً لم تزرهم قبل هذا قط ، اليوم تدخل مدخلاً لم تدخل أضييق منه قط ، فطوبى لك إن فزت برضوان الله وويل لك إن رجعت بسخط الله .

ويأتيه الملك الرابع إذا لحد في قبره فيناديه : يا ابن آدم ، بالأمس كنت على ظهرها ماشياً ، واليوم صرت في بطنها مضطجعا ، بالأمس كنت على ظهرها ضاحكاً واليوم صرت في بطنها باكياً ، بالأمس كنت على ظهرها مذنباً واليوم أمسيت في بطنها نادماً .

ويأتيه الملك الخامس إذا سوى عليه التراب وانصرف عنه الأهل والجيران والأصحاب فيناديه : يا ابن آدم دفنوك وتركوك ، ولو أقاموا عندك ما نفعوك ، جمعت المال وتركتك لغيرك ، اليوم تصير إما إلى الجنة عالية أو إلى نار حامية (١١٦) .

[حكاية عمران وأمه]

ويروى عن بعض المتعبدين أنه قال : إلهي إني عصيتك قوياً ، وأطعتك ضعيفاً ، وأسخطتك جلدأً وخدمتك نحيفاً ، فباليث شعري هل قبلتني على لؤمي أو صرفتني على جرمي ، قال : ثم غشي عليه ووقع في الأرض وانسلخت جبهته فقامت إليه أمه وقبلته بين عينيه ومسحت جبهته وهي تبكي وتقول : قرّة عيني في الدنيا وثمرّة فؤادي في الآخرة كلم عجوزك الثكلي ورد جواب أمتك الحرة قال : فأفاق الفتى من غشيته ويده قابضة على كبده وروحه تتردد في جسده ودموعه تنسكب على خده ولحيته فقال لها : يا أمّاه هذا اليوم الذي كنت تحذريني منه ، وهذا هو المصرع الذي كنت تخوفيني منه ، هذا مصرع الأهوال ، وسقوط عثرة الأثقال ، فيأسفاً على الأيام الخالية ، وياجزعي من الأيام الطوال التي لم أعرج فيها على الأقبال ، يا أمّاه أنا خائف على نفسي أن يطول في النار سجنى وحسبى ، يا حزنّاه إن رميت فيها على رأسي ، وياأسفاه إن قطعت فيها أنفاسي ، يا أمّاه افعل ما أقول لك ، فقالت له : يا بني فذلك نفسي ماذا تريد؟ قال لها : ضعي خدي على التراب وطئيه بقدمك حتى أذوق طعم الذل في الدنيا والتذلّل للسيد المولى عسى أن يرحمني وينجيني من نار لظي ، قالت أمه : فقمّت إليه في الحال وقد ألصقت خده بالتراب والدموع تجري من عينيه كالميزاب (١١٧) فوطعت خده بقدمي ، فإذا

١١٦- لم أقف عليه .

١١٧- الميزاب : المزراب : وهي أنبوبة من الحديد ونحوه تركب في جانب البيت من أعلاه لينصرف منها ماء المطر المتجمع .
- والمعنى تصببت دموعه بكثرة .

هو ينادى بصوت ضعيف : هذا جزاء من لم يقف بباب المولى ، هذا جزاء من لم يراقب العلى الأعلى ، قالت : ثم تحول إلى القبلة وقال : لبيك لبيك لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، قال : ثم مات فى مكانه فرأته فى المنام كأن وجهه فلقة قمر تجلى من سحاب فقالت : يا بنى ما فعل بك مولاك ؟ قال : رفع درجتى وقربنى من محمد - ﷺ - فقالت له أمه : يا بنى ما الذى سمعت منك تقول عند وفاتك ؟ فقال لها : يا أماه ، هتف بى هاتف وقال لى : يا عمران أجب داعى الله فأحبهته ولبيت رضى عز وجل ، رحمه الله .

الفصل التاسع

[سفر الدنيا والآخرة]

إخواني : السفر مكتوب علينا فما لنا نطلب الإقامة في دار فيها لنا السنون منازل والشهور مراحل ، والأيام أميال ، والأنفاس خطوات ، والمعاصي قطاع ، والريح الجنة ، والخسران النار ، خلقنا نتقلب في ستة أسفار إلى أن يستقر بنا القرار :

السفر الأول سفر السلالة من الطين .

والثاني من الصلب إلى الرحم .

والثالث من الرحم إلى ظهر الأرض .

والرابع من ظهر الأرض إلى القبر .

والخامس من القبر إلى موقف العرض .

والسادس من موقف العرض إلى دار الإقامة إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وقد قطعنا نصف الطريق وبقي الأصعب^(١١٨) .

[إياك والدنيا]

يامن يصبح في الكرب ويصبح : خل التدبير لغيرك فتستريح ، تكثر النحيب والعويل وتنسى ما سلف من الفعل الويل^(١١٩) لو رجعت إليه بقلبك لعجل عليك بتفريج همك وكربك .

١١٨ - هذه الموعظة أوردها ابن الجوزي بلفظ قريب من ذلك في كتاب « اللطائف في الوعظ » بتحقيق ونشرته دار الصحابة للتراث بطنطا انظر الفصل الخامس والأربعون منه ، وذلك من قوله « السنون منازل .. » إلى قوله « .. وبقي الأصعب » .

١١٩ - الويل : الشديد . [الوسيط (١٠٠٩/٢)]

يأخى ، إياك والدنيا فإن جهل الدنيا مبتوت ، واقنع منها بالقليل ، واعلم
أنك تموت .

[ابن المبارك فى مكة]

قال ابن المبارك^(١٢٠) : قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر وهم
يستسقون فى المسجد الحرام وكنت فى الناس من جهة باب بنى شيبه إذ أقبل غلام
أسود عليه قطعتا خيش قد اترز بإحدهما وألقى الأخرى على عاتقه فصار فى
موضع خفى إلى جانبى فسمعتة يقول : إلهى خَلَقْتُ^(١٢١) الوجوه من كثرة
الذنوب ومساوئ العيوب وقد مَنَعْتَنَا غِيثَ السموات لتؤدب الخليقة بذلك
فأسألك يا حلیم يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل ، اسقهم الساعة الساعة ، قال
ابن المبارك : فلم يزل يقول اسقهم الساعة الساعة حتى انسد الجو بالغمام
وأقبلت قطرات الركام^(١٢٢) تهطل كأفواه القرب^(١٢٣) ، وجلس مكانه يسبح الله
تعالى فأخذت فى البكاء حتى قام فاتبعته حتى عرفت موضعه فجئت إلى الفضيل

١٢٠- عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلى بالولاء ، الحميمى ، المروزى أبو
عبد الرحمن : الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات . أفنى
عمره فى الأسفار حاجاً ومجاهداً وتاجراً وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة
والسخاء كان من سكان خراسان ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من الغزو ، له كتاب
فى الجهاد وهو أول من صنف فيه والرفائق فى مجلد ولد سنة ١١٨ هـ وتوفى سنة ١٨١ هـ .
[الأعلام (١١٥/٤)]

١٢١- خَلَقْتُ : أى بَلَيْتُ . [الوسيط (٢٥٢/١)]

١٢٢- الرُّكَّام : السحاب الضخم . [الوسيط (٣٧٠/١)]

١٢٣- القَرَب : جمع قربة : وهى ظرف من جلد يخرز من جانب واحد وتستعمل
لحفظ الماء - والمعنى والله أعلم - أن المطر نزل بشدة وكأنه السيل - [الوسيط (٧٢٣/٢)]

ابن عياض^(١٢٤) فقال لى : مالى أراك كئيباً ؟ فقلت له : سبقنا إليه غيرنا فولاه دوننا قال : وما ذلك ؟ فقصصت عليه القصة فصاح وسقط فى الأرض وقال : ويحك يا ابن المبارك خذنى إليه ، قلت : قد ضاق الوقت وسأبحث عن شأنه فلما كان من الغد صليت الغداة وخرجت أريد الموضع فإذا بشيخ على باب وقد بسط له وهو جالس فلما رآنى عرفنى وقال : مرحباً بك يا أبا عبد الرحمن وما حاجتك ؟ فقلت : احتجت إلى غلام .

فقال : نعم عندى اختر أيهم شئت ، فصاح يا غلام فخرج غلام جلد ، فقال : هذا محمود العاقبة أرضاه لك ، فقلت : ليس هذا حاجتى فما زال يخرج واحداً بعد واحد حتى أخرج إلى الغلام فلما أبصرته بدرت عيناى بالدموع فقال : هذا ؟ فقلت : نعم . فقال : ليس إلى بيعه سبيل قلت : ولِمَ ؟ قال : قد تبركت بموضعه فى هذه الدار وذلك أنه لَمَ تصبنى مصيبة ولا رزية منذ دخل عندى فى هذه الدار فقلت له : من أين طعامه ؟ فقال : يكتسب من قتل الشريط نصف دائق أو أقل أو أكثر فهو قوته ، إن باعه ذلك اليوم وإلا صبر ذلك اليوم وأخبرنى الغلمان عنه أنه لا ينام فى هذا الليل الطويل ولا يختلط بأحد منهم ، مهم بنفسه [وقد أحبه قلبى ، فقلت له أنصرف]^(١٢٥) إلى الفضيل بن عياض وسفيان الثورى بغير قضاء حاجة ثم رجعت إليه وسألته فيه بالحاح فقال : إن المثال عندى كبير خذه بما شئت .

قال : فاشتريته وسرت معه نحو دار الفضيل فمشيت ساعة فقال : يامولاي ما تريد ؟ قلت : لبيك فقال : لا تقل لبيك فإن العبد أولى بأن يلبى من المولى قلت : ما حاجتك يا حبيبي ؟ قال : أنا ضعيف البدن لا أطيق الخدمة وقد

١٢٤ - الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي ، أبو علي : شيخ الحرم المكي ، من أكابر العباد الصالحاء . كان ثقة في الحديث ، أخذ عنه خلق منهم الشافعي ، ولد في سمرقند ونشأ بأبيورد ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها ثم سكن مكة وتوفي بها . ولد سنة ١٠٥ هـ وتوفي ١٨٧ هـ . [الأعلام (١٥٣/٥)]

١٢٥ - ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من صفة الصفوة (٢٧٠/٢) .

كان لك في غيرى سعة وقد أخرج لك من هو أجلد منى وأثبت ، فقلت له : لا يرانى الله تعالى استخدمك ولا كان اشتراى لك إلا لأنزلك منزلة الأولاد لأزوجك وأخدمك أنا بنفسى ، قال : فبكى ، فقلت له : وما ييكيك فقال لى : أنت لم تفعل هذا إلا وقد رأيت بعض خصالى بالله تعالى وإلا فلم أخذتنى من بين أولئك الغلمان ؟ فقلت له : ليس بك حاجة إلى هذا ، فقال لى : سألتك بالله إلا أخبرتنى ، فقلت له : بإجابة دعوتك . فقال لى : أنا أحسبك إن شاء الله رجلاً صالحاً ، إن الله عز وجل خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولا يظهر عليهم إلا من ارتضى .

ثم قال لى : أترى أن تقف على قليلاً فإنه قد بقى على ركعات من البارحة . قلت : هذا منزل الفضيل قريب قال : لا ههنا أحب إلى إن أمر الله تعالى لا يؤخر فدخل المسجد فما زال يصلى حتى أتى على ما أراد فالتفت إلى وقال : يا أبا عبد الرحمن ألك منى حاجة ؟ قلت : ولم ؟ قال : لأنى أريد الانصراف ، قلت : إلى أين ؟ قال : إلى الآخرة (١٢٦) ، قلت : لا تفعل دعنى انتفع بك ، فقال لى : إنما كانت تطيب الحياة حيث كانت المعاملة بينى وبينه تعالى فإذا اطلعت عليها أنت سيطلع عليها غيرك فلا حاجة لى فى طلبه ، ثم خر على وجهه وجعل يقول : إلهى اقضنى الساعة الساعة فدنوت منه فإذا هو قد مات فوالله ما ذكرته قط إلا طال حزنى وصغرت الدنيا فى عينى رحمه الله - ورحمنا به - (٥) .

١٢٦ - هذا القول يتعارض مع قوله تعالى : ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ فالأجل بيد الله وحده لا يعلمه أحد إلا الله جل شأنه نسأل الله أن يغفر لنا ولمن قال هذا القول ويحببنا الزلل .
(*) وردت هذه الحكاية فى صفة الصفوة (٢٦٩/٢ - ٢٧٢) للمصنف .

الفصل العاشر

[يامن يتزيا بزى العباد والزهاد]

يا هذا تتزيا بزى العباد والزهاد وحال قلبك في الغفلة ما حال ، الظاهر منك تقى والباطن متسخ بطول الآمال ، لا تصلح المحبة لمن يميله حب الحال ، ولولا مكابدة المجاهدة لم يُسَمَّ القوم رجال ، ياميت القوم وعدك في الدنيا صحيح وفي الآخرة محال ، إن لم تبادر في الشباب فبادر في الاكتحال ، ما بعد شيب الرأس هو لبُعْدِ عثرة الشيخ أن تقال (١٢٧) ، ضيَّعت زمان الشباب في الغفلة وفي الكبر تبكى على التفريط في الأعمال ، لو علمت ما أحصى عليك لكنت من الباكين طول الليالي .

[تكرار الندم]

قال رجل لذي النون - رحمه الله - وهو يعظ الناس : ما الذي أصنع كلما وقفت على باب من أبواب المولى صرفنى عنه قاطع المحن والبلوى ؟ قال له : يا أخى ، كن على باب مولاك كالصبي الصغير مع أمه كلما ضربته أمه ترامى عليها وكلما طردته تقرب إليها فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها .

يروى عن الطيبى - رحمه الله - أنه قال : رأيت بدوياً بمكة حرسها الله تعالى وهو يخدم الصوفية فسألته عن سبب ذلك فقال لى : كنت بالبادية وإذا بغلام جاءنى مكشوف الرأس ما معه زاد ولا زكوة ولا يحصى فقلت فى نفسى : أدرك هذا الفتى فإن كان جائعاً أطعمته ، وإن كان عطشاًناً فأسقيه ، قال : فبادرت إليه حتى بقى بينى وبينه مقدار ذراع وإذا به بُعْدَ عنى حتى غاب عن عيني ، فقلت : هذا شيطان وإذا به ينادى : لا بل سكران ، فناديته : يا هذا ،

١٢٧ - أن تقال : أى يتجاوز عنها ويصفح . [الوسيط (٧٧٠/٢)]

بالذى بعث محمداً - ﷺ - بالحق ألا ما وقفت على فقال لى : يا فتى أتعبتنى وأتعبت نفسك . فقلت له : رأيتك وحدك فأردت خدمتك . فقال لى : من يكون الله معه كيف يكون وحده ، فقلت له : ما أرى معك زاداً ، فقال لى : إذا جعت فذكره زادى ، وإن عطشت فمشاهدته سؤلى ومرادى ، فقلت له : أنا جائع فأطعمنى فقال : أو لم تؤمن بكرامات الأولياء ؟ فقلت : بلى ولكن ليطمئن قلبى فضرب بيده الأرض وكانت رملة ثم قبض قبضة وقال : كل ياخذوع وإذا هو خميسة ألد ما يكون فقلت : ما ألد ، فقال لى : فى البادية عند الأولياء من هذا كثير لو عقلت ، فقلت له : واسقنى ماء فركض الأرض فإذا هو بعين من غسل وماء فجلست لأشرب من تلك العين ثم رفعت رأسى فلم أره ولم أدر كيف غاب ولا أين ذهب فأنا أخدم الفقراء من ذلك اليوم إلى الآن لعلى أرى مثل ذلك الولى (١٢٨) .

[اطلب رفقة التائبين]

يا هذا ، إلى متى تسمع أخبارهم و [لا] (١٢٩) تقف آثارهم !؟ اطلب رفقة التائبين عساك ترشد لطريقهم ، اندب على بعادك يامطروود فمثلك من بكى وعُدَّ ، واعتذر يامهجور عساك بالذل تسعد ، وقل بلسان التذلل والأسف والكمند :

كم ذا التلوم لا إقلاع يصحبه ولا عزيمة هذا العجز والكسل
وكم أردد أقوالاً ملفقة ما ينفع القول إن لم يصدق العمل

١٢٨ - إياك أخى القارى أن تفهم من ذكر كلمة «الصوفية» هنا أن ابن الجوزى كان يؤيد غلاة الصوفية أو يقرهم على أناطيلهم وضلالهم فقد أفرد ابن الجوزى - رحمه الله - ما يقرب من نصف كتابه القيم «تلبس إبليس» وذلك من (ص ١٥٥) إلى (ص ٣٢٥) أوضح فيه ضلالهم وزيف عقائدهم وعبادتهم وأفعالهم وبعدها عن روح الإسلام ، وكيف ألبس إبليس - عليه لعنة الله - عليهم ذلك ، فارجح أخى القارى إلى هذا الكتاب الجليل - إن شئت - غير مأمور .

١٢٩ - ما بين المعكوفتين سقط استدركناه .

[يا جامد العين]

واعجباً كم لي أعاتب المهجور والعتب ما ينفع ، كم لي أنادى أطروش^(١٣٠)
الغفلة لو كان النداء يُسمع ! كم لي أحدث قلبك وفي سماعتك أطمع ! واهماً عليك
يا جامد العين قط ما تدمع ! من علامات الخزلان قلب لا يخشع ، قلبك ذهب في
حب الفاني وأنت للحرام تجمع ، عليك يا غافل في جمعه الحساب وتخلفه لمن لا
ينفع ، بينما أنت في بستان اللهو إذ قيل فلان سافر وليس في رجوعه مطمع .

[قصة عابد]

ويروى عن علي بن أبي صالح أنه قال : كنت أدور في جبل اللكام أطلب
الزهاد والعباد فرأيت رجلاً عليه مرقعة وهو جالس على صخرة مطرق إلى الأرض
فقلت له : يا شيخ ما تصنع ههنا ؟ قال : أنظر وأرعى . قلت له : ما أرى بين
يديك إلا الحجارة ما الذي تنظر وترعى ؟ قال : أنظر خواطر قلبي وأرعى أوامر
ربي فيحق الذي أظهره عليّ ألا ما تركتني فإنك شغلتنى عن مولاي ، فقلت
له : كلمني بشيء انتفع به ، فقال لي : من لازم الباب أثبت في الخدمة ، ومن
أكثر ذكر الذنوب أكثر من الندم ، ومن استغنى بالله لم يخف العدم ثم تركني
ومضى - رضى الله تعالى عنه -^(٥) .

[الوسيط (٥٥٤/٢)]

١٣٠ - الأطروش : الأصم .

(٥) أورد هذا الأثر المصنف في صفة التصفوة (٣٤٣/٤) .

الفصل الحادى عشر

[الإسراع إلى الدنيا]

يامن رواجه فى طلب الدنيا لها إسراع ، متى لم تخل عنها نطاق الأمل
فيكون الانقطاع ، إذا طلبت الآخرة تمتنى رويداً متى يكون الانتفاع ، عجباً كيف
تشد الرحال فى طلب الفانى ، وفى طريقه قطاع .

[العمر أمانة]

العمر أمانة أتلفت شبابه فى الخيانة ، وكهولته فى البطالة ، وفى الشيخوخة
تبكى وتقول : عمرى قد ضاع ، متى أفلح الخائن فيما اشترى أو باع ، أنت فى
طلب الدنيا صحيح الجسم ، وفى طلب الآخرة بك أوجاع ، كم تعرج عن سبل
التقوى ياءعرج الهمة ، يامن ييقى فى القاع ، يامن على عمره ليل الغفلة طلع فجر
المشيب بين الأطلاع ، رافق رفاق التائبين قبل أن تنقطع بين المنقطعين ﴿وما من
غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين﴾ (١٣١) . وأنشدوا :

إذا أنا لم أصبر على من أحبه	وبأن جالى عن وصلى فما أنا صانع
أتركه والقلب من فرط حبه	أسير بما تطوى عليه الأضالع
أسمع فيه العزل والوجد حاكم	فما يغنينى بالعزل ما أنا سامع
أسلوه والأشواق تمنع سلوكى	وأكتم ما قد أظهرته المدامع
ويعتبنى قلبى إذا زاد وجدّه	فأضرب صفحاً دونه وأمانع
وإن زاد ما به اشكته فحسبه	على كل حال عند شكواى شافع
فلا عيشة تصفوا ولا موعد يفى	ولا نظر يسلى ولا الصبر نافع

أرى الدهر يمضي برهةً بعد برهةً ولم ألقَ ما مالت إليه المطامعُ
فإن ضقتَ ذرعاً بالذي قد لقيتهُ فكل مضيقُ فهو في الحبِّ واسعُ

[حكاية امرأة متعبدة]

قال ذو النون المصري - رحمه الله - رأيت امرأة متعبدة فلما دنوت منها ودنت مني سلمت عليّ فرددت عليها السلام فقالت لي : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند حكيم لا يوجد مثله ، فصاحت صيحة شديدة ثم قالت : ويحك كيف وجدت معه وحشة الغربة حتى فارقتهُ وهو أنيس الغرباء ومعين الضعفاء ومول الموالى ، أم كيف سمحت نفسك بمفارقتهِ ؟ فأبكاني كلامها فقالت لي : مم بكأوك ؟ فقلت لها : وقع الدواء على الجرح فأسرع في نجاحه ، فقالت : لو كنت صادقاً فليَم بكيت ؟ فقلت لها : فالصادق لا يبكي ؟ قالت : لا ، قلتُ : ولم ؟ قالت : لأن البكاء راحة للقلب وهو نقص عند ذوى العقول ، قلت لها علميني شيئاً ينفعنى الله به ، قالت : اخدم مولاك شوقاً إلى لقائه فإن له يوماً يتجلى فيه إلى أوليائه لأنه سبحانه سقاها في الدنيا من محبته كأساً لا يظمئون بعدها أبداً ثم أقبلت تبكي وتقول : إلهي وسيدى إلى كم تدعنى في دار لا أجد فيها أنيساً يساعدى على بلائى ، ثم جعلت تقول :

إذا كان داء العبد حُبَّ مَلِكِهِ فَمَنْ دونه يرجو طَبِيباً مداوياً(*)

[لازم باب مولاك]

يا أخى إذا طردك مولاك عن بابه فإلى باب من ترجع، وإلى أى طريق تذهب ، وإلى أى جهة تقصد ، لازم باب مولاك فلعل وعسى يثمر عودك .
وأنشدوا :

حنينُ قلوب العارفين إلى الذكرِ وتذكّارهم عند المناجاتِ بالسرِّ
وأجسامهم في الأرض سكرى بحُبِّهِ وأرواحهم في ليل حجبِ العلى تسرى
عبادٌ عليهم رحمةُ الله أنزلت فظلوا عُكوفاً في الفياض وفي القفرِ

(*) وردت هذه الحكاية بكتابه صفة الصفوة (٤٢٧/٤) للمصنف .

وَرَاعُوا نَجْمَ اللَّيْلِ لَا يَرْقُدُونَهُ بِإِدْمَانٍ تَثْبِيثِ الْيَقِينِ مَعَ الصَّبْرِ
فَهَذَا نَعِيمُ الْقَوْمِ إِنْ كُنْتَ فَاهِمًا وَتَعَقُّلٍ عَنْ مَوْلَاكَ آدَابٍ مَنْ يَدْرِي
فَمَا عَرَسُوا إِلَّا بِقَرَبِ حَبِيبِهِمْ وَلَا عَرَجُوا عَنْ مَسِ بَوْسٍ وَلَا ضَرْ
أُديرَتِ كُؤُوسُ الْمَدَامَا عَلَيْهِمْ فَأَغْفُوا عَنِ الدُّنْيَا غَفَاوَى سَكْرِ
هُمُومُهُمْ جَالَتْ لَهَا حَجَبُ الْعُلَى فَهَمُّ أَهْلِ وَدِّ اللَّهِ كَالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ
فَلَا عِيشَ إِلَّا مَعَ أَنْاسِ قُلُوبِهِمْ نَحْنُ إِلَى التَّقْوَى وَتَرْتَاكِحِ لِلذِّكْرِ

[قصة عفة]

ويروى عن بعض العباد - رحمه الله - أنه قال : بينا أنا في بعض الطريق أسير وكنت صائماً فرأيت نهراً جارياً فانغمست فيه ، فإذا أنا بسفرجلة (١٣٢) على وجه الماء فأخذتها لأفطر عليها ، قال : فلما أفطرت عليها ندمت ، وقلت : أفطرت على ما ليس لي فلما أصبحت سرت فضربت على باب البستان الذي كان النهر يخرج منه فخرج إلي شيخ كبير فقلت له : يا شيخ ، إنه خرج من بستانكم هذا بالأمس سفرجلة فأخذتها وأكلتها وقد ندمت على ذلك فعسى أن تجعلني في حل ، فقال لي : أما أنا في هذا البستان أجير ولي فيه منذ أربعين سنة ما ذقت من فاكهته شيئاً قط وليس لي في البستان شيء ، فقلت : لمن هو ؟ قال : للأخوين بالموضع الفلاني . قال : فأتيت الموضع فوجدت أحدهما فقصصت عليه القصة فقال : نصف البستان لي وأنت في حل من نصيبى في تلك السفرجلة فقلت له : وأين أجد أخاك ؟ قال : بموضع كذا وكذا فمضيت إليه وقصصت عليه القصة فقال لي : والله لا أجعلك في حل إلا بشرط فقلت له : وما الشرط ؟ قال : أزوجك ابنتي وأعطيك مائة دينار ، قال له العابد : ويحك أنا في شغل عن هذا أما رأيت ما أصابني لأجل سفرجلتك فاجعلني في حل ، فقال له : والله لا فعلت ذلك إلا بالشرط المذكور ، فلما رأى منه العابد الجِدَّ امتثل وقال : أفعل فأعطاه

١٣٢ - سفرجلة : السفرجل : شجر مشمر من الفصيلة الوردية . [الوسيط

[(٤٣٣/١)]

مائة دينار ثم قال : اعطني منها ما شئت في مهر ابنتي فرمى بها كلها إليه فقال له
إلا البعض [...] (١٣٣) .

قال : من الذنوب مصيبة الذنوب على أهلها قال العابد : فما تذكرت هذا
الكلام إلا بكيت .

قال : أنشد رجل من أهل الزهد هذه الأبيات :
وَيَوْمَ تَرَى الشَّمْسَ قَدْ كُورَتْ وفيه ترى الأرضَ قَدْ زُلْزَلَتْ
وفيه ترى كُلَّ نَفْسٍ غَدَاً إذا حُشِرَ النَّاسُ مَا قَدِمَتْ
أترقد عيناك يامُذنباً وأعمالك السوء قد دُوِّثَتْ
فإِذَا سَعَيْتَ إِلَى جَنَّةٍ وكَفَّاهُ بالنورِ قد خُضِبَتْ
ولِأَمَّا شَقِيٌّ كُشِيَ وَجْهَهُ سَوَاداً وكَفَّاهُ قد غُلِبَتْ

[عمر بن عبد العزيز]

خرج عمر بن عبد العزيز (١٣٤) في بعض أسفاره فلما اشتد الحر عليه دعا
بعمامة فتعمم بها فلم يلبث أن نزعها فقبل له : يا أمير المؤمنين لم نزعها لقد كانت
تقيلك الحر ؟ قال : ذكرت أبياتاً قالها الأول :

مَنْ كَانَ حِينَ تَمَسُّ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ أو الغبار يخاف الشين (١٣٥) والشعثا (١٣٦)

١٣٣ - ذكر الساسخ في هامش المخطوط قوله : هنا سقطت .

١٣٤ - عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي ، القرشي ، أبو حفص :
الخليفة الصالح ، الملك العادل ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم . ولد
ونشأ بالمدينة ، ولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة ٩٩ هـ واستمر فيها لمدة سنتان
ونصف . وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة ولابن الجوزي «سيرة عمر بن عبد العزيز»
ولد سنة ٦١ هـ ، وتوفي سنة ١٠١ هـ . [الأعلام (٥٠/٥)]

١٣٥ - الشين : العيب والقبح . [الوسيط (٥٠٤/١)]

١٣٦ - الشعثا : شعث الشعر : أى تغير وتلبد واتسخ . [الوسيط (٤٨٤/١)]

وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بِشَاشَتُهُ فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدًّا (١٣٧)
فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ غَيْرَاءَ مُحْشَةً يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَى فِي جَوْفِهِ اللَّبَنُ

[عيسى والحواريون]

خرج عيسى بن مريم - عليه السلام - على الحواريين وعليهم آثار الغبار
وعلى وجوههم النور فقال : يا بني الآخرة ، ما تنعم المتعممون إلا بفضل
نعمتكم .

وقيل للحسن البصري - رضى الله عنه - : ما بال المهتجرين أحسن الناس
وجهاً ؟ فقال : خلوا بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

ويروى أبو ماجة (١٣٨) قال : كنت أحب الصوفية فاتبعتهم يوماً إلى مجلس
عالم فرأيت في المجلس شخصاً تتمنى النفوس دوام النظر إليه وهو يكي كلما سمع
العالم والقارئ يقرأ يقول : الله ، الله فلم تنقطع له دمعة فتعجبت من
توكف (١٣٩) عبراته وترادف زفراته مع صغر سنه وغض شبابه ، فسألت بعض
الصوفية عنه فقال : إنه تائب غزير الدموع ، كثير السجود والركوع ، رقيق
القلب ، شفيق الحب ، فبينما نحن كذلك إذ قرأ القارئ : ﴿ فَادْكُرُونِي
أَذْكُرْكُمْ ﴾ (١٤٠) فقام قائماً على قدميه وهو يقول : سيدى خاب من فى قلبه غير
ذكرك ، وهل فى الأكوان غيرك حتى يُذكر ، يا حبيب القلوب . وأنشدوا :

تَهْتَكِي فِي الْهَوَى حَلَالِي وَعَاذِلِي مَالِي وَمَالِي
يَلُومَنِي فِي الْغَرَامِ جَهْلًا وَكَلَّمَا لَأَمْنِي حَلَالِي
قَالُوا اشْكَيْتِ قُلْتُ كَلَّا يَاقَوْمَ مِثْلِي يَكُونُ سَالِي
قَالُوا تَعَشَّقَتْ قُلْتُ أَهْلًا لَقَدْ تَعَشَّقَتْ لَا أَبَالِي

١٣٧ - جدًّا : الحدث : القبر .

[الوسيط (١/١٠٩)]

١٣٨ - كذا بالأصل .

١٣٩ - توكف : تقاطره وتساقطه .

[الوسيط (٢/١٠٥٤)]

١٤٠ - سورة البقرة : الآية ١٢١ .

[أقسام الرجال]

قال أبو علي : الرجال في المقام على أربعة أقسام :

الأول : رجل قد استولى على قلبه عظمة الله ومحبته فاشتغل بذكره عن ذكر من سواه ولم تلهه الأكوان عن الاستئناس بذكره فهذا هو الذي وصفه الله تعالى فقال : ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ بَيْعَارَةً وَلَا نِيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (١٤١) الآية .

والثاني : رجل عاهد الله تعالى بصدق الإجابة وتحقيق العبودية وإخلاص الورع والقيام بالوفاء فهو الذي وصفه الله تعالى بقوله : ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ (١٤٢) .

والثالث : رجل يتكلم لله وفي الله وبالله ومن أجل الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر على سائر ضمائر الأسرار ، ثم على ظاهر النفوس والاعتبار وهو الذي وصفه الله تعالى فقال : ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ (١٤٣) الآية .

والرابع : رجل يتكتم سره عن نفسه وعن الملكين الموكلين ولا يطلع على سره إلا مولاه ، وهو الذي وصفه الله تعالى فقال : ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ إلى قوله : ﴿ذَكَرَ اللَّهُ﴾ (١٤٤) فهذا هو في ظاهره كالسلي الخيلي وفي باطنه كالمتولي السبخي . وأنشدوا :

إليك وإلا لا يفيد سرى السارى	فلا حرفٌ إلا ما تلاه لك القارى
فيا مُنيتى يا بَقيتى بل ورحمتى	ويا حبيبى فى كل حال ويا نارى
إذا صَحَّ منك الاعتقادُ فكل ما	على الأرضِ فإن من شمسٍ وأقمارى

١٤١ - سورة النور : الآية ٣٧ .

١٤٢ - سورة الأحزاب : الآية ٢٣ .

١٤٣ - سورة يس : الآية ٢٠ .

١٤٤ - سورة الزمر : الآية ٢٣ .

[مجاهدة المحبين]

قال المغيرة بن [حبیب] (١٤٥) : كنت أسمع مجاهدة المحبين ومناجاة العارفين ، وكنت اشتبهى أن أطلع على شيء من ذلك فقصدت مالك بن دينار فرمقته على غفلة وراقبته من حيث لا يعلم ليالى عدة فكان يتوضأ بعد العشاء الآخرة ثم يقوم إلى الصلاة فتارة يقضى ليله فى تكرار آية أو آيتين ، وتارة يدرج القرآن درجاً فإذا سجد وحان انصرافه من صلاته قبض على لحيته وخنقته العبرة ، وجعل يقول بحنين الشكلى وأنين الوهلى :

يا إلهى ، ويا مالك رقى ، ويا صاحب نجوى ، ويا سامع شكواى ، سبقت بالقول تفضلاً وامتناناً ، فقلت : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (١٤٦) والمحـب لا يعذب حبيبه فحرم شبيهة مالك على النار ، إلهى قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ، فأى الرجلين مالك وأى الدارين دار مالك ، ثم يناجى كذلك إلى أن يطلع الفجر فيصلى الصبح بوضوء العتمة رحمه الله تعالى .

١٤٥ - بالأصل (المغيرة بن جبیر) والصواب ما أثبتناه فقد ورد هذا الأثر بنحوه فى « صفة الصفوة » للمصنف (٢٨٢/٣) وحلية الأولياء (٣٦١/٢) لأنى نعم باسم المغيرة بن حبیب وهو أبو صالح ختن مالك بن دينار .
١٤٦ - سورة المائدة : الآية ٥٤ .

الفصل الرابع عشر

[يامن أقعده الحرمان]

يامن أقعده الحرمان ، هذا رفاق التائبين ، عليك عبور ، لا رسالة دمع ولا
نفس أسف ، ما أراك إلا مهجور ، هذا نذير الشيب ينذر بالرحلة ، تهباً
يامنذور ، كم إعداركم كسل ، كم غفلة ، ما أجذك يوم الحساب معذور ، بيت
وصلك خراب ، وبيت هجرك معمور ، بادر عساك تجبر بالتوبة وتعود مجبوراً ،
سجدة واحدة واصل بها السحر وتنجو من الأهوال ، ﴿وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي
السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وظلالهم بالغدو والآصال﴾ (١٤٧) .

[أحوال الذاكرين]

لله در أقوام قلوبهم معمورة بذكر الحبيب ، ليس فيها لغيره حظ ولا
نصيب ، إن نطقوا فبذكره ، وإن تحركوا فبأمره ، وإن فرحوا فبقربه ، وإن
ترحوا (١٤٨) فبعتبه ، أقواتهم ذكر الحبيب ، وأوقاتهم بالمناجاة تطيب ، لا يصبرون عنه
لحظة ، ولا يتكلمون في غير رضاه بلفظة وأنشدوا :

حَيَاتِي مِنْكَ فِي رُوحِ الْوَصَالِ وَصَبْرِي عَنْكَ مِنْ طَلِبِ الْمَحَالِ
فَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَأَيُّ صَبْرٍ لِعَطْشَانٍ عَنِ الْمَاءِ الزُّلَالِ
إِذَا لَهَبَ الرِّجَالُ بِكُلِّ شَيْءٍ رَأَيْتَ الْحَبَّ يَلْعَبُ بِالرِّجَالِ

١٤٧ - سورة الرعد : الآية ١٥ .

١٤٨ - ترحوا : حزنوا .

[الوسيط (١/٨٢)]

[أحباء الشيطان]

روى عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : « إذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يغلب خيره على شره قبله الشيطان بين عينيه وقال : فديت وحباً لا يفلح أبداً » (١٤٩) .

فادن من الله ، وتب عليه ، واستنقذه من الضلالة واستخرجه من غمرات الجهالة . يقول الشيطان - لعنه الله - : يا ويلاه قطع عمره بالضلالة فأقر بالمعصية عني ثم أخرجته الله من الجهالة بتوبته ورجوعه إلى ربه .

[ابتلاء فقيه بغدادى]

ذكر فى بعض الأخبار أن رجلاً كان من فقهاء أهل بغداد وكان ممن يشار به فى العلم والصلاح ، وكان شيخاً كبيراً فاضلاً ، وأراد الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فألف من أصحابه جماعة من الذين كانوا يقرءون عليه فارتبط معهم على أنهم يخرجون متوكلين على الله - عز وجل - فلما ساروا فى بعض الطريق وإذا بدير نصرانى وقد أعياهم الحر والعطش فقالوا : يا أستاذنا ، نسير إلى هذا الدير نستظل فيه حتى يبرد النهار ونرحل - إن شاء الله تعالى - فقال لهم : افعلوا ما شئتم ، فساروا إلى ذلك الدير ونزلوا عند جداره وقد أصابهم العياء والحر فنام الطلبة والشيخ لم ينم ، قال : فتركهم الشيخ نائمين وخرج يطلب ماءً لوضوءه ولم يكن له هم إلا ذلك ، فبينما هو يمشى فى حومة الدير يطلب الماء فرفع رأسه فرأى جارية صغيرة السن كأنها الشمس الضاحية ، فلما رآها الشيخ تمكن إبليس من قلبه ونسى الوضوء والماء ولم يكن له هم إلا الجارية فأقبل يقرع الباب قرعاً عنيفاً فخرج إليه راهب وقال له : من أنت ؟

١٤٩ - أورده الغزالي فى الإحياء (٢٧/٣) وقال عنه العراقى فى «المعنى عن حمل الأسفار» : لم أجد له أصلاً .

قال : أنا فلان العالم الفلاني وعرفه بنفسه واسمه فقال له الراهب : وما تريد يافقيه المسلمين ؟ قال له : ياراهب ، هذه الصبيّة التي بدت من أعلى الدار ما هي منك ؟ قال الراهب : هي ابنتي فما سؤالك عنها ؟ قال له الشيخ : أريد أن تزوجني إياها ، قال له الراهب : إن ذلك لا يجوز عندنا في ديننا ، ولو كان جائزاً لكنت أزوجه منك بغير مشورتها ولكن قد جعلت لها على نفسي عهداً ألا أزوجه إلا من ترضى لنفسها ، ولكن أنا أدخل عليها وأعلمها بخبرك فإن هي رضيتك لنفسها زوجتك منها ، قال له الشيخ : حباً وكرامة ، قال : فذهب إلى ابنته فأعلمها بالقصة ، والشيخ يسمع فقالت : ياأبت تزوجني منه وأنا على دين النصرانية ، وهو على دين الإسلام ، إن ذلك لا يتم له إلا أن يدخل دين النصرانية ، قال : فعند ذلك قال لها : أرأيت إن دخل في دينك تتزوجينه ؟ قالت : نعم ، والشيخ العالم في هذا كله يتضاعف به الأمر وإبليس يزينا في عينيه وأصحابه رقود ليس عندهم علم بما حل به ، قال : فعند ذلك أقبل الشيخ عليها وقال لها : قد نبذت دين الإسلام ودخلت في دينك ، قالت له الجارية : هذا زواج قدرئ، ولكن لابد من حق الزوجية ودفع المهر ، وأين الحق؟ أراك رجلاً فقيراً ولكن أقبل منك في حقى أن ترعى هذه الخنازير عاماً كاملاً ، ويكون ذلك صداق ، قال لها : نعم لك ذلك . ولكن اشترط عليك ألا تحببى وجهك عنى لأنظر إليك غدوة وعشيا . قالت : نعم ، فأخذ عصاه التي كان يخطب عليها وأقبل على الخنازير يزجرها تمشي للمرعى وجرى هذا كله وأصحابه نيام فلما استيقظوا من نومهم طلبوا الشيخ فلم يجدوه فسألوا عنه الراهب فأعلمهم القصة ، قال : فمنهم من خر مغشياً عليه ، ومنهم من بكى. وناح ، ومنهم من تأسف على ما حل به ، ثم قالوا للراهب : وأين هو ؟ قال لهم : هو يرعى الخنازير ، قال : فمضينا له وقلنا له : ياسيدنا ، ما هذا الذى حل بك وجعلنا نذكره فضل القرآن والإسلام وفضل محمد ﷺ - ، وقرأنا عليه القرآن والحديث ، فقال لنا : إليكم عنى فأنى أعلم بما تذكروننى به منكم ولكن قد نزل بى البلاء من عند رب العالمين ، قال : فكلما عاجناه ليسير معنا ما قدرنا عليه فمضينا إلى مكة وتركناه وفي قلوبنا منه حسرة ، وقضينا حجتنا ورجعنا نريد بغداد فلما صرنا إلى ذلك

الموضع فقلنا تعالوا ننظر ما فعل الشيخ لعله ندم وتاب إلى الله عز وجل عما كان فيه .

قال : فذهبنا إليه فوجدناه على حالته وهو يزجر الخنازير فسلمنا عليه وذكرناه وقرأنا عليه القرآن فما رده علينا شيئاً ، فانصرفنا عنه وفي قلوبنا منه حسرة عظيمة ، قال : فلما صيرنا على بُعد من الدير وإذا نحن بسواد قد أقبل علينا من ناحية الدير وهو يصيح علينا فوقفنا له فإذا هو صاحبنا الشيخ قد لحق بنا وقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله وأنا قد تبت إلى الله ورجعت عما كنت فيه وما كان ذلك إلا من ذنب كان بيني وبين ربي وعاقبني به فكان من البلاء ما رأيتم ، قال : فسررنا بذلك غاية السرور وجئنا إلى بغداد وأقبل الشيخ على العبادة والاجتهاد أكثر مما كان عليه قبل ذلك .

فبينما نحن يوماً في دار الشيخ نقرأ عليه وإذا نحن بامرأة قد قرعت الباب فخرجنا إليها وقلنا لها ما حاجتك أيتها المرأة ؟ قالت : أريد الشيخ ، وقولوا له إن فلانة بنت فلان الراهب قد جاءت لتسلم على يدك فأذن لها في الدخول فدخلت وقالت له : ياسيدي ، جئت لأسلم على يدك فقال لها الشيخ ؛ وما كانت القصة ؟ قالت له : لما وليت عني غلبتني عيناي فنمت فرأيت فيما يرى النائم على ابن أبي طالب - رضي الله عنه - وهو يقول : لا دين إلا دين محمد - ﷺ - ، قال ذلك ثلاث مرات ، ثم قال لي بعد ذلك ما كان الله ليبتلي بك ولياً من أوليائه ، وها أنا جئت بين يدك وأقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، ففرح الشيخ بذلك حيث من الله عليها بدين الإسلام على يديه فتزوجها على كلمة الله وسنة رسوله - ﷺ - ، قال : فسألناه عن ذلك الذنب الذي كان بينه وبين الله ما كان ؟ قال : كنت ماشياً في بعض الأزقة وإذا برجل نصراني قد لصق بي ، فقلت له : أبعد عني عليك لعنة الله ، فقال : ولم ؟ قلت له : أنا خير منك ، فالتفت النصراني وقال : وما يدريك أنك خير مني وهل تدري ما عند الله تعالى حتى تقول هذا الكلام ؟ وقد بلغني بعد ذلك أن الرجل النصراني قد أسلم وحسن إسلامه ولزم العبادة فعاقبني الله تعالى من أجل ذلك بما رأيتم ، نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة .

الفصل الخامس عشر

[بياض الشيب ينذر]

معاشر التائبين تعالوا نبكى فهذا مأتم الأحزان، تعالوا لنسكب المدامع ونشتكى الهجران لعل زمان الوصل يعود كما كان ، هذا بياض الشيب ينذر بخراب الأوطان ، يامن تخلف حتى شاب ، قد رحلت الأظعان ، ياتائها في تيه التخلف ، يحائراً في برية الحرمان ، نهارك في الأسباب ، وليلك في الرقاد، هذه الخسارة عيان إذا ولّى الشباب ولم يربح ففى المشيب يكون الخسران ، أملك طويل بعيد ، وربما هيئت لك الأكفان ، قف على ساحل التوبة فبحار المعاصي طوفان ، ضيعت ربيع الشباب حتى زيل من معاصي الرحمن ، فعند إقبال المشيب ندمت على ما قد كان إن لم يشاهدك رفيق التوبة وإلا ففى الحرمان حرمان ، وقد يرحم المولى من ضعف عن الأسباب ﴿يَمُحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١٥٠) .
أُتْبِنَى بِنَاءَ الْخَالِدِينَ وَإِنَّمَا بَقَاؤُكَ فِيهَا لَوْ عَقَلْتَ قَلِيلُ
لَقَدْ كَانَ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ مَقِيلُ لِمَنْ كُلُّ يَوْمٍ يَقْتَفِيهِ رَحِيلُ

[موعظة للحسن البصرى]

ويروى عن الحسن البصرى -رضي الله عنه- أنه كان يقول : يا ابن آدم ، إن لك عاجلاً وعاقبة فلا تؤثر عاجلتك على عاقبتك فقد -والله- رأيت أقواماً آثروا عاجلتهم على عاقبتهم فهلكوا وذُلُّوا فافتضحوا، يا ابن آدم، بع دينك بآخرتك ترجحها جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً، يا ابن آدم ، لا يغرك ما أصابك من شدة الدنيا ورخائها إذا ادخر لك خير الآخرة ، وهل ينفعك ما أصبت من رخائها إذا حرمت خير الآخرة ، يا ابن آدم ، الدنيا مطية إن ركبتها

حملتك وإن حملتها قتلتك ، يا ابن آدم ، إنك مرتين بعملك وآت على أجلك ،
ومعروض على ربك فخذ مما في يدك لما بين يديك وعند الموت يأتيك الخير ،
يا ابن آدم ، لاتعلق قلبك بالدنيا فتعلقه بشر متعلق ، حسبك أيها المرء ما بلغك
المحل .

[قصة موعظة لمالك بن دينار]

ويروى عن مالك بن دينار -رضي الله عنه- أنه كان ماشياً في بعض أزقة
البصرة إذ هو بجارية من جوارى الملك راكبة ومعها الخدم والمماليك فسمع مالك
حسها خلفه فالتفت إليها وهي راكبة فرأى زهرتها وهيئتها وحالها فنادى : أيتها
الجارية ، هل يبيعك مولاك ؟ قالت : وبلى عليك وهل لمثلك ما يشتريني به لو
باعني ؟ قالت : فحلف به المماليك ، قال : خلوا عني أسير معكم ، فسار معهم
حتى أتت قصرها فقام إليها حجة الدار فأنزلوها فدخلت وبقي مالك بباب القصر
حتى وصلت إلى مولاه فقلت : يا مولاي ، أنا أحدثك بعجب قال : وما هو
يا حسنة ؟ قالت : يا مولاي لقيني شيخ كبير فقير عليه عباءة رثة فنظر إلى حسني
وجمالي وبهائي وكالي ومماليكي فأعجبه ما رأى من هيئتي فقال : هل يبيعك
مولاك ، فضحك مولاه من ذلك وقال : وأين هو ويلك ، قالت : قد جئت به
معي وها هو بباب القصر فقال : ادخلوه عليّ فدخل مالك ولم يعرفه الرجل فلما
وقف بباب مجلسه إذ هو بصاحب القصر قاعد على مرتبة عظيمة فجعل مالك
ينظر إليه فقال لمالك : ادخل أيها الشيخ فقال مالك : لا أدخل حتى ترفع هذا
القطا^(١٥١) وتغيب عني فتنته لا أنظر إليه ولا أطأ شيئاً منه فألقى الله الهيبة والطاعة
في قلب صاحب القصر فأمر برفع القطا والبسط حتى كشف عنه الرخام وقعد
صاحب القصر على كرسي وقال : اجلس أيها الشيخ كما أحببت ، قال : لا والله
حتى تنزل عن هذا الكرسي وتجلس على هذا المرمر ، قال : فجلس الرجل وجلس
مالك معه فقال رب البيت : قل حاجتك أيها الشيخ . قال : جاريتك هذه التي

١٥١ - القطا : نوع من الكساء . [لسان العرب (١٥/١٩١) ط دار صادر

دخلت عليك الساعة أتبيعها لى ؟ فقال صاحب القصر : وهل لك ما تبتاعها به منى ؟ قال : وما ثمنها ؟ قال له : إن من شأنها وقدرها وحالها ومالها أنها تساوى كذا وكذا ألفا فقال مالك : والله ما تساوى عندى نواقين سوى ستين فضحك الرجل وضحكت الجارية من وراء الستر وضحك الجوارى والخدم من وراء الستر من كلام مالك ، فقال : ما الذى أضحككم ؟ قال صاحب البيت : وكيف كان ثمنها بهذه الخساسة عندك ؟ فقال مالك : لكثرة عيوبها قال : ومن أعلمك بعيوبها ؟ قال : أنا أعلم بعيوبها مالم تعلم أنت ، قال : أعلمنى بها وأوقفنى عليها .

قال : إن لم تتعطر تغيرت ، وإن لم تستك بخرت ، وإن لم تغتسل بظرت ، وإن لم تمشط قملت وشعثت ، وإن عمرت عن قليل هربت ، وهى ذات بخار وبصاق وحيض وبول وغائط وأقذار جملة وآفات بينة ولعلها لا تريدك إلا لنفسها ولا تحبك إلا لمتعنتها بك وتمتعك بها فلا تفى بعهدك ولا تصدق فى ودك وعهدك ولا يتخلف عليها أحد من بعدك إلا رآته مثلك وأنا أجدر بدون ما سألت جارية خلقت من سلالة الكافور ولو مزج بريقها الأجاج لطاب ، ولو دعى ميت بكلامها لأجاب ، قميصها لو رفع للشمس لأظلمت دونه ، ولو برز لسواد الليل لسطع نوره ، ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتزخرفت ولو نفخ رايح ذوائبها على الأرض وما فيها لتعطرت فهى العطرة الشكلة الغنجة^(١٥٣) المتعشقة التى نشأت فى رياض المسك والزعفران ، وغذيت بماء التسنيم فلا يكسف بالها ولا يحول حالها ولا يخلف عهدا ولا يتبدل ودّها ولا يتوقع صدها فأيهما أحق بالرفعة أيها المغرور ؟ قال : التى - والله - وصفت فما ثمنها يرحمك الله ؟ قال : اليسير المبذول أن تتفرغ ساعة من ليلك فتقوم فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وأن تضع طعامك بين يديك فتذكر جائعاً فتؤثره لله على شهوتك وأن تخطر بالطريق فتلقط منه حجراً ومدراً ، وأن تحرك لسانك بطيب من الكلام أو بذكر الله تعالى ، وأن تقطع أيامك باليسير من القوت وترفع همتك عن دار الغفلة فتعيش فى الدنيا عيش القنوع رائحاً ، وتأتى غداً يوم القيامة آمناً وتنزل على الملك الأكبر مخلداً قال :

فبعد ذلك نادى : يا جارية ، قالت : لبيك يامولاي ، قال : أسمع ما قال الرجل ؟ قالت : نعم قال لها : هو صادق أم كاذب ؟ قالت : بل هو - والله - صادق ، قال : فأنت حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا عليك صدقة وهذه الدار صدقة بجميع ما فيها من الأثاث والأموال على الفقراء والمساكين ومد يده على ستر كان على بعض أبوابه فأخذه وستر به نفسه ورمى جميع ما كان عليه من اللباس ، قالت الجارية : يامولاي ، لا عيش لي بعدك فرمت بكسوتها ولبست ثوباً خشنه وخرجت معه ، فودعهما مالك بن دينار ودعى لهما وأخذ طريقاً وأخذ مالك طريقاً آخر . قال ناقل الحديث : فذكرا أنهما لم يزلوا يعبدان الله عز وجل على تلك الحالة حتى لقياه - رحمة الله عليهما - .

الفصل السادس عشر

[تزود فإن السفر طويل]

ياتائها في الضلالة بلا دليل ولا زاد ، متى يوقظك الرحيل فترحل عن
الأموال والأولاد ، قل لى متى تتيقظ وماضى الشباب لا يعاد ، وَيَحَكْ كيف
تقدم على سفر الآخرة بلا رحلة ولا زاد ، ستندم إن خاب الرحيل وأمسيت
مريضاً تعاد ، ومنعت التصرف فيما جمعت وقطعت الحشرات منك الأكباد فى
تلك السكرات ، ومنع عنك العواد ، وكفنت فى أخضر الثياب وحملت على
الأعواد وأودعت فى ضيق لحد وغربة ما لها من نفاد ، يغدو عليك الحسران
ويروح إلى يوم التناد ، ثم بعده أهوال كثيرة فياليتك لمعايتها لا تعاد ، فاغتموا
بضائع الطاعات فضائع المعاصى خاسرة ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ
الْآخِرَةَ ﴾ (١٥٣) . وأنشدوا :

[احذر دنياك]

احذر دنياك وغريتها	واحذر أن تُهدى لها طلبها
تبغى وداً مِمَّنْ قَدِما	لك قتلٌ أمّا أو أبّا
وعلى الجيران فَقَدْ جَارَت	كلا قهرت أَذَلَّتْ عَطْباً
كَمْ من ملك ذى مملكة	قَدْ مَال لها سُكراً وَصَبّا
أَضْحَى فى اللّحدِ ومقعده	بِثْرَابِ اللّحدِ قد احتجبا
اطلب مولاك ودع دنياك	ففى أخراك ترى عجبا
كم من قصر قد شيد بناءً	بالموتِ وها أضْحى خربا
يا طالها لا تلهُ بها	كم تاه بها ملكٌ غصبا

١٥٣ - سورة القيامة : الآية ٢٠ ، ٢١ .

أَيْنَ الْمَاضُونَ لَقَدْ سَكَنُوا لَحْدًا فَرْدًا خَرِبًا تَرِبًا
كَانُوا وَمَضُوا ثُمَّ انْقَرَضُوا فَتَأَدَّبُ أَتَتْ بِهِمْ أَدْبًا
فَالْعَمْرُ مَضَى وَالشَّيْبُ أَتَى وَالْمَوْتُ لَحِينِكَ قَدْ قَرَّبَا
فَاعْدُ الزَّادَ فَمَا سَفَرِ عَمَرِ الْأَيَّامِ قَدْ انْتَهَيَا
بَادِرْ بِالتَّوْبِ وَكُنْ فَطِنًا لَا تَلْقَ بِجِرَّتِكَ النَّصِيَا
فَلْعَلَّ اللَّهَ بِرَحْمَتِهِ يَلْقَى بِالْعَفْوِ لَا سَبِيَا

[حكاية أبي سليمان مع عابد]

قال أبو سليمان الداراني - رحمه الله -: كنت أحمل الحطب من الجبال وأتقوت به وكان طريقي فيه التقوى والتحرى فرأيت جماعة من صلحاء البصرة في النوم منهم الحسن ومالك بن دينار وفرقد السبخي^(١٥٤) ، فقلت لهم : أنتم أئمة المسلمين فدلوني على الحلال الذي ليس لله فيه تبعة ولا للخلق فيه منة ، فأخذوا بيدي وأخرجوني من طرطوس^(١٥٥) إلى مرج^(١٥٦) فيه خبازي^(١٥٧) ، فقالوا لي : هذا هو الحلال الذي ليس لله فيه تبعة ولا للخلق فيه منة ، قال : فقعدت آكل منه دهراً نياً وآكل منه مطبوخاً فأوجد لي الله قلباً طيباً حتى قلت : إن كان أهل الجنة بالقلب الذي لي فهم - والله - في عيش ، فخرجت يوماً على باب البلد وإذا بفتى يريد البلد وكانت لي قطيعات بقت لي من ثمن الحطب الذي كنت أبيعته قبل ذلك

١٥٤ - فرقد بن يعقوب السبخي يكنى أبا يعقوب وهو من عباد البصرة ، شغله التعبد عن حفظ الحديث فلذلك يُعْرَضُ الثَّغْلَةُ عن حديثه ومات في أيام الطاعون بالبصرة سنة إحدى وثلاثين ومائة .
[صفة الصفوة (٣/٢٧١ - ٢٧٣)]

١٥٥ - طرطوس : بلد بالشام مشرفة على البحر قرب المرقب وعكا .
[معجم البلدان (٤/٣٠)]

١٥٦ - مرج : المرج : أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدواب .
[الوسيط (٢/٨٦١)]

١٥٧ - خبازي : الخُبَّازِي : جنس نبات من الفصيلة الخُبَّازِيَّة ، منه نوع يطهى ورقه فيؤكل .
[الوسيط (١/٢١٥)]

فقلت : هذه لا أحتاج إليها أدفعها لهذا الفقير ينفقها فلما دنا مني أدخلت يدي لأخرجها له فرأيت أنه قد حرك شفتيه وإذا كل من حولي من الأرض ذهب وفضة حتى كاد يخطف بصري ، قال : ثم خرجت مرة أخرى فرأيت أنه قاعداً وبين يديه ركوة وفيها ماء فسلمت عليه ثم طلبت منه أن يكلمني فمد رجله فقلب الركوة ثم قال : كثرة الكلام تنشف الحسنات كما تنشف عن هذه الأرض الماء بكفيك .

[ثقلب الأيام]

قال محمد بن غسال صاحب الكوفة وقاضيا : دخلت على أمي في يوم عيد أضحي ، فرأيت عندها عجوزاً في أطمار زثة ، وإذا لها بيان ولسان فقلت لأمي : من هذه ؟ فقالت : خالتك ، عافية^(١٥٨) أم جعفر البرمكي وزير هارون الرشيد ، فسلمت عليها وسلمت عليّ فسألتها عن حالها وقلت لها : صيرك الدهر إلى ما أرى ؟ قالت : نعم يا بني ، إنما كنا في عوار^(١٥٩) ارتجعها الدهر مِنّا ، فقلت لها : حدثيني ببعض شأنك . قالت : خذه جملة وقس على ذلك لقد مضى على عيد مثل هذا ثلاث سنين وعلى رأسي أربعمئة وضيعة^(١٦٠) وأنا أزعم أن ابني عاق ، وقد كان بعث إليّ برسم الأضحى ألف رأس من الغنم وثلاثمئة رأس من

١٥٨ - كذا بالأصل والصواب (عبادة) [انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٩٧/١٠)] وهذا الأثر ورد بالبداية والنهاية أيضاً (١٩٧/١٠) عقب كلامه عن مقتل جعفر بن يحيى البرمكي وتبدل حال أسرته .

١٥٩ - عوار : جمع عارية وهي ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك - والمراد أن الله قد أعطاهم المنزل التي كانوا فيها عارية ثم استردها منهم . [الوسيط (٦٣٦/٢)]

١٦٠ - وضيعة : جملة حسنة ونظيفة - والمراد أنه كان يخدمها أربعمئة جارية جميلة نظيفة كأحسن ما يكون وهذا دليل على عزها والمنزلة التي وصلت إليها . [الوسيط (١٠٣٨/٢)]

البقر ، دون ما يتبع ذلك من الزينة واللباس ، وقد جئتكم اليوم أطلب جلدى
شأتين أجعل إحداهما شعاراً (١٦١) والآخر دثاراً (١٦٢) - تعنى غطاء - بالليل قال :
فغمنى ذلك من قولها ، وكربنى ما رأيت من حالها ، وأبكأنى والله قولها ، فوهبت
لها دنانير كانت معى .

[لا تغتر بالدنيا]

فانظر يا أخى حال الدنيا كيف يحول ، ونعيمها كيف يذهب ويذول ،
فالمغرور - والله - من اغتر بها ، والمسعود من رأى عيها وفرّ منها والمصائب فى
الدنيا أعداد فواحد يصاب فى الأموال والأولاد وآخر يعرى من الإسلام بالطرد
والإبعاد .

[فتنه الدين]

وقال بعض السادات : كنت جالساً عند الحسن البصرى - رضى الله
عنه - فمر بنا قوم يجرون قتيلاً فلما رآه الحسن وقع مغشياً عليه فلما أفاق من
غشيته سأله عن أمره فقال : إن هذا الرجل كان من أفضل العباد وكبار السادات
الزهاد ، فقلت له : يا أبا سعيد أخبرنا بخبره وأطلعنا على أمره ، قال : إن هذا
الشيخ خرج من بيته يريد المسجد ليصلى فيه فرأى فى طريقه جارية نصرانية فافتتن
بها فامتنعت عنه فقالت : لا أتزوجك حتى تدخل فى دينى فلما طالت المدة وزاد
به الأمر جذبته شقوته فأجاب إلى ذلك وبرىء من دين الحنيفية فلما صار نصرانياً
وكان منه ما كان خرجت المرأة من خلف الستر وقالت : يا هذا ، لا خير فىك
خرجت من دينك الذى صحبتته عمرك من أجل شهوة لا قدر لها ، لكن أنا أترك

١٦١ - شعار : ما ولى جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب .

[الوسيط (١/٤٨٤)]

١٦٢ - دثار : الثوب الذى يكون فوق الشعار . [الوسيط (١/٢٧١)]

دين النصرانية طلباً لنعم لا يفنى عني طول الأبد في جوار الواحد الصمد ، ثم قرأت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (١٦٣) فتعجب الناس من أمرها وقالوا لها : كنت تحفظين هذه السورة قبل هذا ؟ قالت : لا - والله - ما عرفتها قط ولكن هذا الرجل لما أَلَحَّ عليّ رأيت في النوم كأنني دخلت النار فعرض عليّ مكاني منها فارتعبت وخفت خوفاً شديداً فقال لي مالك (١٦٤) : لا تخافي ولا تحزني فقد فداك الله بهذا الرجل منها ثم أخذ بيدي وأدخلني الجنة فوجدت فيها سطرّاً مكتوباً فقرأته فوجدت فيه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّثْ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١٦٥) ثم أقرأني سورة الإخلاص فأقبلت أرددّها ثم انتهت وأنا أحفظها ، قال الشيخ حسن ، فأسلمت المرأة وقتل الشيخ على رده . نسأل الله العافية .

١٦٣ - سورة الإخلاص .

١٦٤ - مالك : المراد الملك الذي جعله الله على النار .

١٦٥ - سورة الرعد : الآية ٣٩ .

الفصل السابع عشر

[يامن يذنب ولا يتوب]

يامن يذنب ولا يتوب كم كتبت عليك الذنوب ، ويحك خل الأمل الكذوب ، وا أسفاً أين أرباب القلوب تفرقت بالهوى في شعوب ، ندعوك إلى صلاحك ولا تؤوب ، واعجباً لك ما الناس إلا ضروب .

يا دهرُ ما أقضاك من متلوث في حالتك وما أقلك منصفاً
وغدوت للعبد الجهول مصافياً وعلى الكريم الحر سيقاً مرهفاً
دهراً إذا أعطى استردَّ عطاؤه وإذا استقام بدا له فتحرفاً
لا أرئضيكَ وإن كرمت لأنبي أدري يائتك لا تدوم على الصفا
مادام خيرك يازمان بشره أولا نياماً قل منك وما كفا

[موعظة للحسن البصري]

روى عن الحسن البصري -رضي الله عنه- أنه قال : أدركت أقواماً وصعبت طوائف كان يأتي على أحدهم الخمسون سنة ونحوها ما طوى منهم أحد ثوباً قط لفراش ولا نوم ولم يأمر أهله قط بعمل طعام ولا جعل بينه وبين الأرض فراشاً ولقد كان يأكل أحدهم الأكلة فيود أنها حجر في بطنه ، وما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا ، ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولهى أهون عليهم من هذا التراب الذي تطؤونه بأرجلكم ولقد كان أحدهم يعيش عمره مجهوداً شديد الجهد والمال الحلال إلى جنبه ، فيقال له : ألا تأخذ من هذا المال شيئاً لتقتات به فيقول : لا والله إني لأخاف إن أصبت شيئاً يكون فساداً لقلبي وديني .

[زهّد سلمان الفارسی]

یروی عن سلمان الفارسی (١٦٦) - رضی اللہ عنہ - أنه تزوج امرأة من كندة يقال لها صواب فأتاها ووقف بباب البيت ونادى باسمها فلم تجبه فقال لها : يا هذه ، أخرجسأ أنت أم صماء ؟ ألا تسمعين ؟ قالت : يا صاحب رسول الله ﷺ - ما لي خرس ولا صمم ولكن العروس تستحي أن تتكلم ، فدخل المنزل وإذا بالأستار والأرياش ولباس الديباخ فقال : يا هذه ، أبيتك هذا محموم فدثرته أم تحولت الكعبة في كندة ؟ قالت : يا صاحب رسول الله ﷺ - ولكن العروس تزین بيتها فرفع رأسه فرأى خدماً وقوفاً على رأسه قد أتوه بالماء والطعام فقال : سمعت رسول الله ﷺ - يقول : « من نام على المأثور ولبس المشهور ، وركب المنظور ، وأكل الشهوات لم يرح رائحة الجنة » (١٦٧) قالت : يا صاحب رسول الله ﷺ - أشهدك أن كل ما في البيت صدقة لوجه الله تعالى وكل مملوك حر لوجه الله ، واكفني براً أكفك اشتغال البيت ومحاوله العيش فقال لها : رحمك الله وأعانك (١٦٨) .

١٦٦ - سلمان الفارسی : صحابی كان یسمى نفسه سلمان الإسلام أصله من مجوس أصهان ، عاش عمراً طويلاً ، واحتلفوا فيما كان یسمى به في بلاده ، وقالوا نشأ في قرية حیان ، ورحل إلى الشام ، فالوصل ، فنصيبين فعمورية وقرأ كتب الفرس والروم واليهود وقصد بلاد العرب فلقبه ركب من بنی كلب فاستعبدوه وباعوه فاشتراه رجل من قريظة ، وعلم سلمان بخبر الإسلام فقصد النبی نقباء وسمع كلامه ولأزمه أياماً وأعانه المسلمون على شراء نفسه وأظهر إسلامه وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق ، وكان عالماً بالشرائع بحر لا ينزف ، وقد جعل أميراً على المدائن فبقى فيها إلى أن توفي سنة ٣٦ هـ .
[الأعلام (١١٢/٣)]

١٦٧ - لم أقف عليه . وأورده المصنف بصيغة التضعيف .

١٦٨ - أورد هذا الأثر أبو نعيم في الحلية (١٨٥/٢١) وكذلك أورده ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٥٣٩/١) .

الفصل الثامن عشر

[ياغافلاً عن مصيره]

ياغافلاً عن مصيره ، ياواقفاً مع تقصيره ، سبقك أهل العزائم ، وأنت في بحر الغفلة عائم ، قف على الباب وقوف نادم ، ونكس رأس الذلّ وقل : أنا ظالم ، وناد في الأسحار مذنب وراحم ، وتشبه بالقوم وإن لم تكن منهم وزاحم ، وابعث بريح الزفرات سحاب دمع ساجم^(١٦٩) ، وقم في الدجي منادياً ، وقف على الباب تائباً ، واستدرك من العمر ذاهباً ، ودع اللهو جانباً ، وطلق الدنيا إن كنت للآخرة طالباً .

يانائماً طول الليل سارت الرفقة ورحل القوم كلهم ، وما انتهت من الرقدة .

[إنذار الشيب]

ويروى عن إياس بن قتادة^(١٧٠) -رضى الله عنه- ، وكان سيد قومه أنه نظر يوماً إلى شعرة بيضاء في لحيته فقال : اللهم إني أعوذ بك من فجأة الأمور ، أرى الموت يطلبني وأنا لا أفوته ، ثم خرج إلى قومه وقال لهم : يا بني سعد قد وهبت لكم شبابي فلتهبوا إليّ شيبتي ثم دخل داره ولزم بيته حتى مات^(١٧١) .

١٦٩ - ساجم : سائل متصيب . [الوسيط (١/٤١٨)]

١٧٠ - إياس بن قتادة التميمي ابن أخت الأحنف بن قيس وهو من المصطفين من أهل البصرة كان سيد قومه (بنى تميم) ولكنه اعتزلهم في آخر حياته وأخذ يؤذن لقومه ويعبد ربه ولم يغشُ سلطاناً حتى مات . [صفة الصفوة (٣/٢٢١، ٢٢٢)]

١٧١ - ورد هذا الأثر بصفة الصفوة (٣/٢٢١، ٢٢٢) .

وأنشدوا :

أَمِنْ بَعْدَ شَيْبِ أَيْهَا الرَّجُلِ الْكَهْلُ	جَهَلْتُ وَمَنْكَ الْيَوْمَ لَا يَحْسُنُ الْجَهْلُ
تَحْكُمُ شَيْبُ الرَّأْسِ فِيكَ وَإِنَّمَا	تَمِيلُ إِلَى الدُّنْيَا وَيُخَدِّعُكَ الْمَطْلُ
دَعِ الْمَطْلَ وَالتَّسْوِيفَ إِنَّكَ مَيِّتٌ	وَبَادِرْ بِجَدٍّ لَا يُخَالِطُهُ هَزْلٌ
سَأَبْكِي زَمَانًا هَدَّنِي بِفُرَاقِهِ	فَلَيْسَ لِقَلْبِي عَنْ تَذَكُّرِهِ شُغْلٌ
عَجِبْتُ لِقَلْبِي وَالْكَرَى إِذْ تَهَاجَرَا	وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ بَيْنَهُمَا وَصْلٌ
أَخَذْتُ لِنَفْسِي حَتْفَ نَفْسِي بِكَفِّهَا	وَأَثْقَلْتُ ظَهْرِي مِنْ ذُنُوبٍ لَهَا ثَقْلٌ
وَبَارَزْتُ بِالْعَصِيَانِ رَبًّا مَهِيْمِنًا	لَهُ الْمُنُّ وَالْإِحْسَانُ وَالْجُودُ وَالْفَضْلُ
أَخَافُ وَأَرْجُو عَفْوَهُ وَعِقَابَهُ	وَأَعْلَمُ حَقًّا أَنَّهُ حَكَمٌ عَدْلٌ

[موعظة للحسن]

وروى عن الحسن البصرى -رضى الله عنه- أنه كان يقول : هبطت صحيفتك ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك فالذى عن يمينك يكتب حسناتك والذى عن يسارك يكتب سيئاتك ، اعمل ما شئت وأقلل أو أكثر حتى إذا فارقت الدنيا طويت صحيفتك وعلقت في عنقك ، فإذا كان يوم القيامة أخرجت وقيل لك : ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ (١٧٢) .

[أنت حسيب نفسك]

يا أخى ، عدل -والله- عليك من جعلك حسيب نفسك .
يا ابن آدم اعلم أنك تموت وحدك ، وتدخل قبرك وحدك ، وتبعث وحدك ، وتحاسب وحدك .

١٧٢ - سورة الإسراء : الآية ١٤ .

يا ابن آدم ، لو أن الناس كلهم أطاعوا الله وعصيت أنت لم تنفعك طاعتهم .

وروى عن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله - أنه لقي رجلاً فقال له : كيف حالك يا أبا إسحاق فقال له :

تُرْفَعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا فَلَا دِينَنا يَبْقَى وَلَا ما تُرْفَعُ (١٧٣)
فَطُلُوْى لِعَبْدِ آثَرِ الله رَبِّهْ وَجَادَ بِدُنْيَاهُ لِمَا يَتَوَقَّعُ

[إياك أن تؤثر الدنيا]

ويروى أن عون بن عبد الله (١٧٤) كان يقول : وَيَجِى ، كيف أغفل ولا يُغفل عَنّى ، وكيف يهنأ عيشى واليوم الثقيل من ورأى ، كيف لا أبادر بعملى ولا أدرى متى أجلى ، أم كيف أسر بالدنيا ولا يدوم فيها حالى أم كيف أوترها وقد أضرت بمن أثرها قبلى ، أم كيف يشتد حرصى عليها وفى غيرها فرارى وخلدى ، أم كيف تعجبنى وهى زائلة ومنقطعة عَنّى ، أم كيف لا يطول حزنى ورئى لا أدرى ماذا يفعل لى فى ذنوبى .

[بيت النبوة]

ويروى عن عائشة - رضى الله عنها - أنها قالت : كانت تأتى أربعين ليلة ما يوقد فى بيت رسول الله ﷺ - مصباح ولا نار ، قيل : فبم كنتم تعيشون ؟ [قالت على الأسودين التمر والماء] (١٧٥) .

١٧٣ - أورد هذا الأثر أبو نعيم فى الحلية (١٠/٨) .

١٧٤ - عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى : خطيب ، راوية ، ناسب ، شاعر . كان من آدب أهل المدينة وسكن الكوفة فاشتهر فيها بالعبادة والقراءة ، وكان يقول بالإرجاء ، ثم رجع وخرج مع ابن الأشعث ثم هرب وصحب عمر بن عبد العزيز فى خلافته ، وتوفى سنة ١١٥ هـ . [الأعلام (٩٨/٥)]

١٧٥ - حديث صحيح : رواه مسلم (٢٩٧٢) ، والبيهقى (١٦٩/٦) .

ورواه بنحوه : (١٢١/٨) ، وما بين المعكوفتين سقط استدركتاه من مصادره السابقة .

[زهـد ابن إسباط]

وقالت [زوجة يوسف بن إسباط] (١٧٦) : قال لي يوسف بن أسباط : إني لأشتهي من الله ثلاثة قلت : وما هي ؟ قال : اشتهي أن أكون حين أموت ليس في ملكي شيء ، ولا يكون علي دين ، ولا يكون علي عظمى لحم ، ولقد أعطى ذلك كله ، ولقد قال لي في مرضه : هل بقي عندك نفقة قلت : لا . فقال : أي شيء تريد ؟ فقلت : أخرج هذه الخابية (١٧٧) إلى السوق للبيع . قال : فإذا فعلت ذلك انكشف حالنا فقال الناس إنما باعوها من الحاجة فقالت وكان عندنا خروف أهدها لنا بعض إخواننا فأمر بإخراجه إلى السوق فبيع بعشرة دراهم فقال لي : اعزلي منها درهماً لحنوطي وأنفقي سائرها قالت : فمات وما بقي من الدراهم إلا الدرهم الذي أمر بعزله لحنوطه - رضي الله عنه - (١٧٨) .

[متى تطلب الآخرة ؟]

يامن تحدثه الآمال ، دع عنك هذه الوسوس ، متى تنتبه لصلاحك ، أيها الناعس متى تطلب الآخرة ، يامن على الدنيا تتأسف متى تذكر وحدتك إذا انفردت عن كل مؤانس ، يامن قلبه قد قسا وجفنه ناعس . وأنشدوا :
إني بُليت بأربع ما سُلِّطْتُ إِلَّا لِإِعْظِمِ بِلَيْتِي وَشَقَائِي
إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ التَّخْلُصُ مِنْ يَدِي أَعْدَائِي

١٧٦ - ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من صفة الصفوة (٢٦٥/٤) .

ويوسف ابن إسباط الشيباني ، الزاهد الواعظ ، يروى عن سفيان الثوري وغيره ، ويروى عنه المسيب بن واضح وعبد الله بن خبيق الإنطاكي وثقه ابن معين وقال البخاري « كان قد دفن كتبه فكان لا يجيء بحديثه كما ينبغي وتوفي قبل المائتين بسنة » .

[ميزان الاعتدال (٤٦٢/٤) رقم ٩٨٥٦] ، و [صفة الصفوة (٢٦٦/٤)]

١٧٧ - الخابية : وعاء الماء الذي يحفظ فيه . [الوسيط (٢١٣/١)]

١٧٨ - أورد هذا الأثر ابن الجوزي في (صفة الصفوة) (٢٦٥/٤ ، ٢٦٦) .

[علامة المحبة]

وروى عن عبد الأعلى بن علي - رضى الله عنه - قال : صعدت على جبل لبنان لأرى من أتأدب به وأتهذب بأخلاقه ، فدلنى الله على أحدهم فى مغارة ، فوجدت فيها شيخاً تلوح على وجهه الأنوار ، وقد علتة السكينة والوقار ، فسلمت عليه فأحسن الرد ، فبينما أنا قاعد عنده وإذا أنا بمطر عظيم وسيل شديد فاستحييت أن أرى إلى المغارة من غير إذنه ، فنادانى وأوانى وأقعدنى على صخرة بإزائه وكان يصلى على مثلها وقد ضاق صدرى من المطر وتضييقي عليه فى موضعه فنادانى وقال لى : من شرائط الخدام التواضع والاستسلام فقلت له : ما علامة المحب ؟ قال : إذا كان البدن كالحية يلتوى ، والفؤاد بنار الشوق يكتوى فاعلم أن القلب على المحبة منطوى ، وكل نقمة يشاهدها المحب دون الهجر فهى نعمة فالكل عنه عوض إلا المحبوب ، ألا ترى إلى آدم - عليه السلام - شاهد العقاب والنقمة ولكنه لما لم يكن معه هجر كانت منحة ونعمة وجعل يقول :
جَسَدٌ نَاجِلٌ وَدَمْعٌ يَفِيدُ وَهَوًى قَاتِلٌ وَقَلْبٌ مَرِيضٌ
وَسِقَامٌ عَلَى النَّأْيِ شَدِيدٌ وَهُمُومٌ وَخُرْقَةٌ وَنَضِيبُ
يَا حَبِيبَ الْقُلُوبِ قَلْبِي مَرِيضٌ وَالْهَوَى قَاتِلِي وَدَمْعِي يَفِيضُ
إِنْ يَكُنْ عَاشِقٌ طَوِيلٌ بِلَاؤُهُ فَبَلَائِي بِكَ الطَّوِيلُ الْعَرِيضُ

قال : وصاح الشيخ صيحة فسقط ميتاً فخرجت لأنظر معى من يدفنه وأجهزه فما وجدت أحداً فرجعت إلى المغارة فطلبته فما وجدته فبقيت متحيراً فى أمره متفكراً فسمعت هاتفاً يقول : رفع المحب إلى المحبوب وفاز بالبغية والمطلوب .

الفصل التاسع عشر

[مهر الآخرة يسير]

يأخى ، لا يبيع الباقي بالفانى إلا خاسر ، وإياك والأنس بمن ترحل عنه
فتبقى كالحائر ، رفيق التقوى رفيق ، ورفيق المعاصى غادر ، مهر الآخرة يسير ،
قلب مخلص ولسان ذاكر ، إذا ثبت لم تتبه فاعلم أنك سائر ، فديت أهل التهجد
بلسان باك وجفن ساهر ، كم لهم على باب ﴿تَنَجَّأَى جُنُوبُهُمْ﴾ (١٧٩) من تملق
ودمع قاطر ، إذا تنسموا نسيم السحر أغناهم عن نسيم العذيب (١٨٠) وحاجز ،
عصفت بهم رواشق الاستغفار والبواكر ، عمروا منازل الخدمة ومنزل الغفلة
خراب دائر .

[حكاية شاب عابد]

قال ذوالنون - رحمه الله - رأيت شاباً فى بعض السواحل مصفر اللون على
وجهه نور القبول وآثار القرب وعز الأنس ، فقلت : السلام عليك يا أخى ،
فقال : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ، فقلت له : ما علامة المحبة ؟ فقال :
التشتت فى البلاد ، والتهتك فى العباد ، وتحريم الرقاد ، وحشية الرماد .
وأنشدوا :

أَبْلَيْتَ مَنْ أَحْبَبْتُ يَا حُسْنَ الْبَلَا وَتَخَصَّصْتَ بِالْبُلُوى رِجَالاً خُشَعاً
أَحْبَبْتُ بِلَوَاهِمٍ وَطُولِ حَنِينِهِمْ وَأَطْلَكَ ضَرَهُمْ لَكِى يَتَخَضَعَا

١٧٩ - سورة السجدة : الآية ١٦ .

[اللسان (١/٥٨٥) ط دار صادر

١٨٠ - العذيب : ماء لبنى تميم .

[دير المحبة]

إخواني ، إلى دير المحبة من موارد ومصادر ، بنهر واهب الشوق لتكون إليهم سائر ، طلبوا منه شراباً عتيقاً جل عن معاطره العاصر ، فتح لهم دنات التوله فانفض منه رحيق التحقيق ، له شعاع يملأ البصائر أدار عليهم أقداح الوجد فحنوا إلى المزيد حين الذاكر ، خامرهم سكر ، التوله فبدا لهم كل غائب وحاضر ، استزادوا من الشراب الطيب الطاهر ، بذلوا فيه النفوس والأوطان والغائب والحاضر ، أطربهم تلحين أهل دير المحبة فتواجدوا تواجد أكابرهم عن كابر ، محبوبهم ساقيم ومجلس أنسهم منضد بأنواع الأزاهر ، ملوك في وقت السكر ، عبيد في وقت الصحو ، فهم بين غائب وحاضر ، شربة من هذا الهدام رخيصة ببذل الكون والأوائل والأواخر ، لا يتركه إلا سفيه ليس لثيه شقائه من آخر .

[محبة الأنبياء والصالحين]

أقبل بصحى وبادر قبل علق نابيه وباكر ، يفيك عن كل مطعوم ومشروب وعن كل نسيم عاطر ، منها شرب آدم وناح عليها نوح ونشر زكريا بالمناشر ، وعرض الخليل على النار فما أحس بما هو إليه ساير ، وعاجل الشوق موسى فقال ﴿أُرِنِي﴾ لعل أرى المنظور في الناظر ، وكم لداود من سكر أشواق وتلحين مزامر ، وهام عيسى في البرارى لا يأوى على باد ولا حاضر ، شربها شرباً نبينا محمد - ﷺ - ﴿أَلَسْتُ﴾ فأبقت فيه بقية أوجبت المدائح والمفاخر .

لك انفتح الكون فاختر هذا الشراب الطيب الطاهر ، قطرة من نهر الكوثر تروى منها في ظمأ الهواجر ، دارت على الصديق والفاروق والسعيد إلى العاشر ، اجتمعوا لشربها في الأول واجتمعوا لشربها في الآخر ، ابقوا في دنات المعاني بقايا الكرام فضل الأكابر ، صفت لأهل الصفة فصفت بشربها السرائر ، فاحلح في شربها العذاول فما لك إن خلعت من عاذل وإن لم تخلعه فمالك من عاذر ، وزمر واضرب وارقص فالكون كونك ومحبوبك حاضر من موضع السر عن سواء وإياك والخابر الحاضر ، إن نظرت لغيره أبعدك ومالك أن بغدت من ناصح .

[نصيحة]

يامعشر الفقراء ، هذا سماعكم فأين من هو معى حاضر ، يأرباب الأحوال معكم أتحدث ولكم أضف ولركبكم أساير ، يامعشر التائبين أما يهون عليكم بذل المعصية لنيل هذا الجوهر المتأخر ، إن فاتك هذا السماع ولم تطرب فأنت فى برية المحرمات حائر .

[حقيقة المحبة]

قال أبو بكر الوراق : حقيقة المحبة مشاهدة المحبوب على كل حال فإن الاشتغال بالغير حجاب وأصله التسليم واليقين فإنهما يبلغان إلى درجات المتقين فى جنات النعيم . وأنشدوا :

أحبُّ الصالحين ولستُ منهم وأطلب أن أنالَ بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصى ولو كنّا سَوَاءً فى البضاعة

[ابتداء المحبة]

ويروى عن ذى النون المصرى أنه قال : بينا أنا فى بعض الفيافى والقفار أطوف وإذا بغلام قد انتقع لونه ونخل جسمه يتلأل نور الخدمة بين عينيه ويتعلق آثار القبول من بين وجنتيه وعلى وجهه سمت الطاعة والمجاهدة وهيئة الموانسة والمشاهدة وعليه طمران^(١٨١) وعلى بدنه جبة صوف مفتقة الأكمام والذبول وعلى أحد كفيه مكتوب ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾^(١٨٢) وعلى الكف الآخر مكتوب ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾^(١٨٣) وعلى ذيلها مكتوب « لا تباع ولا تشتري » وعلى صدرها

١٨١ - طمران : الطمر : الثوب الخلق البالى . [الوسيط (٥٦٥/٢)]

١٨٢ - سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

١٨٣ - سورة النور : الآية ٢٤ .

مكتوب « حب مولاي دوائى » فما رأيت من طمرين أنظف منهما فتهيات لخطابه
ثم دنوت منه بعد ساعة فقلت : السلام عليك يا عبد الله فقال : وعليك السلام
ياذا النون فقلت : ومن أين عرفتني ياأخى ؟ فقال : اطلعت حقائق الحق من
ضميرى على مكتوب ضميرك فشاهد صفاء معرفتك فى غياهب غيوب همتك
فتعاطفا وتعانقا فعرفنى أنك ذو النون المصرى^(١٨٤) . فقلت له : ياأخى ما ابتداء
المحبة ؟ فقال : ياذا النون محبوب بلا اختيار محبته بأيا محال ، فقلت له : ياأخى
الزهد فى الدنيا طلب للعقبى ثم طلب للمولى فقال : ياذا النون الزهد فى مخلوق
لطلب مخلوق آخر خسران وإنما يصلح الزهد فى الدنيا المخلوقة لطلب المولى
الخالق ، ياذا النون ، صغرت همة عبد رضيت من محبوب قديم بجنة مخلوقة إنما
معنى الزهد التجنب عن الأغيار وتبع الأخيار ومشاهدة الآثار لوجود الملك الجبار
فمن طلب الأغيار فمطلوبه مشهوده ، ومن طلب الجبار فمطلوبه محبوبه فالمخلوق
إذا رضى بمخلوق مثله فالمشكلة مقصودة ، ياأخى ياذا النون ، الدون كل الدون
والمغبون كل المغبون من هجر لذة الكرى^(١٨٥) والهوى وأبغض طيب الدنيا ثم
رضى بدون المولى وكد نفسه وهجر دنياه رهبة أن تكون النار مثواه أو رغبة أن
تكون الجنة مأواه ، فقلت له : ياأخى ، تصيرونى فى هذه الفياقى المقفرة والخالكة
المقحطة بلا زاد ففضب ، وقال : يابطال ما هذا الاعتراض على من لم يطلعك على
حاله ولا يأتمنك على سره ، أما أمرنا فى حال المأكول والمشروب فهكذا فوكر
برجله اليمنى على الأرض فإذا بعين من سمن وعسل فأكل وأكلت معه ثم وكز
الأرض برجله اليسرى فإذا بعين من الماء أحلى من العسل وأبرد من الثلج فشرب
وشربت معه ورد الرجل عليها فعادت الأرض كما كانت كأن لم يكن بها شئ قط
ثم ولّى عني وتركنى فبقيت باكياً ومما عاينت متعجباً .

١٨٤- هذا الكلام من شطحات الصوفية - أعاذنا الله منه - فكن على حذر منه
واعرض كل ما تقرأه أو تسمعه على الشرع فإن وافقه فحذه وإن لم يوافقه فاضرب به عرض
الحائط . لأن هذه الشطحات كثيراً ما عانيت منها ومن ترددها فى قريتى التى تعج بالصوفية
من كل نوع فهذا شاذلى وهذا هاشمى وهذا عزائمى .. وهلم جرا ولا يملون مطلقاً من نريد
هذه الشطحات . فاللهم طهر بلاد المسلمين منهم يارب العالمين .

١٨٥- الكرى : النعاس والنوم .

[الوسيط (٢/٧٨٥)]

الفصل الموفى للعشرين

[ياأسير الغفلة]

ياأسيراً فى قبضة الغفلة ، ياصريعاً فى سكرة المهلة ، ياناقض العهد انظر لمن
عاهدت فى الزمن الأول ، أكثر العمر قد مضى وأنت تتعلل ، يامدعواً إلى نجاته
وهو يتوانى ، ما هذا الفتور والعمر قد تدانى كأنك بالدمع يجرى عند الموت
ضناناً .

يا أخى ما أحسن ما كنت فتغيرت ما أقوم حاجاتك فكيف تعثرت ،
يامعشر المطرودين عن رفاق التائبين ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي
كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (١٨٦)

[كفران النعمة]

كان بعض الأغنياء كثير الشكر فطال الأمد فبطر (١٨٧) وعصى فما زالت
نقمته ولا تغيرت حالته ، فقال : يارب تغيرت طاعتي وما تغيرت نعمتي فهتف به
هاتف يقول : يا هذا إن لأيام الوصال عندنا حرمة وذمماً حفظناها نحن لك
وضيعتها أنت لنا . وأنشدوا :

سَأْتُرُّكَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ واقِعاً فَإِنْ عِدَّتْ عُدْنَا وَالْوَدَادُ سَلِيمٌ
تُواصلُ قوماً لا وفاءَ بعهدهم وتُترُّكُ مثلى والحفاظُ قديمٌ

١٨٦ - سورة التل : الآية ٧٥ .

١٨٧ - بطر : بطر النعمة أى استحفظها فكفرها . [الوسيط (١/٦١)]

[وصية لحاتم الأصم]

قال رجل لحاتم الأصم^(١٨٨) - رحمه الله - أوصني بشيء أتصل إلى باب الله سبحانه وتعالى فقد عزمت على سفر الحج فقال : يا أخي إن أردت أنيساً فاجعل القرآن أنيسك ، وإن أردت رفيقاً فاجعل الملائكة رفقاؤك ، وإن أردت حبيباً فالله سبحانه وتعالى يتولى قلوب أحبائه ، وإن أردت الزاد فاليقين بالله سبحانه وتعالى نعم الزاد ، واجعل البيت قبلة وجهك ، وطف بترك حوله .

[خوف عطاء]

قال عطاء السلمي^(١٨٩) لعمر بن يزيد السلمي^(١٩٠) : أوصني فقال : يا أبا أحمد الدنيا بلاء في بلاء مع هوى النفس ومقارنة الشيطان ، والآخرة بلاء في بلاء مع الموافقة والحساب فيا لها من نفوس مضمحلة فيما بينهما . فحتى متى تلهو وتلعب وملك الموت في طلبك لا يغفل عنك والملائكة يكتبون عليك قال : فخر مغشياً عليه^(١٩١) .

١٨٨ - حاتم الأصم : هو حاتم بن عوان (وقيل ابن يوسف) أبو عبد الرحمن المعروف بالأصم : زاهد اشتهر بالورع والتقشف . له كلام مدون في الزهد والحكم . من أهل بلخ زار بغداد واجتمع بأحمد بن حنبل وشهد بعض معارك الفتوح مات (بواشجرد) سنة ٢٣٧ هـ . [الأعلام (١٥٢/٢)]

١٨٩ - عطاء السلمي من عباد البصرة من الطبقة الرابعة ، أدرك أيام أنس بن مالك ولقى الحسن ومالك بن دينار وخلقا من تلك الطبقة وشغلته العبادة عن الرواية . [صفة الصفوة (٣/٣٢٥ - ٣٣٠)]

١٩٠ - كذا بالأصل ولكنه ورد بحلية الأولياء (٢١٩/٦) ، وصفة الصفوة (٣/٣٢٩) باسم (عمر بن درهم) .

١٩١ - أورد هذا الأثر أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢١٩/٦ ، ٢٢٠) وأورده أيضاً ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣/٣٢٩) .

[بادروا بالدموع]

يامن صحيفته سوداء اغسلها بالدموع وتعرض لجال المجتهدين وقل ضال
ضل عن الطريق مقطوع، هذا مأثم الأحران إلى أى وقت تدخر الدموع، هذا مجلس
الشكوى هذا وقت الرجوع فبادروا إخوانى وافهموا أسرار المراد ﴿فَسْتَذْكُرُونَ
مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١٩٢) . وأنشدوا :
ما الذنب لى فيما مضى سالفاً الذنب للدهر وسوء القضا
فامنن وجد بالصفح عن مذنب معترف بالذنب فيما مضى
قد ظل من خوفك فى حيرة فى قلبه منك لهيب الغضا
إن كان لى ذنب فى حرمة توجب لى منك جميل الرضا

[حكاية الأصمعى وعابدة]

قال الأصمعى : كنت ماراً بالبادية وإذا أنا بامرأة كأنها فلقة قمر فدنوت
منها وسلمت عليها فأحسنت إليّ الرد ثم قلت : يا جارية كلى بكلك مشغول
فقلت فى الحال : كلى بكلك مبدول ولكن إن أعجبك حسنى فانظر خلفك
فإنك ترى من هى أحسن منى فنظرت خلفى فما رأيت أحداً فصرخت علىّ
وقالت : إليك عنى يا بطال لما رأيتك من بعد حسبتك عارفاً لا عاشقاً، تدعى إلى
محبتى وتنظر إلى غيرى وأنت لم تصل إلى قرينى ثم ولت عنى ورمقت إلى السماء
بطرفها ونادت : إلهى حب الوصال شردنى آه آه خوف القطيعة أزعجنى ، آه من
الانفصال قبل الاتصال ، وجعلت تقول : حبى فى ذى القفار شردنى آه من الحب
ثم آه، خوف فراق الحبيب أزعجنى آه من الخوف ثم آه ، شبه حالى بتاجر غرق ثم
نجاً من البحر ثم تاه .

[حكاية شيان المصاب]

وقال سالم : بينما أنا سائر مع ذى النون المصرى فى جبل لبنان إذ قال لى :
مكانك ياسالم حتى أعود إليك فغاب عنى ثلاثة أيام فى الجبال وأنا أأطعم نفسى من

١٩٢ - سورة غافر : الآية ٤٤ .

نبات الأرض وأسقيها من عذراها إذ طالبتني بشيء من القوت فلما كان بعد ثلاثة أيام عاد إليّ وهو متغير اللون ذاهب العقل فقلت له : هل عارضك السبع ياباً الفيض ؟ فقال : دعني من تخويف البشرية إني دخلت كهفاً من كهوف هذا الجبل فرأيت فيه رجلاً أبيض الرأس واللحية أشعث أغبر نحيفاً كأنه خرج من قبره ذا منظر يهول وهو يصلي فسلمت عليه فردّ عليّ السلام وقال لي : الصلاة ، فلم يزل راکعاً ساجداً حتى صلى العصر واستند إلى حجر كان بإزائه وهو لا يكلمني فبدأته بالكلام وقلت له : يرحمك الله أوصني بشيء انتفع به وادع لي بدعوة فقال : يا بني من آنس الله سبحانه بقربه أعطاه أربع خصال :

عزاً من غير عشيرة . وعلماً من غير تعلم . وغنى من غير مال . وأنساً من غير جماعة .

ثم شهق شهقة فلم يبق إلا بعد ثلاثة أيام حتى ظننت أنه ميت فلما أفاق وقام وتوضأ من عين كانت إلى جنبه وسألني عما فاتته من الصلاة فأخبرته فقضاه ثم قال لي :

إِنَّ ذِكْرَ الْحَبِيبِ هَيَّجَ قَلْبِي ثُمَّ حَبَّ الْحَبِيبِ أَذْهَلَ عَقْلِي

وقد استوحشت من ملاقات المخلوقين وآنست بذكر رب العالمين ، انصرف عني بسلام . فقلت : يرحمك الله ، وقفت عليك ثلاثة أيام رجاء الزيادة منك . فقال : أحب مولاك ولا تحب غيره ، ولا ترد بحبه بدلاً فالمحبون لله سبحانه تيجان العباد وأعلام الزهاد وهم أصفياء الله وأحباؤه ، ثم صرخ صرخة ووقع فحركته فإذا هو ميت فما كان إلا هنيهة وإذا بجماعة من العباد قد انحدروا من الجبل فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه فسألتهم ما اسم هذا الشيخ الصالح فقالوا : شيان المصاب . قال سالم : فسألت عنه أهل الشام فقالوا : نعم رجل مجنون خرج من أذى الصبيان . فقلت لهم : هل تعرفون من كلامه شيئاً ؟ قالوا : نعم كان إذا ضجر يقول : إذا أنا بك لم أجن ياسيدي فبمن أجن (١٩٣) - رحمه الله - .

١٩٣ - أورد هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/٣٤٨ - ٣٥٠) .

الفصل الحادى والعشرون

[خير أمة أخرجت للناس]

يا أخى ، لله در أقوام نعمهم مولا هم بقربه فحجبهم عن خطرات
الوسواس ، حمى أقليم قلوبهم من غبار الشهوات من حمايته بحراس ، قبلوا أمره
بالقبول ، وقاموا به على العينين والراس ، قدموا زاد الأعمال لسفر الموت وظلمة
الأماس^(*) ، بأفرس أبطال ميدان الدجى لله درهم من أبطال وأفراس ، خلع عليهم
خلعة الرضا وناداهم مرحباً بالأحباب الأكياس ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ﴾ (١٩٤) وأنشدوا :

[حسن الظن]

يانفس توى قبل أن ينكشف الغطا	وأدعى إلى يوم النشور فأجذع
فلله عبد خائف من ذنوبه	تكاد حشاه من أساه تقطع
إذا جنّه الليل البهيم رأيت	وقد قام فى محرابه يتضرع
يُنَادى بذل يا إلهى وسيدى	وَمَنْ يهرب العاصى إليه ويفزع
قصدْتُكَ فى سؤلى ومالى مشفع	سوى حسن ظنى حين أرجو وأطمع
فَجُدْ لى بعفوٍ وامح ذنبى ونجنى	من النار يامولى يضُرُّ وينفع
بهذا ينال الملك والفوز فى غد	ويجربى نعيماً دائماً ليس يقطع

[المراقبة والمعرفة]

وقف الفضل الجوهري العالم فى الحرم متوجهاً إلى الكعبة وهو محرم ثم قال
بأعلى صوته : ياتلفى بحتوف المراقبة والمعرفة ، ياقتلى بسيوف المؤانسة والمحبة ،

[الوسيط (٣٧٢/١)]

(*) الأماس : مفرد رمس وهو القير .

١٩٤ - سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

ياحرق بنار الخوف والاشتياق ، وياغرق في بحر المشاهدة والتلاق ، هذه ديار المحبوب فأين المحبون ، هذه أسرار القرب فأين المتنافسون ، هذه آثار الديار والرُبوع فأين القاصدون ، هذه ساعة العرض والاطلاع على الدموع فأين الباكون ، ثم شهق شهقة عظيمة وغشى عليه فأفاق بعد ساعة وهو يقول :

تَبَدَّى لِنَاظِرِي بَلِيل الشَّوْقِ تَحَاطَرِي
حَاضِرٌ غَيْرُ غَائِبٍ سَاكِنٌ فِي الضَّمَائِرِ

قال الراوى : فدنوت منه فقلت له : ياسيدى ما علامة المحبين لله ؟ قال : إن للمحبين فى ظلال الليل عند الله سبحانه بساطاً وبهيم وبينه انبساطاً شعلهم الأنس بمعبودهم عن لذة الكرى ، وقطعهم الشغل به عن جميع الورى ، ولا يؤثرون على مناجاته مناماً ، ولا يختارون على كلامه كلاماً ، عرفه من عرفه ، وذاقه من ذاقه ، واستأنس به من استطابه ، سبحانه من حكم بالفناء على الخلائق فتساوى عنده العبيد والملوك ، تفرد بالبقاء وتوحد بالقدم ، وصرف أقداره فى الملك بما يريد ، ظهر افتقار الكل إليه الصالح والطالح ، والقوى والرشد ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (١٩٥) . حواد شمل الكل عطاؤه ، فأين يفر العاصى ، ومن يجير العتيد ، كم جندل القضاء من زعيم ، وكم أدخل للحضرة من طريد ، ما أعفل أهل المعاصى عن قسمة العباد فمنهم شقى ومنهم سعيد . وأنشدوا :

إحدى وستون لَوْ مرث على حجرٍ كان من حكمها أن تجلَو الحَجَرِ
تؤمل النفسُ آمالاً لتبلغها كأنها ما تُرى وما يصنعُ القدر

[عبادة الغضائرى]

قال أبو إسحاق الجبلى : قدمت على على بن عبد الحميد الغضائرى (١٩٦) فوجدته أفضل خلق الله عبادة وأكثرهم مجاهدة ، وكان لا يفرغ من صلاته آناء ليله ونهاره فانتظرت فراغه فلم أصبه ولا وجدته فقلت له : إنا قد تركنا الآباء

١٩٥ - سورة الرحمن : الآية ٢٩ .

١٩٦ - على بن عبد الحميد الغضائرى : من عباد الطبقة السابعة من أهل الشام . حج ماشياً على قدمه أربعين عاماً .
[صفة الصفوة (٤/٢٤٠، ٢٤١)]

والأمهات والأهلين والأوطان والبنين والبنات بالرحلة إليك فلو تفرغت ساعة تحدثنا بما أُنَاكَ الله من العلم فقال : أدركني دعاء الشيخ الصالح سري السقطي - رضي الله عنه - جئت إليه وقرعت عليه الباب فسمعتة يقول قبل أن يخرج إلى مناجاته : اللهم من جاءني يشغلني عن مناجاتك فاشغله بك عني فما رجعت من عنده حتى جئت إلى الصلاة والشغل بذكر الله تعالى فلا أفرغ إلى شيء سوى ببركة ذلك الشيخ ، قال أبو إسحاق فرأيت كلامه يخرج من قلب حزين وهم كمين والدمع يسابقه - رحمه الله - (١٩٧) .

[أهل المحبة]

سبحان من أَلَفَ بحكمته بين لطائف الأرواح وكتائف الأتسباح ، جعل الليل والنهار جناحي الأعمار يطيران للغناء بلا ريش ولا جناح ، سقى أرواح المحبين شراب المحبة فله ما أحلاه من راح ، غَتَّى لهم في مجالس أنسهم معيد الوجد فشرّبوا بالدنات لا بالأقداح ، زينوا روضة الدجى بأزهار التهجد ، واصطبخوا على الأذكار أي اصطبوا ، فهم بين صبح وغبوق (١٩٨) ، وبين ريحان ورواح ، قلوبهم في قالب الابتلاء تنادى بلسان تصبرهم لا براح ، خلج عليهم خلعة الرضا وأجلسهم بين أفراح من الشوق وافتراح ، نظروا إلى الكون فما رأوا سواه ، فليس عليهم في هيمانهم جناح ، تمشى بصائرهم نور معرفته فترنم عارفهم بألسنة من التوحيد فصاح . وأنشدوا :

يَا أَعَزَّ النَّاسِ عِنْدِي	كَيْفَ حَتَّى تُحْنَتْ عَهْدِي
سَوْفَ أَشْكُو لَكَ حَالِي	فَعَسَى شَكَايَ تُجِدِي
أَنْتَ مَوْلَايَ تَرَانِي	وَدُمُوعِي فَوْقَ خَدِّي
أَقْطَعُ اللَّيْلَ أَقَاسِي	مَا أَقَاسِي فِيهِ وَخَدِي

١٩٧- أورد هذا الأثر بنحوه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٩/١٢) ، واس الحوزي

في « صفة الصفوة » (٢٤١ ، ٢٤٠/٤) .

[الوسيط (٢/٦٤٣)]

١٩٨ - الغبوق : ما يشرب بالعشى .

[علامة الولي]

قال ذو النون المصري : عطشت في بعض أسفاري عطشاً شديداً فعدلت إلى بعض السواحل أريد الماء فإذا أنا بشخص قد اثترز بالحياء والإحسان وتدرج بدراع البكاء والأحزان قائم على ساحل البحر يصلي ، فلما سلّم دنوت منه وسلمت عليه فقال : وعليك السلام ياذا النون قال : فقلت له : يرحمك الله ، من أين عرفتنى ؟ قال : اطلع أنوار شعاع المعرفة من قلبي على صفاء نور المحبة من قلبك فعرفت روحى روحك بحقائق الأسرار ، وألف سرى سرك في محبة العزيز الجبار (١٩٩) .

قال : فقلت : ما أراك إلا وحيداً فقال : ما الأنس بغير الله إلا وحشة ، وما التوكل بغيره إلا ذل ، فقلت له : أما تنظر إلى تطفط (٢٠٠) هذا البحر ، وتلاطم هذه الأمواج ؟ فقال : ما بك من العطش أكثر من ذلك فقلت : نعم فدلنى على الماء بقرب منه فشربت ورجعت إليه فوجدته يبكى بشهيق وزفير فقلت له : يرحمك الله ما يبكيك ؟ فقال : ياأبا الفيض إن لله عبداً سقاها بكأس محبته شربة أذهبت عنهم لذة الكرى .

قال : فقلت له : دلنى على أهل ولاية الله - يرحمك الله - قال : هم الذين أخلصوا في الخدمة فاستخصوا بالولاية ، وراقبوا مولاهم ففتح لهم في نور القلوب . قال : فقلت له : ما علامة المحب فقال : المحب لله غريق في بحر الحزن إلى قرار التحير ، قال : فقلت له : ما علامة المعرفة ؟ قال : العارف بالله لم يطلب مع معرفته جنة ولا يستعيز من نار فعرفه له ولم يعظم سواه معه ، ثم شهق شهقة عظيمة فخرجت روحه ، فواريته في الموضع الذى مات فيه وانصرفت عنه - رحمه الله - .

١٩٩ - « عادت لعكرتها ليس » فهذا مما أشرنا إليه آنفاً وعلقنا عليه في حينه من ذكر

هذه الشطحات الصوفية - فالله المستعان !!!

٢٠٠ - تطفط : الصوت غير المفهوم - والمعنى هياج البحر . [اللسان (٣٧٢/٧)]

الفصل الثاني والعشرون

[الطهارة من الذنوب]

يا أخى لا تغسل أدناس الذنوب إلا بماء المدامع ، لا ينجو من قاتار المعصية إلا من يسارع ، أحضر قلبك ساعة عساه بنائحة الموعظة يراجع ، كم لى أتلو عليك صحف الموعظة وما أظنك سامع ؟! لكن يوم المعصية ما أنحسه من طالع ، ويوم الطاعة مختار وكل سعد فيه طالع ، اطلب ويحك رفاق التائبين وجدد رسائلك للحبيب فطالع ، مصباح التقوى يدل على الحادة ، وكم فى ظلمة الغفلة من قاطع ! ابك - ويحك - على موت قلبك وعمى بصيرتك وكثرة الموانع ، إذا لم يعظك الدهر والشيب والضعف فما أنت صانع ، فبالله يا إخوانى بادروا بالمتاب وراجعوا أنفسكم قبل يوم الحساب .

ما اعتذارى وأمر رنى عصيئ حتى تبدى صحائفى ما أتيت
ما اعتذارى إذا وقفت ذليلاً قد نهانى ما رآنى اشتيت
ياغنياً عن العباد جميعاً وعليماً بكل ما قد سعت
ليس لى حجة ولا لى عذر فاعف عن زلتى وما قد جنيئ

[فضيلة الاعتذار]

قال على بن يحيى : صحبت شيخاً من عسقلان سريع الدمعة ، حسن الخدمة ، كامل الأدب ، متهجداً بالليل متنسكاً بالنهار وكنت أسمع أكثر دعائه الاعتذار والاستغفار فدخلنا يوماً فى كهوف جبل اللكام وغيرها^(*) فلما أمسى رأيت أهل الجبل وأصحاب الصوامع يهرولون إليه ويتبركون بدعائه فلما أصبح وعزم على الخروج قام أحدهم وقال : عظنى فقال : عليك بالاعتذار فإنه إن قبل عذرك

[لسان العرب (٣٥/٥)]

(*) غيرانه : أى جحوره .

ما فعل الله بك ؟ فقال : حبيبي من لا يعتذر إليه مذنب فيخيب ظنه ، ويقبل عذره ، قبل الله عذري وغفر ذنبي وشفعني في أصحاب اللكام .
 لا شيء أعظم من ذنبي سوى أُملي في حسن عَفْوِكَ عَنْ جرمي وَعَنْ عملي
 فَإِنْ يَكُنْ ذا وَدٍ فالذنب قد عظما فَأَنْتَ أعظم من ذنبي ومن زللي
 [أسرار الصلاة]

ويروى عن يوسف بن عاصم (٢٠١) أنه ذكر له عن حاتم الأصم أنه كان يتكلم مع الناس في الزهد والإخلاص ، فقال يوسف لأصحابه : اذهبوا بنا إليه نسأله عن صلاته إن كان يكملها وإن لم يكملها نهيناه عن ذلك ، قال : فأتوه ، وقال له يوسف : يا حاتم ، جئنا نسألك عن صلاتك فقال له حاتم : عن أي شيء تسألني - عافاك الله عن معرفتها ؟ أو عن آدابها ؟ فالتفت يوسف إلى أصحابه وقال لهم : زادنا حاتم مالم نحسن أن نسأله عنه ثم قال لحاتم : نبتدأ بآدابها ، فقال لهم : تقوم بالأمر وتمشي بالاحتساب وتدخل بالسنة وتكبر بالتعظيم وتقرأ بالترتيل وتركع بالخشوع وتسجد بالخشوع وترفع بالسكينة وتشهد بالإخلاص وتسلم بالرحمة قال يوسف : هذا التأديب فما المعرفة ؟ قال : إذا قمت إليها فاعلم أن الله مقبل عليك فاقبل على من هو مقبل عليك ، واعلم بأن جهة التصديق لقلبك أنه قريب منك قادر عليك فإذا ركعت فلا تأمل أن ترفع ، وإذا رفعت فلا تأمل أن تسجد ، وإذا سجدت فلا تأمل أن تقوم ومثل الجنة عن يمينك والنار عن يسارك والصراط تحت قدميك فإذا فعلت فأنت مصل فالتفت يوسف إلى أصحابه وقال : قوموا نعيد الصلاة التي مضت من أعمارنا (٢٠٢) .

-
- ٢٠١ - كذا بالأصل «وبصفة الصفوة» لابن الجوزي ولكن أبو نعيم في «الحلية»
 أورده باسم (عصام بن يوسف) .
 [حلية الأولياء (٧٤/٨)]
 ٢٠٢ - أورد هذا الأثر أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧٤/٨) ، وابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١٦١/٤) .

[بادروا إلى الصلح]

يامهان القلب أى شىء تنفع حياة البدن إذا لم تفرق بين القبيح والحسن ، سلبك المشيب من الشباب فأين البكاء وأين الحزن ، إذا كان القلب خراباً عن التقوى فما ينفع البكاء فى الزمن ، ياقتيل المهجران هذا أوان الصلح ، بادر عسى يزول الغبن .

وقال عاصم بن محمد : كان لى معامل يهودى فرأيته بمكة متضرعاً مبتهلاً فأعجبني حسن إسلامه [فسألته عن ذلك] (٢٠٣) فقال : قدمت إلى أنى إسحاق إبراهيم الآجرى النيسابورى (٢٠٤) وهو يوقد فى تنور الآجرأطلب دينا كان لى عليه فقال لى : أسلم واحذر ﴿نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (٢٠٥) ، فقلت : لا بأس عليك ياأبا إسحاق فأنت أيضاً فيها قال : فعسى تعنى قوله سبحانه ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ (٢٠٦) الآية . فقلت : نعم . فقال لى : أعطنى ثوبك ، فأعطيته إياه ، فلف ثوبى فى ثوبه ثم رمى بهما فى التنور (٢٠٧) وصبر ساعة طويلة ثم قام واجداً شاهقاً باكياً ودخل فى الأتون (٢٠٨) (يعنى مستوقد النار) وهى تتأجج لهبها وزفيرها ، وأخذ الثياب من وسط النار وخرج على الباب الآخر فهالنى (٢٠٩)

٢٠٣- ما بين المعكوفتين سقط أبتناه .

٢٠٤- أبو إسحاق إبراهيم الآجرى النيسابورى قال عنه ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» لا يعرف اسم أبيه اهـ (٢٣٤/٢) وقال أبو نعيم فى «الحلية» (٢٢٣/١٠) : هو أبو إسحاق الآجرى إبراهيم ، بغدادى ، وله كرامات لطيفة . اهـ .

وهذا الأثر ورد نحوه بحلية الأولياء (٢٢٣/١٠) ، وصفة الصفوة (٢٣٤/٢) .

٢٠٥- سورة التحريم : الآية ٦ .

٢٠٦- سورة مريم : الآية ٧١ .

٢٠٧- التنور : الفرن يجز فيه . [الوسيط (٨٩/١)]

٢٠٨- الأتون : الموقد الكبير . [الوسيط (٤/١)]

٢٠٩- هالنى : أفزعنى وأخافنى وأرعنى . [الوسيط (١٠٠٠/٢)]

- ذلك من فعله فهولت إليه متعجباً وإذا بالرزمة صحيحة كما كانت فعلها فإذا هي
بشيأى احترقت كأنها فحمة في وسط ثيابه وثيابه صحيحة لم تمسها النار ثم قال :
يامسكين ، هكذا يكون ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا
مَقْضِيًّا﴾ (٢١٠) فأسلمت على يديه في الحال وهذا ما رأيت من أحوال الرجال .

[جدوا قبل الرحيل]

لله در أقوام ملأ^(٢١١) قلوبهم بأنوار الحكمة والرشاد ، وحرك ساكن
وجدهم فتايلهم كالغصن المياد ، صفت زجاجة أرواحهم وراق لهم شراب
وجدهم وطاب لهم سماع الإنشاد ، أدار عليهم حميا الحماية فألفت عيونهم
السهاد ، فهمم سكران ونشوان وكل أيامهم بمحبوبهم أعياد ، مدد عليهم أطناب
ليل الخلوة غيرة من رقيب الرقاد ، فهم يتشاكون الأشواق بنفس تلف في محبته أو
كاد ، والمحروم نهاره في الشقاء وليله في النوم وعمره في نفاد ركب مركب القضا
للمحنة ففى أصل تركييه فساد ضيع أيامه في الغفلة وفي الكبر ييكي على فائت لا
يعاد فيا معشر المذنبين جدوا قبل الرحيل عن الأجساد .

[عابد في مفازة]

قال يوسف بن الحسن : كنت أسير في طريق الشام إذ عرض إلّى عارض
فعدلت عن الطريق فهالتني المفازة فبدت لي صومعة فدنوت منها وإذا براهب قد
أخرج رأسه منها فأنست به فلما دنوت منه قال لي : يا هذا ، تريد موضع
صاحبكم ؟ قلت : ومن صاحبنا ؟ قال : رجل في هذا الوادي على دينكم متخل
عن فتنة الأقران منفرد بنفسه في ذلك المكان ، واشوقاه إلى حديثه فقلت له : وما
الذي يمنحك عنه وأنت على قرب منه ؟ فقال : أصحابي أقعدوني في هذا الموضع

٢١٠ - سورة مريم : الآية ٧١ .

٢١١ - كذا بالأصل ولعلها ملئت .

وأنا أخشى على نفسى القتل منهم ولكن إذا مضيت إليه فأقرأه منى السلام واسأله
لى الدعاء . قال : فمضيت إليه وإذا برجل قد اجتمعت إليه الوحوش فلما رآنى
قرب منى وكنت أسمع جلبة عظيمة للقوم ولا أرى أحداً منهم فسمعت قائلاً
يقول : من هذا البطال الذى وطء محل العاملين فرأيت رجلاً منكساً رأسه
مسترسلاً فى كلامه تعلوه هيبة ووقار شديد فسمعتة يقول لك الحمد على ما
وهبت لى من معرفتك وخصصتنى به من محبتك ، لك الحمد على آلائك وعلى
جميع بلائك ، اللهم ارفع درجتى إلى درجات الأبرار للرضاء بحكمك وانقلنى إلى
درجة الأخيار ، ثم صاح صيحة عظيمة ثم قال : آه من لى بهم وخرّ مغشياً عليه ،
فلم يتحرك لسانى هيبة له فلما أفاق من غشيته قال لى : سرّ زودك الله التقوى ،
وسار. عني وتركنى .

[الفصل الثالث والعشرون]

[يامن سوف بالمتاب حتى شاب]

يامن سوف بالمتاب حتى شاب ، يامن ضيع في الغفلة أيام الشباب ، يامطروء بدبويه عن الباب ، إذا كنت في الشباب غافلاً ، وفي المشيب مسوفاً متى تقف بالباب ، كم عوملت على الوفا ما هكذا فعل الأحباب ، الظاهر منك عامر والباطن ويحك خراب ، كم عصيان ، كم مخالفة ! كم رياء ، كم حجاب ! ، ولّى طيب العمر في الخطايا ، ترى متى تعود إلى الصواب ، ما بعد الشيب هو ، كيف يجمل بالشيخ النضاب ، أنت لو قدّمت في متقدام عمرك الطاعة لخفف عنك الحساب ، كيف والعمر ولّى في الغفلة لا في طلب الإجاب ، إذا أنذرك المشيب بالرحلة ولم تقدم الزاد ماذا يكون الجواب ، ليت شعري أهل المعاصي كيف عيشهم يطيب ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قُرْبٍ﴾ (٢١٢) .

[حكاية بعض الشباب مع محمد بن واسع]

ويروى أن محمد بن واسع (٢١٣) رأى شاباً في المسجد وقد خاضوا في بحر الغفلة والضلالة فقال لهم : أيجمل بأحدكم أن يكون له حبيب فيخالفه ليفوز به غيره ؟ فقالوا : لا . فقال : أنتم قعود في بيت الله تخالفون أمره وتغتابون الناس

٢١٢ - سورة سبأ: الآية ٥١ .

٢١٣ - محمد بن واسع بن جابر الأزدي ، أبو بكر : فقيه ورع ، من الزهاد . من أهل البصرة . عرض عليه قضاؤها ، فأبى وهو من ثقات أهل الحديث ، قال الأصمعي : لما صاف قتيبة بن مسلم الترك وهاله أمرهم ، سأل عن محمد بن واسع فقيل هو ذاك في الميمنة ينضض بأصبهه إلى السماء ، قال : تلك الأصبع أحب إلي من مئة ألف سيف ! توفي [الأعلام (١٣٣/٧)] . ١٢٣ هـ .

فقالوا : قد تبنا . فقال : يا أولادى ، هو ربكم وحييكم فإذا عصيتموه وأطاعه غيركم خسرتموه أنتم وربحه غيركم ، أو لا يضركم ذلك ؟ قالوا : نعم . فقال : ومن خالفه وربما لو عاقبه أفلا تغيرون على شبابكم كيف يعاقب بالنار والعذاب وغيركم يفوز بالجنة والشواب ؟ قالوا : نعم ، فتابوا وحسن رجوعهم إلى الله تعالى .
وأنشدوا :

أَلَا فَاسْأَلُكَ إِلَى الْمَوْلَى سَبِيلًا	وَلَا تَطْلُبْ سِوَى التَّقْوَى ذَلِيلًا
وَسِيرْ فِيهَا بِجِدِّ وَانْتِهَاضِ	تَجِدْ فِيهَا الْمُنَى عَرْضًا وَطُولًا
وَلَا تَرَكْنِ إِلَى الدُّنْيَا وَعَوَّلْ	عَلَى مَوْلَاكَ وَاجْعَلْهُ وَكِيلًا
وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَعَزَّ عَزَا	يَدُومَ فَكُنْ لَهُ عَبْدًا ذَلِيلًا
وَوَاصِلْ مَنْ أَنْابَ إِلَيْهِ وَاقْطَعْ	وَصَالَ الْمُسْرِفِينَ تَكُنْ نَبِيلًا
وَلَا تُفْنِي شَبَابَكَ وَاعْتَنِمْهُ	وَمُثِّلْ بَيْنَ عَيْنِكَ الرَّحِيلَا
وَلَا تَصِلْ الدُّنَا وَاهْجُرْ بَيْنَهَا	عَلَى طَبَقَاتِهِمْ هَجْرًا جَمِيلًا
وَعَامِلْ فِيهِمُ الْمَوْلَى بِصَدِيقٍ	يَضَعُ لَكَ فِي قُلُوبِهِمُ الْقُبُولَا

[حكاية حمدونة العابدة]

قال يزيد بن الحباب : مررت بحمدونة المجنونة وهى قاعدة على قارعة الطريق وعليها جبة صوف مكتوب بين كتفها هذا البيت مفرد :
سَلَبَ الرُّقَادُ عَنِ الْجَفُونَ تَشْوِيقِي فَمَتَى اللُّقَا يَاوَارِثَ الْأُمُوتِ
قال : فسلمت عليها فردت على السلام فقالت : ألسنت أنت يزيد بن الحباب ؟
قلت لها : نعم فبم عرفيتنى ؟ قالت : اتصلت المعرفة فى الأسرار فعرفتك بتعريف الملك الجبار (٢١٤) . ثم قالت لى : أسألك ؟ قلت : أسألى ، قالت : ما هو السخاء ؟ قلت : البذل والعطاء ، قالت : هذا هو السخاء فى الدنيا ، وما هو السخاء فى الدين ؟ قلت لها : المسارعة إلى طاعة الله ، قالت : يزيد منه خيراً ؟

٢١٤- « عادت لعكرتها ليس » مخالفة شرعية أخرى وكأن هذه المخالفة الشرعية أصبحت سمة عامة من سمات قصص هؤلاء المتصوفة هداانا الله وإياهم .

قلت : نعم بالواحدة عشرة أمثالها ، قالت : يا يزيد آه آه ليس هذا مسارعة إنما المسارعة إلى طاعة الله أن لا يطلع على قلبك وأنت تريد منه شيئاً بشيء ثم أنشأت تقول هذين البيتين :

حَسْبُ الْمُحِبِّ مِنَ الْحَبِيبِ يَعْلَمُهُ أَنَّ الْمُحِبَّ بِبَابِهِ مَطْرُوحُ
فَإِذَا انْقَلَبَ فِي الدُّنْيَا فَفُؤَادُهُ بِسَهَامِ لُوعَاتِ الْهَوَى مَجْرُوحُ

[عاقبة ترك الشهوة]

ويروى عن الحسن البصري -رضي الله عنه- أنه قرأ : ﴿وَالْتَقُوا يَوْمَ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢١٥) فقال : هذه موعظة وعظ الله بها المسلمين وذلك أن الحوراء تقول لولى الله وهو متكئ على نهر العسل وهى تعطيه الكأس وهما فى نعيم وسرور : أتدرى يا حبيب الله متى زوجنيك الله لى ؟ فيقول : لا أدري ، فتقول : نظر إليك فى يوم صائف ، بعيد ما بين الطرفين وأنت فى ظمأ الهواجر ، فباهى بك الملائكة ، وقال : انظروا ياملائكتى إلى عبدى ، ترك شهوته ولذته وزوجته وطعامه وشرايه رغبة فيما عندى أشهدكم أنى قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك .

[الأنس بحب الله]

الله در أقوام لاطفهم بأنسه فتقربوا إليه بقلب سليم ، أذاقهم حلاوة مناجاته فكل منهم بحبه يهيم ، أسكن قلوبهم حبه فليلهم بالأشواق ليل سليم ، طهرها من الهوى فحب الدنيا عنها راحل وحب الآخرة مقيم ، على كل حال لا يعرفون سواه ، فأهلاً به من تنعم ، وأهلاً به من نعيم .

لِلصَّالِحِينَ كَرَامَاتٌ وَأَسْرَارُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ تَخْصِصٌ وَآثَارُ
صَفَتْ قُلُوبُهُمْ لِلَّهِ وَانْصَفَتْ بِالصَّدَقِ وَانْكَشَفَتْ بِالثَّوْرِ أَنْوَارُ
وَاسْتَغْرَقَتْ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ زَمَانِهِمْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَوْرَادُ وَأَذْكَارُ
صَامُوا النَّهَارَ وَقَامُوا اللَّيْلَ مَا سَعَمُوا حَتَّى تَعَزَّتْ عَنِ الظُّلُمَاءِ أَسْحَارُ
خَلَوْا بِهِ وَرَوَّاقِ اللَّيْلِ مَنْسَدَلُ حَتَّى لَهُمْ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْهُ أَنْوَارُ
طُوبَى لَهُمْ فَلَقَدْ طَابَتْ حَيَاتِهِمْ وَشَرَفَتْ لَهُمْكَ فِي النَّاسِ أَقْدَارُ
فَازُوا مِنَ اللَّهِ بِالزُّلْفَى وَأَسْكَنَهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ فَنِعْمَ الدَّارُ وَالْجَارُ

[كرامات ابن أدهم]

يروى عن إبراهيم بن أدهم (٢١٦) - رضى الله عنه - أنه كان على بعض جبال مكة يحدث أصحابه فقال : لو أن ولياً من أولياء الله تعالى قال لهذا الجبل زل لزال فتحرك الجبل فضربه إبراهيم برجله وقال له اسكن إنما ضربتك مثلاً لأصحابي (٢١٧) .

وروى عنه أيضاً أنه ركب البحر فتحرك ريح عاصف فوضع إبراهيم رأسه ونام فقال أصحابه : أما ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : أو هذه شدة ؟ قالوا : نعم . قال : لا وإنما الشدة الحاجة للناس ثم قال : إلهي أريتنا قدرتك فأرنا عفوك فصار البحر كأنه قدح زيت (٢١٨) .

٢١٦ - إبراهيم بن أدهم بن منصور ، التميمي البلخي أبو إسحاق : زاهد مشهور ، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد وجال في العراق والشام والحجاز وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة - كان يعيش من عمله بالحصاد والطحن وغيره - اشترك مع الغزاة في قتال الروم . كان يصوم في السفر والإقامة ، وأخاره كثيرة وفيها اضطراب واختلاف في نسبته ومسكنه ومتوفاه ولعل الراجح أنه مات ودفن في سوفس (حصن من بلاد الروم) كما في تاريخ ابن عساكر . توفي سنة ١٦١ هـ . [الأعلام (٣١/١)]

٢١٧ - أورد هذا الأثر أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/٨) .

٢١٨ - أورد هذا الأثر أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/٨) .

وعنه أيضاً أنه كان في بعض الطرق مع أصحابه فتعرض لهم أسد فقال له أصحابه : يا إبراهيم هذا السبع قد ظهر لنا فقال : أرنيه فلما نظر إليه إبراهيم قال : يا قسورة إن كنت أمرت بشيء فامض لما أمرت به وإلا فتنح عنا قال : فضرب الأسد بذنبه وولى هارباً فتعجنا منه حين فقه كلام إبراهيم بن أدهم (٢١٩) .

٢١٩ - أورد هذا الأثر أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/٨) .

الفصل الرابع والعشرون

[ياراحلاً بلا زاد والسفر بعيد]

ياراحلاً بلا زاد والسفر بعيد ، العين جامدة والقلب أقسى من الحديد ، من أولى منك بالضراء وأنت تغرق في بحر المعاصي في كل يوم جديد ! ما أيقظك الشباب ولا أنذكرك الاكتهال ولا نهاك المشيب ، ما أرى صلاحك إلا بعيد ، فديت أهل العزائم لقد نالوا من الفضل المزيد ، طووا فراش النوم فلهم بكاء وتعدد ، دموعهم تجرى على خدودهم خددت في الحدود أى تحديد ، ما أنت من أهل المحبة ولا من العشاق ياقليل الهمة يا طريد !

<p>لِأَمْرٍ مَا تَغَيَّرَتِ اللَّيَالِي تَبَيَّنَتْ مُنْعَمًا فِي خَفَضِ عَيْشٍ أَلَمْ تَرَ أَثْقَالَ الْخَطَايَا أَتَكْسِبُ مَا اكْتَسَبْتَ وَلَا تُبَالِي إِذَا مَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا بَصِيرًا أَلَا بِأَبِي خَلِيلٍ بَاتَ يُحْيِي بِقَلْبٍ لَا يَفِيقُ عَنْ اضْطِرَابٍ أَرَى الْأَيَّامَ تَنْقَلُبُنَا وَشَيْكَا إِذَا كَانَ الْمَصِيرُ إِلَى هَلَاكِ أَمَّا لِي عِبْرَةٌ فِيمَنْ تَفَانَى كَأَنَّ بُنُوتِي قَدْ قُضِيَ خَلْفِي يُعْجَلْنَ الْمَصِيرَ وَلَسْتُ أَدْرِي يَبِيدُ الْكُلُّ مِنَّا دُونَ شَلِكِ</p>	<p>وَأَنْتَ عَلَى الْبِطَالَةِ لَا تُبَالِي وَتُصْبِحُ فِي هَوَاكَ رَحَى بَالِي عَلَى كَتْفِكَ أُمُتَالِ الْجِبَالِ فَهَلْ هُوَ مِنْ حَرَامٍ أَوْ حَلَالٍ كَفَفْتَ النَّفْسَ عَنْ طَرِقِ الضَّلَالِ طَوِيلَ اللَّيْلِ بِالسَّعْيِ الطُّوَالِ وَجِفْنِ لَا يَكْفُ عَنْ انْهِمَالِ إِلَى الْأَجْدَاثِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ فَمَالِي وَالتَّنْعُمُ ثُمَّ مَالِي مِنْ الْأَيَّامِ مِنْ عَمٍّ وَخَالِي وَتَعْشَى فَوْقَ أَعْنَاقِ الرُّجَالِ لِدَارِ الْفَوْزِ أَمْ دَارِ النَّكَالِ وَيَتَقَى اللَّهُ رَبِّي ذُو الْجَلَالِ</p>
--	--

[تواضع داود وخوفه]

يروى عن رجل من أصحاب داود الطائى أنه قال : دخلت على داود فقال لى : ما حاجتك ؟ قلت : زيارتك . فقال : أما أنت فقد عملت خيراً حين زرتنا ولكن انظر ماذا ينزل إذا قيل لى : من أنت فتزار من العباد أنت ؟ لا والله ، أمن الزهاد أنت ؟ لا والله ، ثم أقبل يوبخ نفسه ويقول : كنت فى الشباب فاسقاً وفى الكهولة مدهاناً فلما شخت صرت مرثياً لا والله إن المرائى أشر من الفاسق وجعل يقول : ياإله السماء والأرض هب لى رحمة من عندك تصلح شبلى وتقينى من سوئى وتعالى فى أعلى مقامات الصالحين مقامى .

[مقامات الرجال وكراماتهم]

اسمع ياأخى مقامات الرجال وكرامات ذى الأحوال الذين اختصهم مولاهم وحباهم بالأفضال .

[حكاية شيان الراعى (٢٢٠)]

وعن عبد الله بن عبد الرحمن قال : حج سفيان الثورى (٢٢١) مع شيان الراعى فتعرض لهم أسد فى بعض الطرق فقال له سفيان : أما ترى هذا الأسد

٢٢٠ - شيان الراعى : هو أبو محمد الراعى من عباد البرارى والفلوات ، كان فى العبادة فائقاً وبالتوكل على ربه عز وجل واثقاً وكان يعيش فى زمن الخليفة العباسى هارون الرشيد . [حلية الأولياء (٣١٧/٨) ، [وصفة الصفة (٣٧٦/٤)]

٢٢١ - سفيان الثورى : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، من بنى ثور بن عبد مناة ، ومن مضر، أبو عبد الله : أمير المؤمنين فى الحديث ، كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ فى الكوفة ، وراوده المنصور العباسى أن يلى الحكم فأبى وخرج من الكوفة (سنة ١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة . ثم طلبه المهدي ، فتوارى . وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً . له من الكتب « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » كلاهما فى =

كيف قطع علينا الطريق وأخاف الناس ؟ قال شييان : لا تخف ، فلما سمع الأسد كلام شييان بصبحص إليه ، وأخذ شييان بأذنه ففركها فبصبص وحرك ذنبه ، وولى هارباً فقال سفيان : ما هذه الشهرة ياشييان ؟! قال : أو هذه شهرة ياسفيان ؟! لو أردت الشهرة لوضعت زادي على ظهره حتى آتى مكة (٢٢٢) .

[كرامة لسفيان الثوري]

يروى عن عبدالرحمن بن أبي عباد المكي أنه قال : قدم علينا شيخ يكنى بأبي عبدالله ، قال : أقبلت في السحر إلى بئر زمزم ، وإذا بشيخ قد سدل ثوبه على وجهه وأتى البئر واستسقى ، قال : فقممت إلى فضله فشربت منها فإذا هو ماء مضروب بعسل لم أذق ماء قط أطيب منه ، فالتفت وإذا بالشيخ قد دخل من باب المسجد قد سدل ثوبه على وجهه فأتى البئر واستسقى فشرب ، وخرج ، فقممت إلى فضله فإذا هو سويق ألد ما يكون فلما كان في الليلة الثالثة أتى البئر أيضاً واستسقى فأخذت طرف ملحفته ولففته على يدي ثم شربت فضله فإذا هو لبن مضروب بسكر لم أذق قط أطيب منه فقلت : ياشيخ ، بحق هذا البيت عليك من أنت ؟ قال : تكتم عليّ . قلت : نعم . قال : أنا سفيان الثوري .

[المفلس من الطاعة]

لله در أقوام أفناهم شهوده عن وجودهم فحالمهم يسوق ، شوقهم مستديم ، أقطعهم أقليم الكرى ما أبعد من أقليم !، حماهم عن الأغيار غيرة عليهم وخلع عليهم حلال الرضا والتسليم ، وسقاهم مدام الإلهام فياله من مدام وياله من نديم ، أسبل على العاصي سترة ليعود إلى بابه الكريم ، تقرب برحمته للمذنبين ليسكن روع المفلس من الطاعة القديم ، أرسل إليه رسالة اللطف على يدي رسول

=الحديث، و« الفرائض » وكان آية في الحفظ ولابن الجوزي كتاب في مناقبه . ولد سنة (٩٧هـ) وتوفي سنة (١٦١هـ) . [الأعلام (٣/١٠٤، ١٠٥)]

٢٢٢- أورد هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤/٣٧٧)

كريم ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢٣) . وأنشدوا :
 أَلَا قِفْ بِيَابِ الْجُودِ وَأَقْرَعُهُ نَادِمًا تَجِدُهُ مَتَى جِئْتَهُ غَيْرَ مُرْتَجٍ
 وَقُلْ : عَبْدٌ سَوِيٌّ خَوْفَتُهُ ذُنُوبُهُ فَمَدَّ إِلَيْكُمْ ضَارِعًا كَفَّ مُرْتَجِي

[كرامة أبي ريحانة]

ويروى عن أبي ريحانة (٢٢٤) صاحب النبي - ﷺ - أنه ركب البحر فكان يخطط في السفينة فسقطت إبرته فقال : أعزم عليك يارب ألا رددت عليّ أبرقي فظهرت له حتى أخذها بيده . قال : واشتد عليهم البحر فقال له اسكن إنما أنت عبد حبشي فسكن حتى صار مثل الزيت (٢٢٥) .

٢٢٣ - سورة الزمر : الآية ٥٣ .

٢٢٤ - بالأصل (ريحانة) والصواب ما أثبتناه (أبو ريحانة) .

وأبو ريحانة هو عبدالله بن مطر [وقيل اسمه شمعون] وهو من الأزد وكان يقص بإيليا وكانت له كرامات وآيات وهو صحابي جليل .
 [انظر أسد الغابة (٢٨٧/٣)]

٢٢٥ - هذان الأثران أوردهما ابن الأثير الجزري في «أسد الغابة» (٢٨٧/٣) وقال :
 أخرجه ابن مطر وأبو نعيم .

الفصل الخامس والعشرون

[أفريت عمرك في اللعب]

يا أخى أفريت عمرك في اللعب وغيرك فاز بالمقصود ، وأنت منه بعيد ،
غيرك على الجادة وأنت من الشهوات في أحوال وتنكيد ، وترى متى يقال فلان
استقال ورجع ؟ ياله من وقت سعيد ، متى تخرج الهوى وترجع إلى مولاك العزيز
الحميد ! يامسكين لو عانيت قلق التائبين وتمهل الخائفين من هول الوعيد، جعلوا
قرة أعينهم في الصلاة والزكاة والزهد والتزهيد وأهل الحرمان ضيعوا الشباب في
الغفلة ، والشيب في الحرص والأمل المديد ، لا بالشباب أشفقت ولا عند المتشيب
ارتفعت ، يا ضيعة الشباب والمشيب ، ﴿ وَلَوْ كَرَىٰ إِذْ فُرِغُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخَذُوا
مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ (٢٢٦) . وأنشدوا :

عملتُ على القبائح في شبّابي	فلَمَّا شَبْتُ عُدْتُ إِلَى الرِّيَاءِ
فَلَا حِينَ الشَّبَابِ حَفَظْتُ دِينِي	وَلَا حِينَ الْمَشَيْبِ طَيِّتُ دَائِي
فَشَابْتُ عِنْدَ مَصْغَرِهِ غَوَى	وَشَيْخُ عِنْدَ مَكْبَرِهِ مُرَائِي
قَضَاءٌ سَابِقٌ فِي عِلْمٍ غِيهِ	فَيَا اللَّهَ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ

[يا حذيفة كيف أصبحت]

يروى في بعض الأخبار أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لقي حذيفة
ابن اليمان وهو يومئذ أمير المؤمنين فقال لحذيفة : كيف أصبحت يا حذيفة ؟ قال :
أصبحت يا أمير المؤمنين أحب الفتنة وأكره الحق وأقول بما لم يخلق وأشهد بما لم
أرى وأصلى بلا وضوء ولى في الأرض ما ليس لله في السماء فغضب عمر لذلك
غضباً شديداً وهمّ أن يبطش به ثم تذكر صحبته من النبي -ﷺ- فأمسك فهو

كذلك إذ مر به على بن أبى طالب -رضى الله عنه- فرأى الغضب في وجهه فقال : ما أغضبك ياأمير المؤمنين فقصّ عليه القصة ، فقال : ياأمير المؤمنين لا يغضبك ذلك أما قوله إنّه يُحبُّ الفتنة فهو تأويل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَفْوَاجُكُمْ وَأُولَادُكُمْ فَتْنَةٌ﴾ (٢٢٧) وأما قوله يكره الحق فالحق هو الموت الذى لا بد منه ولا محيص عنه ، وأما قوله ويقول بما لم يخلق فهو يقرأ القرآن والقرآن غير مخلوق ، وأما قوله ويشهد بما لم ير فإنه يصدق بالله ولم يره ، وأما قوله يصلى بغير وضوء فإنه يصلى على النبى -ﷺ- بغير وضوء ، وأما قوله إن له فى الأرض ما ليس لله فى السماء فإن له زوجة وبنين وليس لله شىء من ذلك فقال عمر : لله ذرّك ياأبا الحسن لقد كشفت عنيّ همّاً عظيماً (٢٢٨) .

[الهارب من الدنيا]

وروى أن رجلاً من أهل دمشق يسمى بأبى عبد ربه وكان أكثر أهل دمشق مالاً وأنه خرج مسافراً ، إذ أمسى إلى جانب نهر ومرعى فنزل فيه ، فسمع صوتاً يكثر حمد الله فى ناحية المرج ، قال : فاتبعته فوجدته رجلاً ملفوفاً فى حصير . قال : فسلمت عليه وقلت له : من أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا رجل من المسلمين فقلت له : فما هذه الحالة ؟ قال : نعمة يحبّ عليّ شكرها . فقلت له : كيف وأنت ملفوف فى حصير ، وأى نعمة عليك ؟ قال : إن الله خلقنى فأحسن خلقى وجعل نشأتى ومولدى فى الإسلام وألبسنى العافية فى أركانى وستر على ما أكره ذكره فمن أعظم نعمة ممن أمسى فى مثل ما أنا فيه ؟ فقلت : رحمك الله لعلك أن تقوم معى إلى منزلى ، فإننا نزول على النهر ههنا بإزاءك ، قال : ولم ؟ قلت : لتصب شيئاً من الطعام وتعطيك ما يغنيك عن لبس الحصير ، قال : مالى فى ذاك من حاجة فأبى أن يمشى معى ، فانصرفت وقد تصاغرت عندى نفسى ومقتها ، وقلت : لم أخلف بدمشق أحداً أكثر منّى مالاً وأنا التمس الزيادة ،

٢٢٧ - سورة الأنفال : الآية ٢٨ .

٢٢٨ - أورده المصنف بصيغة التضعيف .

فقلت : اللهم إني أتوب مما أنا فيه ، فثبت ولم يعلم أحد بما اجتمعت عليه فلما كان في السحر رحل الناس وقدموا إلى دابتي فصرفتها إلى دمشق وقلت : ما أنا بصديق في التوبة إن أنا مضيت إلى متجري ، فسألني القوم فأخبرتهم فعاتبوني على المشئي معهم فأبيت ، فلما قدم على دمشق قال ناقل الحديث : فوضع يده في ماله وتصدق به وفرقه في سبيل الله ولزم العبادة حتى توفي -رضي الله عنه- فلما توفي لم يوجد عنده إلا حق الكفن . وأنشدوا :

ذَكَرَ الْوَعِيدَ فَطَرَفُهُ لَا يَهْجَعُ (٢٢٩) وَجَفَا الرِّقَادَ قَبَانَ (٢٣٠) عَنْهُ الْمَضْجَعُ
مُتَفَرِّدًا بِقَلِيلِهِ يَشْكُو الَّذِي
لَمَّا تَيَقَّنَ صِدْقَ مَا جَاءَتْ بِهِ الـ
فَجَفَا الْأَحِبَّةَ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِ
وَتَمَتَّعَتْ بَوَدَادِهِ أَعْضَاؤُهُ
كَمْ فِي الظُّلَامِ لَهُ إِذَا نَامَ الْوَرَى
وَيَقُولُ فِي دَعَوَاتِهِ يَا سِيدِي
إِنِّي فَرَعْتُ إِلَيْكَ فَارْحَمْ عِبْرَتِي
مَنْ ذَا سِوَاكَ يُجِيرُنِي مِنْ زَلَّتِي
فَأَمَنْ عَلَى بَتْوِيَةِ أَحْيَا بِهَا
قَلَّ التَّصَبُّرُ عَنْكَ يَا مَنْ حُبُّهُ
كَيْفَ اصْطَبَارُ مُتِيمٍ فِي حُبِّهِ
لَا حَثَّ وَعَنْ صِدْقِ الْمَحَبَّةِ مَا بَدَتْ

وَجَفَا الرِّقَادَ قَبَانَ (٢٣٠) عَنْهُ الْمَضْجَعُ
مَلَأَ الْجَوَانِحَ وَالْحَشَا يَسْتَوْجِعُ
آيَاتُ صَارَ إِلَى الْإِنَابَةِ يُسْرِعُ
وَسَمَا إِلَيْهِ بِهَمَّةٍ مَا يَقْلَعُ
إِذْ خَصَّهَا مِنْهُ بَوْدٌ يَنْفَعُ
مِنْ زَفَرَةٍ فِي أَثَرِهَا يَتَوَجَّعُ
الْعَيْنُ يُسَعِدُهَا دَمَوْعُ رُجَّعُ
وَالْيَكُ مِنْ ذُلِّ الْخَطِيئَةِ أَفْرَعُ
يَا مَنْ لِعِزَّتِهِ أَذُلُّ وَأَخْضَعُ
إِنِّي بِمَا اجْتَرَأْتُ يَدَايَ مَرْدَعُ
فِي الْجَارِحَاتِ سِقَامُهُ يُسْرِعُ
قَدَمَا لِكَاسَاتِ الْهَوَى يَتَجَرَّعُ
لِلنَّازِحِينَ نُجُومُ لَيْلٍ تَطْلُعُ

[الوسيط (٩٧٣/٢)]

[الوسيط (٧٩/١)]

٢٢٩- لا يهجع : أي لا ينام .

٢٣٠- بان : بعد وانفصل .

ما الفوزُ إلّا في محبة سيّد فيها الحبُّ إذا تواضع يُرفعُ

[من دلائل النبوة]

يروى أن قتادة بن النعمان الأنصاري (٢٣١) - رضي الله عنه - كان من الرماة المذكورين شهد بداراً وأحد ورميت يومئذ عينه فسالت على خده ، فأقّى النبي - ﷺ - وهي في يده ، فقال : « ما هذه يا قتادة ؟ » قال : هذا ما ترى يارسول الله - ﷺ - ؟ فقال له رسول الله : « إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها لك ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئاً » ، فقال : والله يارسول الله إن الجنة لجزاء جزيل وعطاء جليل ولكني مبتل في حب الساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يُردنني ، فقال : « افعل ذلك يا قتادة » ثم أخذها رسول الله - ﷺ - بيده وأعادها إلى موضعها فعادت أحسن ما كانت إلى أن مات ودعا الله له بالجنة - ﷺ - : قال : فدخل ابه على عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - وهو خليفة فقال له عمر : من أنت يا فتى ؟ قال :

أنا ابنُ الذي سألَ على الخدِّ عَيْنُهُ فَرَدَّتْ بِكَفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادت لِمَا كانت بأحسن حالها فياحُسن ما عين وياحسن مارد
فقال عمر : بمثل هذا فليتوسل إلينا المتوسلون - رضي الله عنه - (٢٣٢) .

٢٣١ - قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الظفري الأوسي : صحابي بدرى ، من شجعاهم . كان من الرماة المشهورين شهد المشاهد كلها مع رسول الله - ﷺ - ، وكانت معه يوم الفتح راية بنى ظفر . وتوفي بالمدينة وعمره (٦٥ سنة) سنة (٢٣ هـ) له سعة أحاديث وهو أحو «أبي سعيد الخدري» لأمه . [الأعلام (١٨٩/٥)]

٢٣٢ - حديث ضعيف : أخرجه ابن سعد (١٨٧/١ - ١٨٨) ، (٤٥٣/٣) في طبقاته الكبرى ، والحاكم في المستدرک (٢٩٥/٣) ، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٥١/٤) ، (٢٥٣) ، والطبراني (٨/١٩) في الكبير ، وقال الهيثمي : فيه من لم أعرفه ، انظر : مجمع الزوائد (١١٣/٦) .

الفصل السادس والعشرون

[التائبون]

يا هذا ، لا يزال التائبون يهربون إلى دير الخلوة هروب الخائف إلى دار الأمان لهم في سحر الليل فأنس بمدامع الأجفان كتب السجود في ألواح جباههم خطوط العرفان ، كم لأقدامهم في الدجى من جولان ! وكم لهم في وادى السحر من عيون تجرى كالطوفان ! فإذا لاحت أعلام الفجر كبروا عند مشاهدة العيان ، فدبت طراق الدجى فدية أرباب العزائم ، فدبت الفتیان بادروا رواهب الخلوة ها نحن لكم جيران تركنا الأسباب والأهل والأوطان ، فارقتنا شهوة النفوس والأبدان ، وخربنا ديار اللهو فأقفرنا منذ زَمان ، طلقنا الدنيا بتاتاً وهجرنا الدار والسكان ، سقيننا من شراب الأنس شرية ولو كان ما كان ، لبسوا حلة الجوع بالنهار وتركوا خدمة من جل ومن هان ، عمروا القلوب بالتقوى وبالذكر باللسان ، لهم تتزاحم على باب الدجى فمنهم صباح ومنهم نشوان ، ومنهم من خامره بالشوق فهو من الحب ولهان ، ومنهم من غلبه الوجد فهو هائم سكران ، أفناهم الخوف وأذبلهم الأرق وهم من القلق ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ سيرهم ذكر الحبيب ولهم في التلاوة ألحان ، نالوا منازل التوكل واحتجوا فيها فطان ، باعوا شهوات النفوس بأبخس الأثمان ، سجلوا على أنفسهم سجل الرضا بالقضا فأهلا بالرجال الشجعان ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ (٢٣٣) ولهم تلحين بالقرآن ، خامرهم الخوف فسكروا من شرابه مخافة اليسر ، منهم من سقى شراب المحبة صرفاً وتزايدت لهم الأحزان ، ومنهم من مزج له بالأشواق فعائين منه ألوان ، كم خربوا في حبه منازل ! وكم أيتموا فيه من ولدان ! أتراهم أبداً سكارى عرايا في القفار وفي الأبدان !؟ قلوبهم مملوءة بالخوف وظاهرهم مضمخ بالأحزان

ينادى لسان شوقهم لا كان من رام السلوى لا كان ، خرق لهم حجاب العادات
وعقد على رؤوسهم للولاية تيجان ، مجلس أنسهم مضمخ بالمشاهدة شديد
الأركان .

[يامعشر الفقراء]

يامعشر الفقراء طوفوا بهذا الدير وزاحموا على بابه وباكروا هذه الدنان ،
طيبوا على هذا السماع وتواجدوا على هذه الألحان ، معكم جمال المحبوب في
الكون والحال .

[يامعشر الفتيان]

يامعشر الفتيان ما أطيب عيش الصديقين !، شربوا هذا الشراب وباحوا
بالكتمان ، فما تراهم إلا بين واجد وهائم وخائف راج وولهان ، فعندما تجلى لهم
محبوبهم في قلوبهم أغناهم عن مشاهدة العيان ، لطفهم بملاطفة ﴿يَا عِبَادِي لَا
خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ (٢٣٤) لكم الأمان ، بعينى ما تحلمتم من أجلى ، فكم من
جفن ساهر ! وكم كبد من الشوق ملآن ! سأكشف لكم الحجاب عن وجهى
فتغنمون ما لم يخطر على قلب إنسان ألبسكم حلل الرضا وأبسط مجالسكم
بالرضوان ، أسقيكم شراب التوحيد صرفاً خالصاً وأنا الحنان المنان ، يا أهل
السماع تواجدوا ، ويامعشر الإخوان أين المشتاق لهذا الشراب ، هذا كأس المتاب
ملآن .

[يا مضيئاً عمره في العصيان]

أين أنت من أهل الصفا : يامضيئاً عمره في العصيان ! بادر واقبل تغير
الحال لئلا تعود بالخيبة والخسران ، واعص من لامك وخالف من عدلك ، وأطع

٢٣٤ - سورة الزحرف : الآية ٦٨ .

من نصحك ودع قالا وقيل ﴿فَمَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ يَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ قِتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلٌ سَيِّئًا﴾ (٢٣٥) .

[فضل الصف الأول والتكبير الأولى]

قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- : صلى بنا رسول الله -ﷺ- صلاة العصر فقام راکعاً في الركعة الأولى حتى طَنَّنَا أنه لا يرفع رأسه فرفع ورفعنا بعده فلما قضيت الصلاة انفتل (٢٣٦) من محرابه -ﷺ- وقال : أين أخى وابن عمى على بن أبى طالب ؟ فأجابه على -رضي الله عنه- من آخر الصفوف وهو يقول : لبيك لبيك يا رسول الله ، فقال رسول الله -ﷺ- : ادن مني يا أبا الحسن فدنني منه فلم يزل يدينه حتى جلس بين يديه فقال : يا أبا الحسن أما سمعت ما أنزل الله عليّ في فضل الصف الأول والتكبير الأولى ؟ فقال : بلى يا رسول الله فقال له رسول الله -ﷺ- : فما الذى أبطأك عن الصف الأول والتكبير الأولى فهل شغلك حب الحسن والحسين عن ذلك ؟ فقال له على -رضي الله عنه- : وهل يشغلني جبهما عن حب الله تعالى ، قال له : فما الذى يشغلك عن ذلك يا على ؟ قال : يا رسول الله أذن بلال وأنا في المسجد فركعت ركعتين وأقام بلال الصلاة فكبرت معك التكبير الأولى فوسوسنى شيء من أمر الوضوء فخرجت من المسجد إلى منزل فاطمة فناديت : يا حسن ، يا حسين ، فلم يجبني أحد منهما فبينما أنا كالمرأة الثكلى أو كالحبة في القلى وأنا أطلب ماء الوضوء إذ هتف لى هاتف

٢٣٥ - سورة الإسراء : الآية ٧١ ، ٧٢ .

[الوسيط (٢/٦٧٣)]

٢٣٦ - انفتل : أى انصرف .

عن يميني فإذا أنا بقدرح من الذهب الأحمر وعليه منديل أخضر ، فكشفت المنديل فإذا هو ماء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من الشهد وألين من الزبد فتطهرت للصلاة وتمنلت بالمنديل ورددته على القدرح والتفت فلم أره ولم أر من وضعه ولا من رفعه فتبسم رسول الله - ﷺ - وقال : بخ بخ (٢٣٧) هل تعلم من أتاك بالمنديل والقدرح يا أبا الحسن ؟ قال : الله ورسوله أعلم ؟ قال : أتاك بالقدرح جبريل - عليه السلام - والماء من حظيرة القدس والذي من ذلك بالمنديل ميكائيل - عليه السلام - ، والذي أمسك يدي على ركبتي حتى أدركت معي الركعة الأولى لإسرافيل - عليه السلام - ، يا أبا الحسن ، من أحبك أحبه الله ، ومن أبغضك أبغضه الله (٢٣٨) .

[من دلائل النبوة]

ويروى أن رسول الله - ﷺ - جلس ذات يوم مع أصحابه فإذا هو يهودية قد أقبلت ، وهي تبكي ، حتى وقفت بين يديه وجعلت تقول هذه الأبيات وهي تبكي :

بأبي أفديك يانورَ الفلك لي شعري أى شيء قتلك
غبت عني غيبة موحشة أترى ذئب يهودى أكلك
إن تكن ميتاً فما أسرع ما كان في أمر الليالى أجلك
أو تكن حياً فلا بد لمن عاش أن يرجع من حيث سلك
فقال لها رسول الله - ﷺ - : «مالك أيتها المرأة ؟» قالت : يا محمد ، بينا أنا وولدى يلعب بين يدي إذ خطف وبقي المكان منه بلقعة (٢٣٨) ، قال لها : «يا هذه ، إن رد الله ولدك على يدي أتؤمنين بي ؟» قالت : نعم وحق الأنبياء

٢٣٧ - بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا والإعجاب بالشيء أو المدح أو الفخر .
[الوسيط (٤٠/١)]

٢٣٨ - بلقعة : أى حالى من كل شيء .
[الوسيط (٧٠/١)]

الكرام إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ، فقام رسول الله
ﷺ - فصلى ركعتين ثم دعى بدعوات فما استكملها حتى وضع الطفل بين
يديه - ﷺ - فقال له النبي ﷺ - : « أين كنت أيها الطفل ؟ » قال : بينا أنا
ألعب بين يدي أمي إذ أقبل إليّ عفرية كافر فاختطفني وذهب بي من وراء
البحر ، فلما دعوت الله عز وجل سلط الله عليه جنأ مؤمناً أشد منه بطشاً وأعظم
خلقاً فانتزعني منه وساقني بين يديك فها أنا بين يديك - صلى الله عليك -
فقالت المرأة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله
ﷺ - (٢٣٩) .

الفصل السابع والعشرون [من أكبر الكبائر : الزنا]

اعلم أن الزنا من أكبر الكبائر وهو شؤم على صاحبه في الدنيا والآخرة ووبال على صاحبه وقد نهى الله عنه في مواضع في كتابه فقال تعالى : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزُّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ (٢٤٠) وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ . فَمِنْ ابْتِغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٢٤١) .

وقال رسول الله - ﷺ - : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » (٢٤٢) أراد بذلك أن الزانى مبعد عن الله تعالى مستوجب المقت من الله عز وجل .

وفي الخبر : أن شاباً أتى النبي - ﷺ - فقال : يا رسول الله أتأذن لى فى الزنا ؟ فصاح الناس به فقال : اتركوه ، اذن مى فدنا منه فقال : أتجبه لأملك ؟ فقال : لا - جعلنى الله فداك - ، قال : كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ولا لبناتهم ، حتى ذكر له الأخت والخالات والعمات وهو يقول : لا ، ورسول الله - ﷺ - يقول : وكذلك الناس لا يحبونه ، ثم وضع يده الكريمة على صدره ،

٢٤٠ - سورة الإسراء : الآية ٣٢ .

٢٤١ - سورة المؤمنون : الآيات ٥ ، ٦ ، ٧ .

٢٤٢ - حديث صحيح : رواه البخارى (١٧٨/٣) ، (١٣٦/٧) ، (١٥٩/٨) ، (١٩٧) ، ومسلم (٧٧/١ - عبدالقاسم) ح (١٠٤) ناب الإيمان ، وأبو داود (٤٦٨٩) ، والترمذى (٢٦٢٥) ، والسنائى (٦٤/٨ ، ٦٥ ، ٣١٣) ح (٤٨٧١ ، ٤٨٧٢ ، ٥٦٥٩ ، ٥٦٦٠) وابن ماجه (٣٩٣٦) ، وأحمد (٣٧٦/٢) ، (١٣٩/٦) ، والبيهقى (١٨٦/١٠) ، والدارمى (١١٥/٢) ، وابن أبى شيبه (٤٠٤/٤ ، ٤٠٥) ، والطبرانى فى الكبير (٣٤٦/١٢) ح (١٣٣٠٤) .

وقال : « اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحصن فرجه ، فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض إليه من الزنا » (٢٤٣) .

وقال رسول الله - ﷺ - : « لما خلقت المرأة قال لها إبليس : أنت نصف جندى ، وأنت موضع سرى ، وأنت سهمى الذى أرمى به فلا أخطيء » (٢٤٤) فتحفظ رحمك الله من سهام الشيطان .

وقال رسول الله - ﷺ - : « الزنا من أكبر الكبائر ، والزانى عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم القيامة ، فإن تاب تاب الله عليه » (٢٤٥) .

وقال - ﷺ - : « من علامة المؤمن ألا يجعل الله شهوته فى بطنه وفرجه » (٢٤٦) .

٢٤٣ - حديث صحيح : رواه أحمد (٢٥٦/٥ ، ٢٥٧) ، وابن الجوزى فى ذم الهوى (ص ١٣٩) .

٢٤٤ - لا يصح مرفوعاً . إنما هو من كلام سفیان بن عیینة رواه ابن الجوزى فى « ذم الهوى » (ص ١٣٦) وكذا أورده الغزالي فى الإحياء كأثر مرسل (٩٧/٣) .

٢٤٥ - لم أقف عليه .

٢٤٦ - لم أقف عليه .

وقال - ﷺ - : « الزنا يورث الفقر ويذهب بهاء الوجه » (٢٤٧) يقول الله تعالى : « آليت على نفسى أن أفقر الزانى ولو بعد حين » (٢٤٨) . والزنا يذهب بالمال ، ويذهب بهاء الوجه ، ويخلد صاحبه فى النار .

وقال رسول الله - ﷺ - لأبى ذر - رضى الله عنه - : « ما لقى الله العبد بذنب بعد الشرك بالله أعظم من الزنا » (٢٤٩) ، « وما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من امرؤ وضع نطقته فى رحم حرام » (٥٠) ، « وأن الزانى يسيل من فرجه يوم القيامة صديد لو وضعت مه قطرة على الأرض لفسدت على أهل الدنيا معاشهم . ننأ » (٥١) .

وقال - ﷺ - : « إياكم والزنا فإن فيه ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة . فأما اللواتى فى الدنيا : فدهاب البهاء ، وطول الفقر ، وقصر العمر ،

٢٤٧ - حديث باطل : صدر هذا الحديث وهو قوله « الزنا يورث الفقر » أورده الديلمى فى مسند الفردوس (٣٠٢/٢) ح (٣٣٧٤) ، ورواه القضاعى فى مسند الشهاب (٧٢/١) رقم (٤٥) حديث (٦٦) ، وابن أبى حاتم فى « علل الحديث » (٤١٠/١) وقال قال أبى : حديث باطل ، وابن عدى فى « الكامل » (٤٣٢/٦) وقال : ماضى منكرو الحديث ، وعزاه المنذرى فى « الترغيب والترهيب » (٢٧١/٣) رقم (٨) : إلى البيهقى ، وعزاه إلى « الديلمى والقضاعى وابن ماجة » .

وقال الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الضعيفة » : حديث باطل .

• أما عحر الحديث وهو قوله « ويذهب بهاء الوجه » فله شاهد من حديث أخرجه أبو نعيم فى « الحلية » (١١١/٤) لفظ « إياكم والزنا فإن فيه ست خصال - ذكر منها - » فإنه يذهب بالبهاء ويورث الفقر » .

٢٤٨ - لم أقف عليه .

٢٤٩ - حديث ضعيف : أخرجه نحوه أحمد ، وابن أبى الدنيا كما فى الدر المنثور (١٨٠/٤) ، وابن الجوزى (ص ١٥٤) فى ذم الهوى .

(*) هذا لفظ آخر للحديث السابق .

(**) ورد فى هذا المعنى حديث رواه البرار عن بريدة . انظر : كنز العمال

(١٣١٥/٥) .

وأما اللواتى فى الآخرة : فسخط الله ، وسوء الحساب ، والخلود فى النار» (٢٥٠) .
يَا مَنْ عَصَا اللَّهَ فِي الشَّبَابِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ الشَّيْبُ رَاقِبِ اللَّهَ
صُحُفَكَ بِالسَّيِّئَاتِ قَدْ مُلِئَتْ بِأَيِّ وَجْهِ ثَرَاكَ تَقْرَأُهَا
اعْدُدْ جَوَابًا إِذَا سُئِلْتَ غَدًا وَقَرَّبِ النَّارَ مِنْكَ مَوْلَاهَا
يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ كَمْ رَجُلٍ تَلُوهُ النَّارُ حِينَ يَصَلِّيَاهَا

وقال رسول الله - ﷺ - : « ما من أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته
يزنى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ألا وإن فى النار
لتوابيت من نار فيها أقوام محبوسون فى تلك التوابيت فإذا سألوا الراحة فتحت لهم
تلك التوابيت فإذا فتحت بلغ شررها أهل جهنم فيستغيث أهل جهنم بصوت
واحد ويقولون : اللهم العن أهل التوابيت وهم الذين يقتفون فروج النساء
حراماً» (٢٥١) .

وقال رسول الله - ﷺ - : « لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى قالت :
سعد من دخلنى . فقال الجبار جل جلاله : وعزى وجلالى لا يسكن فىك ثمانية
نفر من الناس : مدمن خمر ، ولا مصر على الزنا ، ولا نمام ، ولا ديوث ، ولا

٢٥٠ - حديث موضوع : أخرجه ابن عدى فى « الكامل » (٣١٧/٦) ، وأبو نعيم فى
« الحلية » (١١١/٤) ، والخرائطى فى « مساوىء الأخلاق ومذمومها » (ص ١٧٧) ح (٤٧٦)
وابن الجوزى فى « ذم الهوى » (ص ١٥٥) ، وقال عنه الألبانى فى « سلسلة الأحاديث الضعيفة
والموضوعة » : حديث موضوع .

وما بين المعكوفتين سقط استدركناه من « حلية الأولياء » و « ذم الهوى » لابن
الجوزى .

٢٥١ - الجزء الأول من الحديث من قوله « ما من أحد أغير من الله .. إلى قوله
« لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً » رواه البخارى (٤٣/٢) باب الكسوف ، ومسلم (١/٦١٨ -
عبد الباقي) رقم (٩٠١) ، وأحمد (١٦٤/٦) ، والنسائى (١٤٧٤) كسوف ، ومالك فى
الموطأ (١٨٦/١) رقم (١) ، والبيهقى (٣٣٨/٣) .
أما الجزء الثانى من الحديث فلم أقف عليه .

شرطى ، ولا مخنث ولا قاطع رحم ، ولا الذى يقول على عهد الله أن أفعل كذا وكذا ولا يفعله» (٢٥٢) . فليس المصر على الزنا هو المداوم عليه ، ولا مدمن الخمر هو الملازم لشربه ولكنه إذا وجد الخمر شربها ولم يمنعه منها خوف الله تعالى ، ومتى نهيأ له الزنا زنى ولم يتب من ذلك ومن لم ينه النفس عن الهوى فإن الجحيم هى المأوى .

وكان ابن عباس -رضى الله عنهما- يقول لغلماناه : إن أردتم النكاح نكحتم -أى تزوجتم- فإن العبد إذا زنا خرج الإيمان من قلبه فلا يبقى للعبد إيمان (٢٥٣) .

وقال لقمان لابنه : إياك والزنا فإن أوله مخافة وآخره ندامة ، ومن بعد تلقى أثامه .

وأنشدوا :

يَا مَنْ خَلَا بِمَعَاصِي اللَّهِ فِي الظُّلُمِ فِي اللُّوجِ يُكْتَبُ فِعْلُ السَّوِّ بِالْقَلَمِ
بَهَا تَحْلُوثُ وَعَيْنُ اللَّهِ نَاطِرَةٌ وَأَنْتَ بِالْإِثْمِ مِنْهُ غَيْرُ مُكْتَمِ
فَهَلْ أُمِنْتَ مِنَ الْمَوْلَى عَقُوبَتُهُ يَامَنْ عَصَى اللَّهَ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

٢٥٢-أورده الغزالي في «الإحياء» (١٥٢/٣) بنحوه وقال عنه العراقى : لم أحده هكذا بنحوه . ولأحمد (٢٠٣/٢) بلفظ «لا يدخل الجنة عاق لوالديه ولا ديوث» ، وللنسائي (٢٠١/٢) ، (٢٠٣/٣) من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ «لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر» ، وللشيخين [البخارى (٢١/٨) ، ومسلم (١٠٥)] من حديث حذيفة بلفظ «لا يدخل الجنة قتات» ولهما أيضاً [البخارى (٦/٨) ، ومسلم (٢٥٥٦)] من حديث حبيب بن مطعم ، بلفظ «لا يدخل الجنة قاطع رحم» وذكر صاحب الفردوس من حديث ابن عباس «لما خلق الله الجنة قال لها تكلمى وترينى فتزيت فقالت : (طوبى لمن دخلنى ورضى عنه إلهى فقال الله عز وجل لاسكنك مخنث ولا نائحة) . اهـ [كذا قال العراقى فى «المعنى عن حمل الأسفار» (١٥٢/٣ ، ١٥٣) .

٢٥٣- هذا الأثر لابن عباس ، رواه ابن الجوزى فى ذم الهوى (ص ١٥٧)

[غلبة الهوى]

واعلم أن من غلبه هواه افتضح ، فما نال الكرامات من نالها إلا بغلبة الهوى . كما روى أنه كان في بنى إسرائيل رجل تزوج امرأة من بلد آخر فأرسل رجلاً بنفقه إليها ليسوقها إليه فراودته نفسه وطلبته بها فزجرها واستعصم بالله قال : فنبأه الله بترك هواه وكان نبياً في بنى إسرائيل . وأنشدوا :
توق نفسك لا تأمن غوائلها فالتفتن أختب من سبعين شيطاناً

[كرامة عابد متعفف]

وحكى ابن عباس عن كعب الأحبار - رضى الله عنهما - أنه قال : كان في بنى إسرائيل صديق منفرد للعبادة فأقام في صومعته دهرًا طويلاً وكان يأتيه ملك في كل يوم غدوة وعشية فيقول له الملك : ألك حاجة ؟ فيقول : الله أعلم بحاجتي ، وأنت الله له فوق الصومعة كرمة تحمل في كل يوم بالعنب وكان إذا عطش مد يده فينبع منها الماء فيشرب منه فلما كان بعد مدة مرت به امرأة لها حسن وجمال عند المغرب فنادته : يا عبد الله ، فقال لها : لبيك فقالت له : من ربك ؟ قال لها : هو الله الواحد القهار الحى القيوم العالم بما في الصدور وباعث في القبور قالت له : البلد منى بعيد .

قال لها : اصعدى فلما صارت في صومعته رمت بثيابها وقامت عريانة تجلو نفسها عليه فغض بصره عنها وقال لها : ويلك استرى نفسك . قالت له : وما يضرك إذا وقعت بي في هذه الليلة فقال لنفسه : يا نفس ما تقولين ؟ قالت : وإني أتمتع بها قال لها : ويحك تريدن سرايل القطران ومقطعات النيران وتذهبين بعبادتي هذه المدة وليس كل من زنا عفى عنه وإن الزاني يكب على وجهه في النار وهي نار لا تطفىء وعذابها لا يفنى وأحاف أن يغضب الله عليك ولا يرضى أبداً عنك ، فراودته نفسه على ذلك فقال : أعرض عليك ناراً صغيرة فإن صبرت عليها متعتك بهذه الجارية في هذه الليلة ، فملأ السراج دهناً وأغلظ الفتيلة والمرأة تسمع وتبصر ثم ألقى يده إلى الفتيلة وهي تتقد فصاح بالفتيلة : مالك أحرقت فأكلت إبهامه ثم أكلت أصابعه ثم أكلت يده

فصاحت الحارية صيحة عظيمة فارقت الدنيا ، فسترها بثوبها فلما أصبح صرخ إبليس لعنة الله : أيها الناس ، إن العابد قد زنا بفلانة بنت فلان وقتلها فركب الملك في جنده وأهل مملكته فلما انتهى إلى الصومعة صاح فأجابه العابد فقال له : أين فلانة بنت فلان ؟ قال له : عندي ههنا قال له : قل لها تنزل . قال له : إنها قد ماتت قال له الملك : ما رضيت بالزنا حتى قتلت النفس التي حرم الله قتلها ، فهدم الصومعة وجعل في عنق العابد سلسلة فجرّ بها ، وحملت المرأة وجرىء بالعابد إلى موقف العذاب ، وكان القوم ينشرون الزاني بالمناشير ، ويد العابد ملفوفة في كفه ، وهو لا يعلمهم بقصته فوضع المنشار على رأسه وقيل لأصحابه جروه فجرّوه فلما بلغ المنشار إلى دماغه تأوه فأوحى الله تعالى إلى جبريل قل له لا ينطق بشيء ، وها أنا أنظر إليك وقد أبكى حملة العرش وسكان سمواتي فوعزتي وحلالى لكن تأوه الثانية لأهدمن السموات على الأرض فما تأوه ولا تكلم حتى مات - رحمه الله - .

فلما مات رد الله الروح إلى المرأة وقالت : مات والله مظلوماً ما زنى وما أنا إلا بخاتمي بكر ثم قصت عليهم القصة ، فأخرجوا يده فإذا هي محروقة كما قالت الجارية . فقالوا : لو علمنا ما نشرناه ، وحرّ العابد نصفين على الأرض ، وعادت الجارية كما كانت ، فحفروا لهما قبراً واحداً ، فوجدوا في القبر مسكاً وعنبراً وكافوراً ثم أتوا بهما ليصلوا عليهما ، فناداهم مناد من السماء اصبروا حتى تصلى عليهما الملائكة ثم صلوا عليهما وادفنوهما فأنبأ الله على قبرهما الياسمين ووجدوا على قبرهما رق مكتوب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم من الله عز وجل إلى عبدى وولى إني نصبت المنبر تحت عرشي وجمعت ملائكتي وخطب جبريل - عليه السلام - وأشهدت الملائكة أنى زوجتك خمسين ألف عروس من الفردوس وهكذا أفعل بأهل طاعتى وأهل مراقبتى (٢٥٤) .

[التحذير من النظر]

وقال - ﷺ - : « النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن لم يفيض بصره عن المحارم كحل بصره يوم القيامة بمروود من النار » (٢٥٥) .

وقال رسول الله - ﷺ - : « النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غص بصره أذاقه الله تعالى عبادة يجد حلاوة تلك العبادة في قلبه » (٢٥٦) .

وفي المناجاة : إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : حرمت على النار ثلاثة أعين : عين سهرت في سبيل الله ، وعين غضت عن محارم الله ، وعين بكت من خستيتي لكل شيء جزاء إلا الدمعة فلا جزاء لها إلا الرحمة والمغفرة ودخول الجنة . والله أعلم .

٢٥٥ - حديث ضعيف : انظر التالى .

٢٥٦ - حديث ضعيف جداً : أخرجه أحمد (٢٦٤/٥) ، والطبرانى ، والحاكم (٣١٣/٤ - ٣١٤) ، وانظر : مجمع الزوائد (٦٣/٨) ، السلسلة الضعيفة (١٠٦٤) ، (١٠٦٥) .

الفصل الثامن والعشرون

[فضيلة الصمت]

وفي الخبر أن النبي - ﷺ - فقد كعباً فسأل عنه فقيل له : إنه مريض فخرج يمشي حتى آتاه فلما دخل عليه قال : أبشر يا كعب فقالت له أمه هنيئاً لك الجنة يا كعب : فقال رسول الله - ﷺ - : من هذه المتألية على الله ؟ قال : أُمى . قال : « وما يدريك يأثم كعب ، لعل كعباً قال مالا يعنيه أو منع مالا يعنيه » (٢٥٧) .

وقال - ﷺ - : « العبادة عشرة أجزاء تسعة أجزاء في الصمت وجزء في الفرار من الناس » (٢٥٨) وفي الحكمة : تسعة أعشار العبادة في الصمت (٢٥٩) .

وحكى أن مريم عليها السلام لما نذرت أن لا تتكلم وحبست لسانها لأجل الله تعالى أطلق الله سبحانه وتعالى لسان صبي لا يعرف الخطاب أنطقه الله لأجلها .

فمن حفظ لسانه لأجل الله تعالى في الدنيا أطلق الله لسانه بالشهادة عند الموت ولقاء الله تعالى ، ومن سرح لسانه في أعراض المسلمين واتبع عوراتهم أمسك الله لسانه عن الشهادة عند الموت .

٢٥٧ - حديث حسن : رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٧٣/٤) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص ٧٤) رقم (١١٠) أورده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢٧٥/١٣) رقم (١٤٦٣) وعزاه للطبراني .

٢٥٨ - حديث موضوع : أخرجه الديلمي كما في زهر الفردوس (٣٢٩/٢) . وأورده الديلمي في مسند « الفردوس » عن طريق أنس مرفوعاً (٧٩/٣ - فردوس) ح (٤٢٢٢) ونسبه الغزالي في « الإحياء » (١٠٧/٣) إلى عيسى عليه السلام . انظر : لسان الميزان (٢٨٣/٣) .

٢٥٩ - انظر التخریج السابق (٢٥٨) .

وقال رسول الله - ﷺ - : « من كثر كلامه كثر سقطه ، ومن كثر سقطه كثر ذنوبه ومن كثر ذنوبه كانت النار أولى به » (٢٦٠) . فلذلك كان الصديق - رضى الله عنه - يضع في فيه حجراً ليمنع به نفسه عن الكلام (٢٦١) .

وسأل معاذ - رضى الله عنه - رسول الله - ﷺ - : أى الأعمال أفضل ؟ . فأخرج لسانه ووضع عليه يده (٢٦٢) .

وأوصى على بن أبى طالب - رضى الله عنه - ولده الحسن فقال له : أمسك عليك لسانك فإن تلاف المرء في منطقته .

وذكر أن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - خطب الناس يوماً فقال إن ربكم تعالى يقول : يا ابن آدم لم تحرض الناس على الخير وتدع ذلك من نفسك يا ابن آدم لم تذكر الناس وتنسى نفسك ، يا ابن آدم تدعوني وتفتر منى إن كان كما تقول فاحبس لسانك واذكر خطيئتك واقعد في بيتك (٢٦٣) .

وفي صحف إبراهيم - عليه السلام - : وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسان (٢٦٤) .

وعن مالك بن دينار - رضى الله عنه - أنه قال : إذا رأيت قساوة في قلبك أو وهناً في بدئك أو حرماناً في رزقك فاعلم أنك تكلمت بما لا يعينك .

٢٦٠ - حديث ضعيف : رواه أبو نعيم في « الحلية » (٧٤/٣) ، وعزاه الهيثمي في « المجمع » (٣٠٢/١٠) إلى الطبراني في الأوسط ، وأورده الغزالي في « الإحياء » (١٠٧/٣) وعزاه العراقي لأبى نعيم في الحلية وابن حبان في روضة العقلاء والبيهقي في الشعب .

ورواه ابن الدنيا في « الصمت » (ص ٥١) ح (٥٣) ونسبه إلى عمر بن الخطاب .

٢٦١ - أورده الغزالي في « الإحياء » (١٠٧/٣) ولم يعلق عليه العراقي .

٢٦٢ - حديث حسن : أخرجه الطبراني (٦٤/٢٠) في الكبير ، ورواه ابن الدنيا في « الصمت » (ص ٣٨) رقم (٨) وأورده الغزالي في « الإحياء » (١٠٥/٣ ، ١٠٦) .

٢٦٣ - لم أقف عليه ولعله من الإسرائيليات .

٢٦٤ - أورده هذا الأثر الغزالي في « الإحياء » (١٠٧/٣) عن وهب بن منبه ، ولم يعلق عليه العراقي .

وقال لقمان لابنه : يا بني ، إن من رحم يرحم ، ومن يصمت يسلم ،
ومن يفعل الخير يغنم ، ومن يفعل الشر يائثم ، ومن لا يملك لسانه يندم .
وأنشدوا :

أَحْفَظُ لِسَانَكَ أَثَمًا الْإِنْسَانُ لَا يَقْتُلُكَ إِلَّا نَفْسُهُ تُعْبَانُ
كَمْ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ قَتِيلٍ لِسَانِهِ كَانَتْ تَهَابُ لِقَاءَهُ الشَّجَعَانُ
ويقال أن جميع الأعضاء تبكى كل يوم اللسان فتقول له : ناشدناك الله تعالى أن
تستقيم فإنك إن استقيمت استقمنا وإن اعوججت أعوججنا (٢٦٥) .

وقال بعض الحكماء : ترك فضول الكلام يثمر النطق بالحكمة ، وترك
فضول النظر يثمر الخشوع والخشية ، وترك فضول الطعام يثمر حلاوة العبادة ،
وترك الضحك يثمر الهيبة ، وترك الرغبة في الحرام يثمر الجنة ، وترك التجسس
عن عيوب الناس يثمر صلاح العيوب ، وترك التوهم في الله تعالى ينفي الشك
والنفاق . وأنشدوا :

الصَّمْتُ نَفْعٌ وَالْكَلَامُ مَضَرَّةٌ فَلَرَبَّ نَفْعٌ فِي الْكَلَامِ شِفَاءُ
فَإِذَا أَرَدْتَ مِنَ الْكَلَامِ شِفَاءَهُ لِسِقَامِ قَلْبِكَ فَالْقُرْآنُ دَوَاءُ

[النهي عن تتبع عورات الناس]

واعلم أن التجسس عن عيوب الناس وطلب مساوئهم يبدى العورات
ويكشف المحبات وقد نهى الله تعالى عن ذلك في كتابه العزيز بقوله تعالى : ﴿ وَلَا
تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَغْضُكُم بَغْضًا ﴾ (٢٦٦) الآية .

فاتق الله تعالى واشتغل بعيوبك عن عيوب الناس ، ولا تكن كمثلي الذباب
الذي لا يعرج على المواضع السليمة من الجسد ولا ينزل عليها وإنما يقع على القرح

٢٦٥ - رواه الترمذی (٨٨/٧) ح (٢٥١٨)، والطیالسی (٢٩٣/٢) ح (٢٢٠٩) ،
وأحمد فی الزهد (ص/١٩٥) وإن أی الدیة فی « الصمت » (ص ٣٩) رقم (١٢) .
٢٦٦ - سورة الحجرات : الآية ١٢ .

فيدميا ، فمن بحث عن مساوىء الناس واتبع عوراتهم واشتغل بعيب غيره وترك عيبه سلط الله تعالى عليه من يبحث على عيبه ومساوئه ويشهرها ويتبع عورته ويديها وينشرها .

فالعاقل السعيد من نظر في عيبه وشغل بذلك عن عيب غيره وعن كل شيء سوى الله تعالى .

وروى عن النبي - ﷺ - عن جبريل - عليه السلام - عن الله عز وجل أنه قال : يا موسى خمس كلمات ختمت بهن التوراة فإن عملت بهن نفعتك علم التوراة وإن لم تعمل بهن لم ينفعك علم التوراة :

أولاهن يا موسى كن واثقاً برزق المضمون لك مالم تر خزائني نفدت .
والثانية : لا تخافن سلطان الأرض مالم تر سلطاني زائلاً .

والثالثة : يا موسى لا تجس عن عيب أحد مالم تحل من العيوب .

والرابعة : يا موسى : لا تدعن محاربة الشيطان مادام روحك في جسدك .
والخامسة : يا موسى لا تأمن عقابي ولو رأيت نفسك في الجنة (٢٦٧) .

يأخى ، لا تعير أحداً بما فيه فإنى أخشى أن يتليك الله ويعافيه ، ولا تستر على الفاجر ولا على من لا يستتر بالمعاصي ويعلن بها .

وقال رسول الله - ﷺ - : « من أقال مسلماً عثرته أقال الله عثرته يوم القيامة » (٢٦٨) .

٢٦٧ - حديث ضعيف : أورده المصنف بصيغة التضعيف .

٢٦٨ - رواه أبو داود (٣٤٦٠) ، ابن ماجه (٢١٩٩) ، والبيهقى (٢٧/٦) ، وابن حبان (١١٠٣ - موارد) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣٤٥/٦) ، والخطيب فى تاريخه (١٩٦/٨) ، والحاكم فى «المستدرک» (٤٥/٢) ، وقال الشيخ الألبانى فى «مشكاة المصابيح» (٢٨٨١) : إسناده صحيح .

[من مناقب أبي حنيفة]

ويروى أن أبا حنيفة -رضي الله عنه- كان يسكن بجواره شاب مولع بشرب الخمر فكان أبو حنيفة يسهر الليل للنظر في كتب العلم والقراءة وكان بينه وبين الشاب جدار فكان الشاب يسهر على شرب الخمر ويتمثل بأبيات يقول فيها :

سأشدهم إذا ما هم جفوني أضاعوني وأى فتى أضاعوا

ويكثر التردد بهذه الأبيات فكان أبو حنيفة يتأنس بكلامه فلما كان ذات ليلة لم يسمع له أبو حنيفة حساً فلما خرج لصلاة الصبح سأل عنه فقيل له : إن الشرط التقوه البارحة مخموراً فحملوه إلى السجن فلما صلى أبو حنيفة مضى بنفسه إلى منزل صاحب الشرط واستأذن عليه وأعلمه بنفسه فخرج إليه صاحب الشرط حافي القدمين عارى الرأس وقبل يديه وقال : ياسيدى وما بلغ مقدارى حتى تأتى بجلال قدرك إلى منزلى فقال أبو حنيفة إني جئتك في قضية جار لي سجن البارحة . فقال : أشهدك ياسيدى أنى اطلقت سراح جميع من في السجن لوجهك رغبة لجلال قدرك حتى أتيتنى إلى منزلى . قال : فانصرف أبو حنيفة إلى منزله وإذا بالشاب قد أطلق من السجن . فقال : من ذا الذى تكلم فى حقى فقالوا له : سيدنا أبو حنيفة . فقال : طالما آذيت بسمرى وحيرته بكلامى ، فأقبل حتى وصل إلى أبنى حنيفة فلما وقف بين يديه قال له : يا شاب إنا لم نضيعك وقد قمنا بحق رعياً لقولك (أضاعوني وأى فتى أضاعوا). فقال : يا سيدى ، أشهدك أنى تائب لوجه الله العظيم . قال : فلزم أبا حنيفة وأقبل على العبادة حتى آتاه اليقين رحمة الله عليه (٢٦٩) .

٢٦٩ - أورد هذا الأثر الخطيب فى تاريخه (٣٦٢/١٣ ، ٣٦٣) .

الفصل التاسع والعشرون

[ذم الغيبة]

قال رسول الله - ﷺ - لأبي هريرة : يا أبا هريرة ، إن أحببت أن يفشى الله لك الثناء الحسن الجميل في الدنيا والآخرة فكف لسانك عن غيبة الناس (٢٧٠) .

وقال - ﷺ - : « ما صام من ظل يأكل لحوم الناس » (٢٧١) .

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : أبغض عباد الله إلى الله كل طعان لعان (٢٧٢) .

وقال - ﷺ - : « من دعا رجلاً بغير اسمه لعنته الملائكة » (٢٧٣) .

وقال رسول الله - ﷺ - : « إن العبد يعطى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها قط فيقول : يارب من أين هذه الحسنات فيقول له : هذا باغتيال الناس فيك وأنت لا تعلم » (٢٧٤) .

٢٧٠ - لم أقف عليه .

٢٧١ - حديث ضعيف : رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٣) .

٢٧٢ - ورد هذا الأثر منسوباً إلى عمر بن الخطاب في كتاب « الزهد » لابن المبارك

(ص ٢٣٧) رقم (٦٨٠) .

٢٧٣ - حديث ضعيف : رواه ابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٣٩٦) باب

الوعيد في أن يدعى الرجل بغير اسمه .

٢٧٤ - حديث موضوع : أخرجه ابن أبي الدنيا (١٢٢) في قضاء الحوائج ،

والخرائط في مساوىء الأخلاق (١٩٧) .

[ذم التهمة]

وقال حاتم الأصم : ثلاثة إذ كن في مجلسي فالرحمة مصروفة عنه : ذكر الدنيا والضحك والوقعة في الناس .

واعلم يرحمك الله أن التهمة تفسد الدين والدنيا وتغير القلوب وتولد البغضاء وسفك الدماء والشتات قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُطْعِ كُلَّ خَلَّافٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ مَّنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أُثِيمٍ عُثُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ ﴾ (٢٧٥) .

وسئل رسول الله - ﷺ - عن الغيبة ما هي ؟ قال : أن تذكر أخاك بما فيه وهو غائب عنك ، وإن ذكرته بما ليس فيه فقد بهته ﴿ (٢٧٦) ﴾ أى فذلك البهتان .

وقال - ﷺ - : « من مشى بين اثنين بالتهمة سلط الله عليه ناراً تحرقه في قبره إلى يوم القيامة وحية تنهشه حتى يدخل النار ﴾ (٢٧٧) .

وقال - ﷺ - : « لا يدخل الجنة قتات ﴾ (٢٧٨) يعنى نماماً .

٢٧٥ - سورة لقمان : الآيات من ١٠ : ١٢ .

٢٧٦ - حديث صحيح : رواه بنحوه مسلم (٢٥٨٩) ، والترمذى (١٩٣٤) ، وأحمد (٢٣٠/٢ ، ٤٥٨) ، أبو داود (٤٨٧٤) ، والبيهقى (٤٦٩/١٠) ، والدارمى (٢٧١٤) .

٢٧٧ - حديث ضعيف : تفرد به الديلمى كما في تنزيه الشريعة (٢/٢١٣) ، وانظر تذكرة الموضوعات (١٧١) للفتى .

٢٧٨ - حديث صحيح : رواه البخارى (٢١/٨) ، ومسلم (١٠١/١ - عبد الباقي) ح (١٠٥) ، وأبو داود (٤٨٧١) ، والترمذى (٢٠٢٦) ، وأحمد (٣٨٢/٥ ، ٣٨٩) ، والبيهقى في سننه (١٦٦/٨) ، والطبرانى في الكبير (١٦٨/٣) ح (٣٠٢١) ، وفي الصغير (٢٠٣/١) وابن أبى شيبه في مصنفه (٩١/٩) رقم (٦٦٣٦ ، ٦٦٣٧) ، والبخارى في الأدب المفرد (٣٢٢) ، وأبو عوانة (٣١/١ ، ٣٢) ، والبعوى في شرح السنة (١٤٧/١٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١٧٩/٤) ، والخطيب في تاريخه (٢٦٣/٦) .

وقال - ﷺ - : « من ألقى بين اثنين عداوة فليتبوأ مقعده من النار ، ومن أصلح بينهما فقد وجبت له على الله الجنة » (٢٧٩) .

وقال بعض الحكماء : التهمة تهدى إلى القلوب البغضاء ومن واجهك فقد شتمك ، ومن نقل إليك فقد نقل عنك ، والساعى بالتهمة كاذب لمن يسعى عليه خائن لمن يسعى به ، قال الشاعر :

أَحْفَظُ لِسَانِكَ لَا تُؤْذِي بِهِ أَحَدًا مِنْ قَالَ فِي النَّاسِ عَيْبًا قِيلَ مَا فِيهِ

[وصية نفيسة لأعرابية]

قال الأصمعي - رحمه الله - شاهدة أعرابية وهي توصي ابنها فقالت : يا بني امنحك وصيتي وبالله التوفيق ، فأياك والتهمة فإنها تورث العداوة بين الأهلين ، وتفرق بين المحبين ، وإياك والتعرض للعيوب فتصير لها أهلاً ، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك ، ومثل نفسك مثلاً من غيرك فيما استحسنته من الناس فاعمله ، وما استقبحته منهم فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه ، ثم أمسكت فقلت : يا أعرابية ، بالله ألا زيدتيه ؟ فقالت : يا أعرابي أعجبتك كلام العرب ؟ فقلت : أرى والله فقالت : يا بني إياك والغدر فإنه أقبح ما تعامل به الناس ، واجمع بين السخاء والعلم والتواضع والحياء (٢٨٠) وأستودعك الله والسلام .

واعلم رحمك الله أن الغيبة أشد من ثلاثين ريبة في الإسلام .

وقال بعض أهل العلم : الغيبة تنقض الوضوء وتفطر الصائم (٢٨١) وكان بعض الفقهاء يعيد الوضوء من الغيبة .

٢٧٩- حديث باطل : أخرجه ابن الجوزي (٢٧٩/٢) في المصوغات ، وانظر : تنزيه الشريعة (٢٠٢/٢) .

٢٨٠- أورد هذه الوصية مصطفى عمارة بهامش الترغيب والترهيب (٤٩٦/٣) .

٢٨١- نسب الغزالي في الإحياء هذا الرأي لعطاء (١٤٠/٣) .

وقيل : مثل صاحب الغيبة كمثّل من نصب منجنيقاً فهو يرمى به حسناته
يميناً وشمالاً شرقاً وغرباً .

وأوحى الله تعالى إلى موسى - عليه السلام - أنصرك على عدوك ؟
قال : نعم يارب . قال : ترد الغيبة عن المسلمين ومن مات تائباً عن الغيبة فهو
آخر من يدخل الجنة ، ومن مات وهو مصر عليها فهو أول من يدخل
النار (٢٨٢) .

وقال سليمان عليه السلام : يارب أى الأعمال أفضل ؟ أو قال : أحب
إليك ؟ فقال تعالى : عشر ياسليمان أحدها أن لا تذكر أحداً من عبادى إلا بخير ،
ولا تغتب أحداً ولا تحسد أحداً فقال : يارب عني السبعة فقد كفاني هؤلاء .
وقال عطاء السليمي - رحمه الله - عذاب القبر ثلاثة أثلاث : ثلث من
البول ، وثلث من الغيبة ، وثلث من التهمة (٢٨٣) .

[حكمة الأقدار]

فاياك يأخى والتعرض للأقدار ، وأن تغتاب أحداً بما أودع الله فيه الحياء
فإن الله المولى جل جلاله أعلم به وأحكم ولو شاء هلك وانتقم .

ويروى أن عيسى - عليه السلام - مر ببعض الأنهار فإذا بصبيان يلعبون في
ذلك النهر ومعهم صبي أعمى قد كف بصره وهم يغمسونه في الماء ويفرون منه
يميناً وشمالاً وهو يطلبهم ولا يظفر بهم ففكر عيسى - عليه السلام - في أمره ودعا
ربه أن يرد عليه بصره وأن يساوى بينه وبين أصحابه فرد الله عليه بصره فلما فتح
عينيه ورآهم وثب على واحد منهم فتعلق به ولم يزل يغمسه في الماء حتى قتله
وطلب آخر فتعلق به كذلك حتى مات وهرب الباقيون فهاب عيسى - عليه

٢٨٢ - أورد هذا الأثر الغزالي في الإحياء (١٣٩/٣) .

٢٨٣ - نسب الغزالي في الإحياء (١٤٠/٣) هذا القول لقتادة وكذلك ابن أبي الدنيا
في الصمت. (ص ١١٣) رقم ١٨٩ .

السلام - ذلك وتعجب منه وقال : إلهي ومولاي أنت أعلم بخلقك ودعا ربه أن يردّه كما كان ويكفيهم أمره فأوحى الله إلى عيسى - عليه السلام - قد كنت أعلمتك وتعرفت إلّى في حكمي وتديري فخير عيسى - عليه السلام - ساجداً وعلم أنه لا يجري في هذا العالم أمر إلا وللمولى فيه حكم وتدير .

[التحذير من عدم التوبة]

وعن بعض السلف أنه قال : إذا كان يوم القيامة اجتمع القوم الذين كانوا يجالسون على غير طاعة الله ويتعاونون على المعاصي فيجثون على الركب وبعض بعضهم بعضاً وينهض بعضهم بعضاً كالكلاب وهم الذين خرجوا من الدنيا على غير توبة .

[أعظم الذنوب الغيبة]

قال الفقيه أبو الحسن علي بن فرحون القرطبي^(٢٨٤) - رحمه الله - في كتابه المعروف بالزاهر^(٢٨٥) كان لي عم وتوفي في مدينة فاس سنة خمس وخمسين

٢٨٤ - أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون التونسي الأصل ، المدني المولد والمنشأ المالكي ، فقيه ، محدث ، واعظ ، فرضي ، نحوي ، أديب ، شاعر ولد في ٢٠ ربيع الأول سنة ٦٩٨ هـ وسمع الحديث ودخل دمشق والقاهرة وتوفي في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٧٤٦ هـ .

من تصانيفه نزهة النظر ونخبة الفكر في شرح لامية العرب ، والزاهر في المواعظ والحكايات والأحاديث والذخائر . [معجم المؤلفين (٢٢٦/٧) ، (٢٢٧)]

٢٨٥ - هذا الكتاب من مؤلفات بن فرحون نسبه له صاحب كشف الظنون (٩٤٨/٢) وكذلك نسبه إليه صاحب معجم المؤلفين (٢٢٧/٧) باسم «الزاهر في المواعظ والحكايات والأحاديث والأخبار» .

وخمسمائة فرأيته بعد ذلك في المنام وهو داخل في دارى فقمتم إليه ولاقيته بقرب الباب وسلمت عليه ودخل ودخلت خلفه فلما توسط في البيت قعد وأسند ظهره إلى الجدار فقعدت بين يديه فرأيته شاحب اللون متعبراً فقلت له : يا عماء ماذا لقيت من ربك ؟ قال : ما يلقي من الكريم يابنى سمح لى فى كل شىء إلا فى الغيبة فأبى مند فارقت الدنيا إلى الآن محبوس فيها ما سمح لى فيها فأنا أوصيك يا بنى إياك والغيبة فما رأيت فى هذه الدار شيئاً أتد بطشاً وطلاً من الغيبة وتركى واصرف . وأنشدوا :

يموت كل الأنعام طرا من صالح كان أو خبيث
فمستريح ومستراح منه كما جاء فى الحديث

وقال سعيد بن جبیر -رضى الله عنه- : يؤتى بالعد يوم القيامة فيدفع له كتابه فلا يرى فيه صلاته ولا صيامه ولا يرى أعماله الصالحة فيقول : يارب هذا كتاب عبرى كانت لى حسنات وليست فى هذا الكتاب فيقال له : إن ربك لا يضل ولا ينسى ذهب عملك باغتيال الناس .

فإياك يا أخى والغيبة والتميمة فإنهما يضران بالدين ويحبطان عمل العاملين ويورتان العداوة بين المسلمين أعاذنا الله منها .

الفصل الموفى ثلاثين

[التحذير من الغيبة بالقلب]

قال رسول الله - ﷺ - : «إن الله حرم من المسلم دمه وماله ، وأن يظن به السوء» (٢٨٦) .

فالغيبة بالقلب حرام كما هي باللسان حرام إلا أن يضطر لمعرفة بحيث لا يمكنه التجاهر .

فحد الغيبة ما بينه رسول الله - ﷺ - وهي أن تذكر أخاك بما يكرهه إن بلغه أو سمعه ، وإن كنت صادقاً سواء ذكرت نقصاً في نفسه أو عقله أو ثوبه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في داره أو في دابته أو في ولده أو في عبده أو في أمته أو في شيء مما يتعلق به حتى في قولك إنه واسع الكم طويل الذيل .

وقد ذكر رجل عند رسول الله - ﷺ - فقيل : ما أعجزه فقال : اغتبتموه (٢٨٧) .

وأشارت عائشة - رضي الله عنها - إلى صفية - رضي الله عنها - أنها كذا . وأشارت بيدها - تعني قصيرة - فقال رسول الله - ﷺ - اغتبتها يا عائشة .

٢٨٦ - حديث ضعيف : عزاه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٥٥٢/٧) إلى البيهقي في «الشعب» من حديث ابن عباس بسند ضعيف ولابن ماجه نحوه بسند ضعيف أيضاً .

قال أبو علي النيسابوري : ليس هذا عندي من كلام النبي - ﷺ - إنما هو عندي من كلام ابن عباس . انظر المغني (١٧٥/٢) للعراقي ، وقد صححه عنه عد مسلم .

٢٨٧ - حديث ضعيف : أخرجه أبو الشيخ (١٨٦) في التوبخ ، وابن أبي الدنيا (٢٠٨) في الصمت ، والطبري (٨٧/١١) في تفسيره ، وانظر المجموع (٩٤/٨) .

فقلت : يا رسول الله أليست هي قصيرة ؟ قال : إنك ذكرت أقبح شيء فيها (٢٨٨) .

والغيبة لا تقتصر على اللسان بل كل ما يفهم عرضاً يكرهه المذكور إن بلغه أو سمعه باليد أو بالرجل أو بالإشارة أو بالحركة أو بالتعريض أو بالمحاكاة فهي غيبة ، وقد عظم الله تعالى أمر الغيبة فقال : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بَغْضُكُمْ بَعْضًا أُتِيبَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٢٨٩) وقال تعالى : ﴿ وَيَلْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَمْزَةٌ ﴾ (٢٩٠) معناه الطاعن في الناس الذي يأكل لحوم الناس .

وقال رسول الله - ﷺ - : « مررت ليلة أُسرى لي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم فقلت يا جبريل : من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الدين يغتابون الناس » (٢٩١) . وقال رسول الله - ﷺ - : « ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسات العبد » (٢٩٢) .

٢٨٨ - حديث حسن : أخرجه أبو الشيخ (١٩٩) في التوبيح ، وابن أبي الدنيا (٢٠٧) في الصمت ، والطبري (٨٧/١١) في تفسيره ، وابن مردويه كما في الدر المنثور (٩٤/٦) .

٢٨٩ - سورة الحجرات : الآية ١٢ .

٢٩٠ - سورة الهمزة : الآية ١ .

٢٩١ - حديث صحيح : رواه أحمد (٢٢٤/٣) ، وأبو داود (٤٨٧٨) ، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص ١٠٤) رقم (١٦٥) واللفظ له ، وقال الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٥٣٣) : حديث صحيح .

وما بين المعكوفتين سقط استدركته من رواية ابن أبي الدنيا لأن هذا اللفظ له .

٢٩٢ - حديث ضعيف : ذكره الغزالي في الإحياء (١٤٥/٣) وقال عنه العراقي : لم أحد له أصلاً .

انظر : تذكرة الموصوعات (١٦٩) ، الأسرار المرفوعة (٣١٠) ، كشف الحياء (٢٧٢/٢) .

[وصية الرسول لمعاذ في الإخلاص]

وروى عن عبد الملك بن حبيب بإسناد عمن حدثه أنه قال لمعاذ : يا معاذ حدثني حديثاً سمعته من رسول الله - ﷺ - قال : قال لي رسول الله - ﷺ - : يا معاذ إني أحدثك حديثاً إن أنت حفظته نفعتك وإن ضيعته ولم تحفظه انقطعت حجبتك عند الله تعالى يوم القيامة ، يا معاذ ، إن الله خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والأرض فجعل لكل سماء ملكاً بواباً عليها فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين يصبح إلى أن يمسي له نور كنور الشمس حتى إذا بلغت به إلى السماء الدنيا ذكرته^(٢٧٣) وكثرته فيقول الملك الموكل بها للحفظة : اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من اغتاب الناس يجاوزني إلى غيري ، ثم يأتي الحفظة بعمل صالح من عمل العبد فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به إلى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه أراد بهذا العمل عرض الدنيا أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري إنه كان يفتخر على الناس في محاسنهم قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد يتهيج نوراً من صدقة وصيام وصلاة وقد أعجب الحفظة فيجاوزون به إلى السماء الثالثة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيره إنه كان يتكبر على الناس .

قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدرري وله دوى من صلاة وتسبيح وحج وعمرة حتى يجاوز به إلى السماء الرابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ظاهره وباطنه أنا صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيره إنه كان إذا عمل عملاً أدخل العجب فيه . قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة وصدقة

٢٩٣ - كذا بالأصل وبالإحياء (زكته) ولعل الصواب ما ورد بالإحياء .

وزكاة وحج وعمرة حتى يجاوز به إلى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى أهلها فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملك الحسد إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ فضلاً من العبادة كان يحسده أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري . قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وحج وعمرة وصيام فيجاوزون به إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنساناً ولا مسكيناً من عباد الله قط أصابه بلاء أو ضرر بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري . وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وصوم ونفقة وجهاد وورع له دوى كدوى النحل وضوء كضوء الشمس ومعه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها : قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه ، اضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه إني أحجب عن ربي كل عمل لم يرد به ربي إنما أراد بعمله رفعة عند الفقهاء وذكراً عند العلماء ، أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري وكل عمل لم يكن لوجه الله خالصاً فهو رياء فلا يقبل الله عمل المرأى ، قال : وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وعمرة وخلق حسن وذكر لله تعالى فتتبعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعوا الحجب كلها ويقفوا بين يدي الله تعالى فيشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول لهم الله تعالى : أنتم الحفظة على عبادي وأنا الرقيب على قلبه إنه لم يردني بهذا العمل وأراد به غيري فعليه لعنتي ولعنة أهل السموات والأرض فيقول الملائكة كلهم : عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها : عليه لعنة الله ولعنتنا ، فيلعنه السموات السبع [والأرض] (٢٩٤) ومن فيهن . قال معاذ : قلت : يا رسول الله ، أنت رسول الله وأنا معاذ قال : اقتدي وإن كان في عملك نقص يامعاذ احفظ لسانك من الوقعة في إخوانك من حملة القرآن واحمل ذنوبك ولا تحملها عليهم ، ولا ترك نفسك بدمهم ، ولا ترفع نفسك عليهم ، ولا تدخل عمل الدنيا في عمل

الآخرة ، ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من سوء خلقك ، ولا تناج رجلاً
وعندك آخر ، ولا تتعظم على الناس ، ولا تمزق لحوم الناس بلسانك فتمزقك
كلاب النار يوم القيامة في النار قال الله تعالى : ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢٩٥) هل
تدرى ما هن يامعاذ ؟ قلت : ما هن بأى وأمى يارسول الله ؟ قال : كلاب من
نار تنشط العظم واللحم ، قلت : بأى وأمى يارسول الله ، من يطيق هذه الخصال
ومن ينجو منها ؟ قال : يامعاذ إنه يسير على من يسره الله تعالى عليه « قال : فما
رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن من معاذ لهذا الحديث (٢٩٦) . والله أعلم .

٢٩٥ - سورة النازعات : الآية ٢ .

٢٩٦ - روى هذا الأثر ابن الجوزى في الموضوعات (١٥٤/٣ - ١٥٥ ، ١٥٦ ،
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩) بطريقين والطريق الثانى هو الوارد هنا وقد قال عنه ابن الجوزى :
«رواه أبو حاتم بن حبان وفيه عبد الواحد بن زيد ، قال يحيى ، ليس بشيء . وقال البخارى
والنسائى والفلاس : متروك ، ويعقوب وأحمد والحسن وعلى بن إبراهيم لا يعرفون وبعدهم
رجل مجهول» اهـ .

وأورده الغزالي في الإحياء (٢٨٧/٣ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩) وعلق عليه العراقى بقوله : عراه
المصنف إلى عبد الله بن المبارك في الزهد وهو كما قال ورواه ابن الجوزى في الموضوعات . اهـ

الفصل الحادى والثلاثون

[التحذير من إيذاء المسلم لغيره]

قال رسول الله - ﷺ - : «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» (٢٩٧) وقال - ﷺ - : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» (٢٩٨) . وقال - ﷺ - : «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه تداعى له بقية جسده بالحمى والسهر» (٢٩٩) .

[الترغيب فى الصمت]

وقال رسول الله - ﷺ - : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ فَلْيَنْزِمِ الصَّمْتَ» (٣٠٠) .

٢٩٧- حديث صحيح : رواه البخارى (٩/١) ، ومسلم (٦٥/١ - عبد الباقي) ح (٤١) ، وأحمد (١٦٣/٢) ، والترمذى (٢٦٢٧) ، وأبو داود (٢٤٨١) ، والنسائى (١٠٥/٨) ح (٤٩٩٥) ، والدارمى (٣٨٨/٢) ح (٢٧١٦) ، والبيهقى (١٨٧/١) ، والحاكم (١٠/١) ، وابن حبان (٥١٧/٣) ، وإحسان) ح (٢٣٠) ، والطبرانى (١١٣٧) ، والحميدى (٢٧١/٢) ح (٥٩٥) .

٢٩٨- حديث صحيح : رواه البخارى (٩٨/٢) ، ومسلم (١٩٩٦/٤ - عبد الباقي) ح (٢٥٨٠) ، وأحمد (٩١/٢) ، والترمذى (١٤٢٦) ، وأبو داود (٤٨٩٣) .

٢٩٩- حديث صحيح : رواه مسلم بلفظه (٢٠٠٠/٤) ح ٦٧ فى كتاب الر والصلة ، وأحمد (٢٧١/٤) ، وابن أبى شيبه (٢٥٣/١٣) ، والنعوى فى شرح السنة (٤٧ ، ٤٦/١٣) ح (٣٤٦٠) .

٣٠٠- حديث ضعيف : أخرجه البيهقى (٤٩٣٧) فى الشعب ، أورده الهيثمى فى (مجمع الزوائد) (٢٩٧/١٠) وقال عنه : رواه أبو يعلى والطبرانى فى الأوسط وفيه عثمان بن عبد الرحمن الوقاصى وهو متروك اه =

وقال معاذ -رضي الله عنه- لرسول الله -ﷺ- : يا رسول الله ، أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال : « ثكلتك أمك يا ابن جبل . وهل يكُبُّ الناسَ في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » (٣٠١) .

وقيل لعيسى -عليه السلام- دلنا على عمل ندخل به الجنة ؟ قال : لا تنطقوا أبداً . قالوا : لا بد لنا من ذلك ، قال : فلا تنطقوا إلا بخير (٣٠٢) .

وقال -ﷺ- : « اخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان » (٣٠٣) .

وقال -ﷺ- : « إن الله عز وجل عند لسان كل ناطق فليتق الله امرؤ عندما يقول » . (٣٠٥) .

= رواه ابن أئى الدنيا فى «الصمت» (ص ٣٨ ، ٣٩) ح (١١) وابن عساكر فى «تهذيب تاريخ ذمشق» (٢/٦٦) ، وأورده الغزالى فى «الإحياء» (٣/١٠٦) وقال عنه العراقى فى «المغنى» (رواه ابن أئى الدنيا فى الصمت وأبو الشىخ فى فضائل الأعمال والبيهقى فى الشعب من حديث أنس بإسناد ضعيف » اهـ .

٣٠١- حديث صحيح : رواه الترمذى مطولاً (٢٦١٦) ، وابن ماجة (٣٩٧٣) ، وأحمد (٢٣١/٥ ، ٢٣٧) ، والحاكم فى المستدرک (٤/٢٨٦) ، وابن أئى الدنيا فى «الصمت» (ص ٣٧) ح (٦) .

٣٠٢- رواه ابن أئى الدنيا فى «الصمت» (ص ٤٩) ح (٤٦) .

٣٠٣- حديث ضعيف : أخرجه ابن أئى الدنيا (٩١) فى الصمت ، والطبرانى (٢/٦٦) فى الصغير ، رواه الخطيب فى «تاريخه» (٧/٣٩٢ ، ٣٩٤) ، وانظر : مجمع الزوائد (٤/٢١٥) ، (١٠/٣٠١) .

٣٠٤- حديث ضعيف : ابن أئى شىبة فى مصنفه (١٣/٢٣٤) ، وعبدالله بن المبارك فى الزهد (١٢٥) ، رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٨/١٦٠) ، والخطيب (٩/٣٢٩) . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٦/١٠٥) لابن أئى شىبة وأحمد فى الزهد والحكيم الترمذى .

وقال - ﷺ - : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (٣٠٥) .

وقال - ﷺ - : « رحم الله امرأً قال خيراً أو صمت » (٣٠٦) .

وقال - ﷺ - : « إن [أكثر] خطايا ابن آدم في لسانه » (٣٠٧) .

وقال - ﷺ - : « لسان العاقل وراء قلبه فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه فإن كان له تكلم وإن كان عليه أمسك ، وقلب الجاهل من وراء لسانه فهو يتكلم بكل ما عرض له » (٣٠٨) .

٣٠٥ - حديث صحيح : رواه البخارى (١٣/٨ ، ٣٩) ، ومسلم (١/٦٨) - عبد الباقي ح (٧٤) ، والترمذى (٣٠٤/٤) ح (١٩٦٧) - وابن ماجه (٣٩٧١) ، وأحمد (٢٦٧/٢) ، وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٤٨) رقم (٤٢) .

٣٠٦ - حديث ضعيف : رواه ابن أبى الدنيا فى «الصمت» (ص ٢٩٣) ح (١٦٦) ، وأورده السيوطى فى «الدرر المنتثرة» (ص ٢٥٠) ح (٢٤٣) وقال : أخرجه الديلمى بلفظ «رحم الله من تكلم فغنم أو سكت فسلم» اه .

٣٠٧ - حديث حسن : رواه ابن أبى الدنيا فى الصمت (ص ٤١) ح (١٨) وأبو نعيم فى الحلية (١٠٧/٤) ، وأورده الهيثمى فى «مجمع الزوائد» (٣٠٠/١٠) وقال رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح ، وما بين المعكوفتين سقط استدركاه .

وذكره الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» (٥٣٤) وقال : أخرجه الطبرانى وأبو الشيخ فى أحاديثه وابن عساكر .

٣٠٨ - أورده الغزالى فى الإحياء (١٠٧/٣) وقال عنه العراقى فى «المغنى عن حمل الأسفار» : لم أجده مرفوعاً وإنما رواه الخرائطى فى مكارم الأخلاق من رواية الحسن البصرى قال كانوا يقولون . اه

وقال - ﷺ - : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن يبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة» (٣٠٩) . وقال - ﷺ - : «إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي بها بالاً يرفعه الله بها إلى الجنة» (٣١٠) .

[إياك والعجب]

وإياك يَا أَخِي والعجب فإنه مذموم ، كيف كان بالنفس أو بالفعل أو بالقول ولا تغتر بفعلك ولا بقولك فإن الله تعالى يقول : ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (٣١١) .

وقال - ﷺ - : «ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه» (٣١٢) .

٣٠٩ - حديث صحيح : رواه أحمد (٤٦٩/٣) ، والترمذي (٢٣١٩) ، وابن ماجه (٣٩٦٩) ، ومالك في الموطأ (٩٨٥/٢) ح (٥) ، وابن حبان (١٥٧٦ - موارد) ، والحاكم في المستدرک (٤٥/١) ، والحميدى (٩١١) .

وقد روى البخارى حديثاً يقارب هذا الحديث في اللفظ (١٢٥/٨) .

وقد أورده الشيخ الألبانى في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٨٨٨) .

٣١٠ - حديث صحيح : رواه البخارى (١٢٥/٨) ، ومالك (٩٨٥/٢) ح (٦) وابن أبى الدنيا في الصمت (ص ٦٠) ح (٧٢) .

٣١١ - سورة النجم : الآية ٣٢ .

٣١٢ - حديث حسن : رواه البزار (٥٩/١) ، ٦٠ - كشف الأستار ح (٨٠) ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ من طرق مختلفة ، والشجرى في أماليه (٢١٨/٢) ، وأبو نعيم في الحلية (٣٤٣/٢) ، (٢١٩/٣) ، (٢٦٨/٦) ، (٢٦٩) من طرق مختلفة ، والقضاعى في «الشهاب» (٢١٤/٢) ، (٢١٥) ح (٣٢٥) ، (٣٢٦) ، (٣٢٧) .

وأورده الهيثمى في «مجمع الزوائد» (٩٠/١) ، (٩١) وعزاه إلى البزار والطبرانى في الأوسط ، وذكره الغزالي في «الإحياء» وعزاه العراقى إلى البزار والطبرانى وأبى نعيم في الحلية =

وقال -عليه السلام- : « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشد من الذنب وهو العجب » (٣١٣) .

وقيل لعائشة -رضي الله عنها- : متى يكون الرجل مسيئاً ؟ قالت : إذا ظن أنه محسن (٣١٤) .

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : الهلاك في اثنين : القنوط والعجب (٣١٥) . وإنما جمع بينهما لأن القنوط لا يطلب السعادة لقنوطه وأن المعجب لا يطلبها لظنه أنه ظفر بها .

وذكر عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال يوماً أنا من الراسخين في العلم ، وقال - رضي الله عنه - يوماً : سلوني قبل أن تفقدوني ، فلما انصرف إلى منزله بعث الله له ملكاً على صورة آدمى فدق عليه الباب فخرج إليه عبد الله

=والبيهقي في الشعب . وقال عنه الألباني في « سلسلة الأحاديث الصحيحة » حديث حسن (١٨٠٢) .

٣١٣ - حديث حسن : رواه القضاعي في مسند الشهاب (٣٢٠/٢ ، ٣٢١) ح ، (١٤٤٧) وابن عدى في الكامل (١١٥٢/٣) ، وقال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٤/٢ ، ٢٦٥) ح (٦٥٨) : قلت : هو حسن على الأقل بشاهده الآتي وغيره فقد أخرجه أبو الحسن القزويني في الأمالي (١/١٢) عن كثير بن يحيى قال حدثنا أبي عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعاً وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد ، رجاله ثقات غير يحيى والد كثير . اهـ

وذكره الغزالي في « الإحياء » (٣٥٩/٣) وعلق عليه العراقي بقوله : رواه البزار وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من حديث أنس وفيه سلام بن أبي الصهباء قال البخاري منكر الحديث وقال أحمد حسن الحديث ورواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف جداً . اهـ

٣١٤ - أورده الغزالي في « الإحياء » (٣٥٩/٣) .

٣١٥ - أورده هذا الأثر الغزالي في « الإحياء » ونسبه إلى ابن مسعود .

ابن عباس فقال له الملك : يا ابن عباس ما تقول في التلمة مع صغرها فأين روحها في مقدمها أو في مؤخرها ؟ فلم يجد جواباً فدخل منزله وأغلق بابه وآلى على نفسه أن لا يدعى علماً أبداً^(٣١٦) قال الله تعالى : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٣١٧) .

[لحن الأفعال ولحن المقال]

وذكر أنه حضر بعض النحوية في مجلس ابن سمعون^(٣١٨) الواعظ وكان من الزهاد فكان النحوى أخذ على الشيخ لحناً^(٣١٩) في لسانه وغلطاً في كلامه فانقطع عنه النحوى ولم يأت إلى مجلسه فكتب إليه ابن سمعون : مالى أراك من الإعجاب رضييت أن تقف دون الباب ، أما سمعت رسالة بعض العارفين إلى بعض المتأدبين : كتبت إلى من اعتمد على ضبط أقواله ، ولحن في أفعاله أنك رفعت وخفضت وجزمت ونصبت وانقطعت . ألا رفعت إلى الله جميع الحاجات ، ألا خفضت صوتك عن المنكرات ، ألا جزمت نفسك عن الشهوات ، ألا نصبت بين عينيك ميراث الممات ، أما علمت أنه لا يقال غداً للعبد لم تكن معرباً وإنما يقال له لم كنت مذنباً ، يا هذا ، ليس المرغوب الفصاحة في المقال ، وإنما الفصاحة في الأفعال ولو كانت الفصاحة محمودة في المقال دون الأفعال لكان هارون أولى بالرسالة عن موسى عليه السلام قال الله تعالى إخباراً عن قول موسى : ﴿وَأُخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً﴾^(٣٢٠) فجعلت الرسالة لموسى عليه السلام لفصاحة أفعاله و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣٢١) وأنشدوا :

٣١٦- أثر في مناقب ابن عباس لم أجده .

٣١٧- سورة يوسف : الآية ٧٦ .

٣١٨- ابن سمعون : هو محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون ؛ زاهد ، واعظ ، يلقب بالناطق بالحكمة ، ولد ببغداد سنة ٣٠٠ هـ وتوفي بها ٣٨٧ هـ .

[الأعلام (٣١٢/٥)]

٣١٩- لحناً : لحن في كلامه أى أخطأ . [اللسان (٣٧٩/١٣)] ط دار صادر

٣٢٠- سورة القصص : الآية ٣٤ .

٣٢١- سورة الأنعام : الآية ١٢٤ .

مُحَارِبٍ فِي الْفِعَالِ ذُو زَلَلٍ حَتَّى إِذَا جَاءَ قَوْلُهُ وَزَنَّهُ
قَالَ وَقَدْ اكْسَبْتَهُ لَفْظَتُهُ تَيْهًا وَعُجْبًا أَخْطَأْتُ بِاللَّحْنَةِ
قُلْتُ أَخْطَأَ الَّذِي يَقُومُ غَدًا وَلَا يُرَى فِي كِتَابِهِ حَسَنَةٌ

روى أن رجلاً نظر إلى بشر بن منصور الحافى (٣٢٢) - رضى الله عنه - وهو
يطيل الصلاة ويحسن العبادة فلما فرغ قال له : لا يفرنك ما رأيت منى فإن إبليس
- لعنه الله - عبد الله آلافاً من السنين ثم صار إلى ما صار إليه .

فمن سعادة المرء أن يقر على نفسه بالعجز والتقصير في جميع أفعاله
وأقواله .

وقيل : المهلكات أربع وهى : أنا ، ونحن ، ولى ، وعندى .

وقال رسول الله - ﷺ - : « النادم على الذنب كمن لا ذنب له » (٣٢٣)
[وقال] : (٣٢٤) « النادم ينتظر الرحمة ، والمعجب ينتظر المقت من الله » (٣٢٥) . وقال
أبو الدرداء - رضى الله عنه - إن ناقدت الناس ناقدوك ، وإن هربت منهم
أدركوك .

٣٢٢ - كذا بالأصل والصواب بشر بن منصور السليمى فقد أورد صاحب الإحياء
هذا الأثر عنه (٣٥٩/٣) وأورده أيضاً أبو نعيم في الحلية (٢٤١/٦) وأيضاً لأن بشر الحافى
اسمه بشر بن الحارث وليس بن منصور .

وبشر بن منصور من عباد أهل البصرة [انظر ترجمته في « حلية الأولياء » (٢٣٩/٦) ،
وصفة الصفوة » (٣٧٦/٣)] .

٣٢٣ - روى هذا الحديث لفظ « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ابن ماجه
(٤٢٥٠) ، والبيهقى في سننه (١٥٤/١٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢١٠/٤) ، والشجرى
في أماليه (١٩٨/١) .

وقال عنه الشيخ الألبانى في « سلسلة الأحاديث الضعيفة » : حديث ضعيف .

٣٢٤ - ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه .

٣٢٥ - منكر : رواه ابن عدى في « الكامل » (٢٤٢٣/٦) ، والشجرى في « أماليه »
(١٩٧/١) ، وأورده المنذرى في « الترغيب والترهيب » (٩٥/٤) وعزاه إلى الأصبهاني .

فالعاقل من وهب نفسه وعرضه ليوم فقره ، وما تجرع مؤمن قط جرعة أحب إلى الله عز وجل من غيظ كظمه ، فاعفوا بعزكم الله ، وإياكم ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنها تسرى بالليل والناس نيام .

وقال عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- : أعظم الخطايا الكذب وسب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يؤجر عليه ، ومن يغفر يغفر الله له ، ومن يصبر على الرزية يعقبه خيراً منها (٣٢٦) .

[فضل التواضع]

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- : لما أخذ موسى -عليه السلام- الألواح نظر فيها وقال : إلهي أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحد قبلي ، فأوحى الله إليه أتدري لم فعلت ذلك بك ؟ قال : لا . قال : نظرت إلى قلوب عبادي فلم أجد قلباً أشد تواضعاً من قلبك فلذلك اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين ، ياموسى ، إنما أقبل من تواضع لعظمتي ولم يتعاضم على خلقي وألزم قلبه خوفاً وقطع نهاره بذكرى وكف لسانه عن الشهوات لأجلى (٣٢٧) .

٣٢٦ - هذا الأثر روى مرفوعاً إلى الرسول -ﷺ- في خطبة خطبها في غزوة تبوك فانظر إليها إن شئت في الدر المنثور (٢/٢٢٤ ، ٢٢٥) .

٣٢٧ - هذا الأثر من قوله (إنما أقبل من تواضع لعظمتي .. إلى قوله) وكف لسانه عن الشهوات؛ لأجلى) رواه ابن أبي الدنيا في التواضع والخمول (ص/١٤١) رقم (٨٦) وأورده الغزالي في «الإحياء» (٣/٣٣١) .

[فضيلة العفو وكظم الغيظ]

وقال رسول الله - ﷺ - : « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل ، ومن كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً » (٣٢٨) .

وحكى أن غلاماً لجعفر الصادق (٣٢٩) - رضى الله عنه - سك الماء على يديه في الطشت فطار الماء على ثوبه فنظر إليه جعفر نظرة منكرة فقال العبد : يامولاي ، ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ (٣٣٠) قال : كظمت غيظي ، فقال الغلام : ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (٣٣١) قال له : قد عفوت عنك ، فقال الغلام : ﴿وَاللَّهُ

٣٢٨ - الحديث صحيح ولفظ المصنف موضوع أخرجه ابن أبي الدنيا في ذم العضب كما في ضعيف الجامع (٥١٦٥) ، رواه أحمد (٣٢٧/١) بلفظ « وما من جرعة أحب إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظمها عبد الله إلا ملأ الله حوفه إيماناً » . وعزاه صاحب الكنز (٥٨٢١) لابن أبي الدنيا في الصمت وصدر الحديث وهو قوله « ما من جرعة أحب إلى الله تعالى من جرعة غيظ كظمها رجل » رواه أحمد (١٢٨/٢) ، وابن ماجة (٤١٨٩) .

أما الجزء الأخير من الحديث وهو قوله « ومن كظم غيظاً وهو قادر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً » رواه أبو داود (٤٧٧٨) ورواه بنحوه أحمد (٤٣٨/٣) ، (٤٤٠) ، وابن ماجة (٤١٨٦) ، والترمذي (٢٠٢١) ، (٢٤٩٣) ، والبيهقي (١٦١/٨) ، والطبراني في الكبير (٤٥٣/١٢) ، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (ص ٣٦) .

٣٢٩ - جعفر الصادق : هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ، الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله ، الملقب بالصادق سادس الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية كان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة في العلم ، له أخبار مع خلفاء بني العباس وكان جريئاً عليهم ، صداعاً بالحق له رسائل مجموعة في كتاب .. ولد بالمدينة سنة ٨٠ هـ وتوفي بها ١٤٨ هـ .

[الأعلام (١٢٦/٢)]

٣٣٠ - سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

٣٣١ - سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٣٢﴾ فقال : اذهب أنت حر لوجه الله تعالى ولك من مالى ألف دينار .

[حامل القرآن]

وعن عبدالله بن مسعود -رضى الله عنه- قال : ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذ الناس نائمون ، وبيكاته إذ الناس يضحكون ، وبصمته إذ الناس يخلطون ، وبخشوعه إذ الناس يختالون . وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكياً محزوناً ، حليماً سكوناً ، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافياً ، ولا غافلاً ، ولا صخاباً ولا صياحاً ، ولا حديداً ولا منزعجاً (٣٣٣) .

[وصية نفيسة]

وقال بعض الزاهدين : اغتنموا من زمانكم خمساً : إن حضرتكم لم تعرفوا ، وإن عبتكم لم تنفقوا ، وإن شهدتم لم تشاوروا ، وإن قلتم شيئاً لم يقبل قولكم ، وإن علمتم شيئاً لم تغيظوا به ، وأوصيكم بخمس أيضاً : إن ظلمتم لم تظلموا ، وإن مدحتكم لم تفرحوا ، وإن ذمتم لم تجزعوا ، وإن كذبتكم لم تغضبوا ، وإن خانوكم فلا تخونوا ، والله تعالى أعلم .

٣٣٢ - سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

٣٣٣ - رواه أبونعيم في الحلية (١/١٣٠) .

الفصل الثاني والثلاثون

[الترهيب من الربا]

اعلم أن الربا من المهلكات وهو أخفى من ديب التمل على الصفا في الليلة الظلماء وأن أدنى الربا كالذى يزنى مع أمه والزنا مع الأم أعظم وزراً من سبعين زنية مع غيرها ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣٢٠) وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣٣٥) .

وقال [سمرة بن] (٣٣٧) جندب - رضى الله عنه - : كان النبی - ﷺ - إذا وثلاثين زنية في الإسلام» (٣٣٦) .

وقال سمرة بن جندب (٣٣٧) - رضى الله عنه - : كان النبی - ﷺ - إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه المبارك وقال : هل رأى أحدكم رؤيا ؟ قلنا : لا يا رسول الله فذكر - ﷺ - حديث الربا فقال : ثم انطلقنا حتى أتينا على نهر من دم وفيه رجل قائم وعلى شاطئ النهر رجل قائم وبين يديه حجارة [فأقبل الرجل

٣٣٤ - سورة البقرة : الآية ٢٧٨ .

٣٣٥ - سورة البقرة : الآية ٢٧٥ .

٣٣٦ - حديث صحيح : رواه أحمد (٢٢٥/٥) ، والدارقطني (١٦/٣) ، وأورده ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق (٣٧٣/٧) ، وقال الألباني في «صحيح الجامع الصغير» حديث صحيح .

٣٣٧ - ما بين المعكوفتين سقط استدركناه من صحيح البخارى (٧٧/٣) .

الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج [٣٣٨] رماه الرجل بحجر فى فيه فردده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه حجراً فرجع كما كان فسألت عنه فقيل لى : هذا آكل الربا يفعل به هكذا إلى يوم القيامة (٣٣٩) .

وقال موسى - عليه السلام - : يارب ما جزاء من يأكل الربا ولم يتب منه ؟ قال : ياموسى ، أطعمه يوم القيامة من شجر الزقوم .

وأشددوا :

أَيَاذَا الَّذِي قَلْبُهُ مَيَّتَ يَأْكُلُ الرِّبَا أَزْدَجَرَ وَانْتَبِهْ
فَكَمْ نَائِمٍ ثَاةٍ فِي غِبْطَتِهِ أَتَتْهُ الْمَنِيَّةُ فِي تَوَمَّتِهِ
وَكَمْ مِنْ مُقِيمٍ عَلَى لَذَّةٍ دَهَتْهُ الْحَوَادِثُ فِي لَذَّتِهِ
وَكَمْ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى ظَهْرِهَا سَيَّاتِي الزَّمَانَ عَلَى جِدَّتِهِ

[الترهيب من أكل الحرام]

وأما آكل الحرام فالله تعالى يقول فى كتابه العزيز : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣٤٠) :

وقال رسول الله - ﷺ - : «إن الله تبارك وتعالى ملكاً على بيت المقدس ينادى فى كل يوم وليلة من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يخرج ذلك الحرام من بيته فإن مات على ذلك فأنا برىء منه» (٣٤١) . وقال - ﷺ - :

٣٣٨- ما بين المعكوفتين سقط أثبتناه من مصادر تخريج الحديث .

٣٣٩- حديث صحيح : رواه البخارى (٧٧/٣) ، وأحمد (١٤/٥) ، والبيهقى فى سننه (٢٧٥/٥) .

٣٤٠- سورة البقرة : الآية ١٦٨ .

٣٤١- أورده الغزالى فى «الإحياء» (٩٠/٢) وعلق عليه العراقى بقوله : لم أقف له على أصل .

«أخرجوا الأمانة من بيوتكم وردوها إلى أربابها فإن لم تفعلوا فلن تنفعكم أعمالكم شيئاً ولا ينفعكم قول لا إله إلا الله مع الحرام في البيت» (٣٤٢) .

وقال - ﷺ - : «من اكتسب درهماً حلالاً وأنفقه في حلال غفر الله له كل ذنب إلا الربا والحرام» (٣٤٣) .

وقال - ﷺ - : «طلب الحلال فرض على كل مسلم أى بعد فريضة الإيمان» (٣٤٤) .

وقال - ﷺ - : «من أكل لقمة من الحرام لم يقبل الله منه صلاة أربعين يوماً وكل لحم أنبته السحت والحرام فالنار أولى به» (٣٤٥) .

وقال - ﷺ - : «من كسب مالاً حراماً لم يقبل منه صدقة ولا اعتقاً ولا حجاً ولا عمرة وكانت له بعدده أوزاراً وما بقى منه بعد موته كان زاده إلى النار» (٣٤٦) .

٣٤٢- لم أقف عليه .

٣٤٣- لم أقف عليه .

٣٤٤- حديث ضعيف : أخرجه البيهقي (٨٧٤١) في شعب الإيمان ، والطبراني (٩٩٩٣) في الكبير ، وانظر : مجمع الزوائد (٢٩١/١٠) ، والبيهقي (١٢٨/٦) في سننه .

٣٤٥- حديث منكر : ذكره الديلمي في مسند الفردوس (٥٩١/٣) ح (٥٨٥٣) ، وانظر الإحياء (٩٠/٢) ، تنزيه الشريعة (٢٦٧/٢) ، والفوائد المجموعة (ص ٤٦) ح (٤٢٦) .

٣٤٦- لم أقف عليه بهذا اللفظ : ورواه أحمد بمعناه (٣٨٧/١) كجزء من حديث أوله : إن الله قسم بينكم أحلافكم وذكره كذلك العزالي في الإحياء (٩١/٢) سحوه أنصاً . وانظر : مجمع الزوائد (٢٩٢/١٠) .

وقال - ﷺ - : « لو أن رجلاً اشترى ثوباً بعشرة دراهم وكان فيهم حرام لم يقبل الله عمله حتى يؤديه إلى أهله » (٣٤٧) ويروى في حديث آخر : « لم يقبل الله منه عملاً مادام شيء منه عليه » (٣٤٨) .

وقال - ﷺ - : « لا يدخل الجنة لحم ولا دم نبت من حرام أو خمر » (٣٤٩) .

[عاقبة الحرام]

وقال - ﷺ - : « لو أن أصحاب المال الحرام استشهدوا في سبيل الله سبعين مرة لم تكن الشهادة له توبة ، وتوبة الحرام رده إلى أربابه والاستحلال منهم » (٣٥٠) .

وقال - ﷺ - : « من أكل الحلال أربعين يوماً نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة على لسانه ويهديه الله في الدنيا والآخرة » (٣٥١) .

وفي المناجات : أن الله تعالى قال لموسى - عليه السلام - : إن أردت أن تدعوني فصن بطنك عن الحرام وقل ياذا المن القديم والفضل العميم ، ياذا الرحمة الواسعة فإنى أحبيك فيما سألتنى .

٣٤٧- حديث ضعيف جداً : رواه أحمد (٩٨/٢) ، والخطيب (٢١/١٤) ، وقال الألبانى في « سلسلة الأحاديث الضعيفة » (٢٤٠/٢) ح (٨٤٤) : حديث ضعيف جداً .
٣٤٨- انظر التحريم السابق .

٣٤٩- لم أقف عليه بزيادة « أو الخمر » .
٣٥٠- لم أقف عليه .

٣٥١- حديث ضعيف : أورده العزالى في الإحياء (٩٠/٢) وقال عنه : رواه أبو نعيم في الحلية (١٨٩/٥) من حديث أبى أيوب (تلفظ) « من أحلص لله أربعين يوماً طهرت يابيع الحكمة من قلبه على لسانه » ولان عدى نحوه من حديث أبى موسى ، وقال حديث منكر . هـ .
قلت : قال الألبانى في « سلسلة الأحاديث الضعيفة » (٣٨) : حديث ضعيف .

[الورع]

وقال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- : لو صمتم حتى تكونوا كالحنايا وصليتم حتى تكونوا كالأوتار لم يقبل ذلك منكم إلا بورع حاجز (٣٥٢) .

وقال بعض أهل العلم : « الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب » (٣٥٣) .
فالحرام داء لا دواء له إلا الفرار إلى الرحمن من أكله .

وأنشدوا :

أشبه مَنْ يتوبُ عَلَى حرامٍ كَبِيضٍ فَاسِدٍ تَحْتَ الْحَمَامِ
يَطْوُلُ عَنَاؤُهُ فِي غَيْرِ شُغْلٍ وَآخِرُهُ يَقُومُ بَلَا تَمَامِ
إِذَا كَانَ الْمَقَامُ عَلَى حرامٍ فَلَا مَعْنَى لِتَطْوِيلِ الْقِيَامِ

[سبيل الطاعة أكل الحلال]

وقال يحيى بن معاذ (٣٥٤) -رضي الله عنه- : « الطاعة مخزونة في خزائن الله ومفتاحها الدعاء وأسنانها أكل الحلال » (٣٥٥) .

فإذا لم يكن في المفتاح أسنان فلا يفتح الباب وإذا لم يفتح الخزانة كيف يتوصل إلى ما فيها من الطاعة ، فصف لقمتك ، وأطب مضغتك حتى يتبين لك

٣٥٢ - ذكر هذا الأثر الغزالي في « الإحياء » (٩٢/٢) .

٣٥٣ - أورد هذا الأثر الغزالي في « الإحياء » (٩٢/٢) ونسبه إلى علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- .

٣٥٤ - يحيى بن معاذ : يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي ، أبو زكريا : واعظ ، زاهد ، لم يكن له نظير في وقته . من أهل الري أقام ببليخ ، ومات في نيسابور . له كلمات سائرة . توفي سنة ٣٥٨ هـ .
[الأعلام (١٧٢/٨)]

٣٥٥ - أورد هذا الأثر الغزالي في « الإحياء » (٩٢/٢) .

مبيض صالح العمل من سواد خيط الأمل من فجر الأجل ثم أتم صيام الجوارح عن حرام طعام الأثام إلى ليل القيام فتفطروا على فوائد موائد ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ (٣٥٦) .

ومن لم يجتنب الحرام من الطعام أفطر بعد طول الصيام على مرارة حرارة ثمرة شجرة الزقوم ، فياله من طعام ما أعظم ضرره ! يُفتت القواد ويقطع الأكباد ويمزق الأجساد ، ويورث الأنكاد في الميعاد .

[الحرام يعنى البصيرة]

وقال سفيان بن عيينة (٣٥٧) -رضي الله عنه- كنت أقرأ الآية فيفتح لي فيها سبعون باباً من العلم فلما أكلت مال هؤلاء الأمراء صرت أقرأ الآية فلا يفتح لي فيها باب واحد .

فالحرام من القوت نار تذيب شحمة الفكر وتذهب لذة حلاوة الذكر وتحرق ثياب إخلاص النية ، ومن الحرام يتولد عمى البصيرة وظلام السريرة فاكسب مالا حلالاً وانفقه في قصد ، واجتنب الحرام وأهله ولا تجالسهم ولا تأكل طعامهم ولا تصحب من كسبه من الحرام إن كنت صادقاً في وعدك ، ولا تضيفن أحداً على الحرام فيأكله هو وتحاسب أنت عليه ، ولا تعنه أيضاً على طلبه فإن المعين شريك واعلم أنه إنما يتقبل من الأعمال من أكل الحلال ويتعلق بذلك كتمان الفاقة والحسرات وإخفاء الأئين والزفريات ، والركون إلى الخلوات .

٣٥٦ - سورة الحاقة : الآية ٢٤ .

٣٥٧ - سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالى الكوفى ، أبو محمد : محدث الحرم المكى ، من الموالى . ولد بالكوفة ، وسكن مكة وتوفى بها . كان حافظاً ثقة ، واسع العلم ، كبير القدر ، قال الشافعى : لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز ، وكان أعور . وحج سبعين سنة ، له «الجامع» فى الحديث ، وكتاب فى «التفسير» ولد ١٠٧ هـ ، وتوفى ١٩٨ هـ .
[الأعلام (١٠٥/٣)]

[التحذير من أكل مال اليتيم]

وأما أكل مال اليتيم فلو لم يكن إلا ما نطق به القرآن العظيم على لسان نبيه الكريم - ﷺ - أُرْكَى تسليم حيث قال جل وعلا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٣٥٨) وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ (٣٥٩) .

[الترهيب من الخيانة في الميزان]

وأما الخيانة في الكيل والوزن فاجتنب ذلك يأخى ما استطعت فإن الله قد أمرك بالعدل فيهما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَغْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (٣٦٠) وقال تعالى : ﴿ وَنِزْلَ الْمُطَفِّينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (٣٦١) .

فإياك يأخى أن تغتبط بشيء من حقوق المسلمين فإن البركة لا تكون مع الخيانة وأن قليلاً من الحرام يتلف كثيراً من الحلال ، وإياك والخيانة فإنك إن خنت في درهم واحد خانك إبليس - لعنه الله - في سبعين درهما ، وقال رسول الله

٣٥٨ - سورة النساء : الآية ١٠ .

٣٥٩ - سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

٣٦٠ - سورة هود : الآية ٨٥ .

٣٦١ - سورة المطففين : ٣ : ١ .

- **عليه السلام** - : «ثلاثة من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام من إذا ائتمن خان ، وإذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب» (٣٦٢) .

وقال بعضهم : دخلت لعيادة جار لي ، كان يبيع الخنطة ، فلما قعدت عند رأسه سمعته وهو يقول : جبلان من نار ، جبلان من نار ، فسألت زوجته فقالت : إنه كان له مدان (٣٦٣) أحدهما كبير والآخر صغير ، فإذا ابتاع من أحد شيئاً اكتمل بالمد الكبير ، وإذا باع هو لأحد شيئاً كال له بالمد الصغير ، فقلت : إن المدين هما اللذان تصورا له جبلين من نار .

قيل : وكان رجل لبان يخلط اللبن بالماء فجاء سيل فذهب بالغنم فجعل يكي ويقول : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلاً ولسان الحال يناديه : ﴿ ذلك بما قدمت يداك ﴾ (٣٦٤) .

[السرقة والخيانة]

واعلم أن السرقة والخيانة أمران مهلكان ضاران بالدين .

وفي المناجات : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : ستة في نارى وغضبى أولهم من طال عمره ، وساء خلقه ، وغنى سارق ، وعالم فاسق ، ومن

٣٦٢ - حديث صحيح : رواه مسلم (٥٩) ، والبيهقى (٢٨٨/٦) ، والبغوى في شرح السنة (٧٢/١ ، ٧٣) ح (٣٦) ، وعزاه الهيثمى في مجمع الزوائد (١٠٧/١) لأبى يعلى ، وعزاه الهندى في كنز العمال (٨٥٥) إلى رسته في الإيمان ولأبى الشيخ في التوبيخ . كما عزاه الهندى أيضاً في كنز العمال (٨٦٥) إلى الخرائطى في «مكارم الأخلاق» .

قلت قد وجدته في «مساوىء الأخلاق للخرائطى (ص/١٢٣ ، ١٢٤) ح (٣٠٤) ، ورواه أيضاً أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٥/٦) وابن أبى شيبه (٤٠٦/٨) ح (٥٦٦٥) .

٣٦٣ - المذ : ضرب من المكاييل وهو ربع صاع ، وهو قدر مد النبى - **عليه السلام** - ، والصاع : خمسة أرتال . [اللسان (٤٠٠/٣) ط دار صادر]

٣٦٤ - سورة الحج : الآية ١٠ .

أتانى على غير توبة ، ومن لقينى بدم مؤمن متعمداً ، ومن منع حق امرء مسلم وأكله غصباً .

[إياك والغش]

وقال - ﷺ - : « من غشنا فليس منا » (٣٦٥) . وقيل : إنه وجدت صخرة بيت المقدس عليها مكتوب ست كلمات :

كل عاص مستوحش ، وكل مطيع مستأنس ، وكل خائف هارب ، وكل راج طالب ، وكل مقتنع غنى ، وكل حريص فقير .

وقيل : مر رسول الله - ﷺ - برجل من أصحابه وهو يضرب عبداً والعبد يقول له : أسألك بوجه الله العظيم ألا ما تركتني وهو يزيد في ضربه فسمع رسول الله - ﷺ - صياح العبد فانطلق إليه فلما رآه السيد أمسك فقال له رسول الله - ﷺ - : « سألك بوجه الله العظيم فلم تعف عنه فلما رأيتني أمسكت يدك ١٩ » فقال : يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أشهدك أنه حر لوجه الله العظيم فقال له رسول الله - ﷺ - : « لو لم تفعل للفتحت النار وجهك » (٣٦٦) .

٣٦٥ - حديث صحيح : رواه مسلم (٩٩/١ - عبد الباقي) ح (١٠١) ، وأحمد (٥٠/٢) ، والترمذى (١٣١٥) ، وأبو داود (٣٤١٥) ، وابن ماجه (٢٢٢٤) ، والحاكم (٩، ٨/٢) ، والبيهقى في سننه (٣٢٠/٥) ، وابن حبان [(١١٠٧) موارد] ، والطبرانى في الكبير (١٦٩/١٠) ح (١٠٢٣٤) ، وفي الصغير (٢٦١/١) ، وابن أبى شيبه في المصنف (٢٩٠/٧) ، وأبو نعيم في الحلية (١٨٨/٤ ، ١٨٩) ، والدارمى (٣٢٣/٢) ح (٢٥٤١) .

٣٦٦ - حديث ضعيف بهذا اللفظ . وقد صح معناه كما سيأتى . أورده الغزالي في «الإحياء» (٢٢٠/٢) وعلق عليه العراقى بقوله : رواه ابن المبارك في الرهد مرسلأ وفي رواية لمسلم (١٦٥٩) في حديث أبى مسعود الآتى ذكره فجعل يقول : أعوذ بالله قال فجعل يضربه فقال أعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال أما إنك لو لم تفعل للفتحت النار أو لمستك النار . اهـ

[التحذير من الحلف الكاذب]

فإياك والتعرض لمقت الله بكثرة الأيمان فإن الله تعالى يقول : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ (٣٦٧) وأما الأيمان الكاذبة فإنه روى عن رسول الله ﷺ - أنما الحلف حنث أو ندم (٣٦٨) .

وفي الإسرائيليات : أن موسى - عليه السلام - قال : يارب ما لمن يحلف بك كاذباً ؟ قال : اجعل لسانه بين جمرتين أحقاباً (٣٦٩) . قال : يارب فما على من اقتطع مال مسلم بيمين فاجرة ؟ قال : اقتطع حظه من الجنة .

وقال رسول الله ﷺ - : «إن الله أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في تحوم الأرض السفلى وعنقه منش تحت العرش فيرفع رأسه وهو يقول : إلهي ما أعظمك فيقول الله تعالى : ما عرف ذلك من حلف لي كاذباً» (٣٧٠) .

٣٦٧ - سورة البقرة : الآية ٢٢٤ .

٣٦٨ - حديث ضعيف : رواه ابن ماجه (٢١٠٣) ، وقال عنه الألباني في «ضعيف سنن ابن ماجه» (ص/١٦٢) رقم (٤٥٧) : حديث ضعيف .

٣٦٩ - أحقاباً : مفرد : حقب والحقب ثمانون سنة وقيل أكثر ، قال الفراء : والسنة ثلثائة وستون يوماً واليوم منها ألف سنة عدد سنين الدسا قال وليس هذا مما يدل على عاية كما يطن بعض الناس وإنما يدل على الغاية التوقيت ، حمسة أحقاب أو عشرة .

[اللسان (٣٢٦/١) ط دار صادر]

٣٧٠ - حديث صحيح : رواه الحاكم في المستدرک (٢٩٧/٤) وعزاه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة إلى الطبرانی في الأوسط وقال : حديث صحيح .

[الترهيب من شرب الخمر]

وأما شرب الخمر فإنه من أكبر الكبائر ، وعن رسول الله - ﷺ - أنه كان يقول : « من شرب الخمر شربة لم يقبل منه صلاة سبعة أيام ، ولم يقبل منه صيام » (٣٧١) .

[آثار شرب الخمر]

واعلم أن في شربها عشر خصال مذمومة .

أولها : أنها تذهب عقل شاربها حتى يصير مضحكة للصبيان ومهاناً كما روى عن ابن أبي الدنيا أنه قال : رأيت سكراناً يبول ويمسح وجهه ببوله وهو يقول : اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين . ورأى سكراناً وقد تقايا والكلب يلحس فاه والسكران يقول : اكرمك الله ياسيدي كرامة أوليائه .

والخصلة الثانية : أنها تتلف المال وتفسده وتعقب الحمل كما قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : « اللهم أرنا رأيك في الخمر » (٣٧٢) فإنها متلفة للمال ومذهبة للعقل .

والثالثة : أنها توقع العداوة والبغضاء ، قال الله العظيم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ

٣٧١ - حديث ضعيف : رواه الطبراني في الكبير (٤٠٤/١٢) ح (١٣٤٩٢) ، وقال عنه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٤١/٣) : حديث لا يصح .

٣٧٢ - خبر صحيح : أخرجه أحمد (٥٣/١) ، وأبو داود (٣٦٧٠) ، والترمذي (٣٢٤٢) ، والنسائي (٢٨٦/٨) ، قال علي بن المديني : هذا إسناد صالح صحيح ، انظر تفسير ابن كثير (٢٥٥/١) .

ذَكَرَ اللَّهُ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٣٧٣﴾ ويريد انتهوا عنهما . قال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يارب انتهيت يارب (٣٧٤) .

والرابعة : تحرم صاحبها لذة الطعام وصواب الكلام .

والخامسة : أنها تحرم عليه زوجته فتكون معه على الزنا وذلك أن أكثر كلامه بالطلاق فرما حث ولم يشعر فيكون معها زانياً فإنه روى عن بعض الصحابة أنه قال : من أنكح ابنته شارب خمر فقد ساقها للزنا .

والسادسة : أنها مفتاح كل شيء توقعه في جميع المعاصي كما روى عن عثمان - رضى الله عنه - أنه قال في خطبته : سمعت النبی يقول «أيها الناس اتقوا الخمر فإياها أم الخبائث» (٣٧٥) .

والسابعة : أنه يؤذى حفظته بإدخالهم في مجلس الفسق والفجور والروائح الكريهة .

والثامنة : أنه أوجب على نفسه الحد ثمانين جلدة فإن لم يُضربها في الدنيا ضرب في الآخرة على رءوس الأشهاد .

والتاسعة : أنه تسد دونه أبواب السماء ولا يرفع له عمل ولا دعاء أربعين يوماً .

٣٧٣ - سورة المائدة : الآية ٩١ .

٣٧٤ - حلية الأولياء (١٤٥/٤) .

٣٧٥ - أخرجه ابن حبان (٣٦٧/٧ - الإحسان) ، والبيهقي (٢٨٧/٨) وما بين المعكوفتين سقط اثبتناه .

والعاشرة : أنه خاطر بنفسه ودينه فيخاف عليه أن ينزع منه الإيمان عند الموت كما روى عن بعضهم أنه قال : رأيت إنساناً يجود بنفسه عند الموت وهو يقال له : قل لا إله إلا الله فكان يقول : اشرب واسقني .

وذكر عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنه قال : إذا مات العبد الخمر فادفنه واحبسوني ، واحفروا عليه فإن لم تجدوا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاضربوا عنقي (٣٧٦) .

فهذه عقوبته في الدنيا ، وأما عقوبته في الآخرة فإنها لا تحصى من شرب الحميم والزقوم وعصارة أهل النار إلى غير ذلك من العذاب والنكال أعاذنا الله منه .

[تارك الصلاة]

وأما ما أعد الله لتارك الصلاة على صحة البدن فمنه ما روى عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله -ﷺ- : «ليس بين الكافر والمؤمن إلا ترك الصلاة» (٣٧٧) .

فإن تارك الصلاة على صحة البدن [كما روى عن رسول الله ﷺ] (*) يتليه الله بخمسة عشر عقوبة منه ستة في الدنيا ، وثلاثة عند موته ، وثلاثة في قبره ، وثلاثة عند لقاء ربه .

فأما التي تصيبه في الدنيا [فأولها] : يرفع الله البركة من عمره .

[والثانية] : يرفع الله البركة من رزقه .

[والثالثة] : تزول سمحة الخير من وجهه .

[والرابعة] : كل عمل يعمل لا يقبل منه شيء .

٣٧٦- لم أقف عليه .

٣٧٧- حديث صحيح : أخرجه النسائي (٢٣٢/١) بمعناه ، وابن ماجه (١٠٨٠) ، والدارمي (٢٨٠٨) ، والدارقطني (٥٣/٢) وغيرهم .

(*) ما بين المعكوفين سقط أثبتناه .

[والخامسة] : كل دعائه لا يسمع منه شيء .

[والسادسة] : لا حظ له في الإسلام .

قيل : يارسول الله فما الثلاثة التي تصيبه عند الموت ؟ قال - ﷺ - :

[فالأولى] : يموت ذليلاً حيراناً .

[والثانية] : لا يدري على أى دين يموت .

[والثالثة] : ويموت عطشان جوعان ولو سقى أنهار الدنيا كلها ماروى .

قيل : يا رسول الله فما الثلاثة التي تصيبه في قبره ؟

قال : [الأولى] : ظلمة القبر .

[والثانية] : ضيقته .

[والثالثة] : مسألة منكر ونكير .

قيل : يارسول الله ، فما الثلاثة التي تصيبه عند لقاء ربه ؟ قال :

[الأولى] : يلقي الله تعالى وهو غضبان عليه .

[الثانية] : يبعث الله له ملكاً يكبه على وجهه في النار .

[الثالثة] : ويعذبه الله في النار بالوادي الذي يقال له ويل ، قال الله تعالى :

﴿ قَوْلٍ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٣٧٨) (٣٧٩) .

وقال - ﷺ - : « عشرة من أمتي سخط الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذاباً عظيماً ويأمر الله بهم يوم القيامة إلى النار ، قيل : من هم يارسول الله ؟ قال :

٣٧٨ - سورة الماعون : الآية ٤ : هـ .

٣٧٩ - أورده صاحب تنزيه الشريعة (١١٣/٢) من حديث أبي هريرة . وذكر عقبة : قال في الميزان : (حديث باطل ركبّه محمد بن علي بن العباس على أبي بكر بن زياد النيسابوري . وقال في اللسان : هو ظاهر البطلان من أحاديث الطُّرُقِيَّة) هـ . ا . هـ .

أولهم : الشيخ الزاني ، والثاني : الإمام الظالم ، والثالث : مدمن الخمر ، والرابع : مانع الزكاة ، والخامس : الشاهد الزور ، والسادس : الماشي بين الناس بالتميمة ، والسابع : الذي ينظر لوالديه نظرة الغضب ، والثامن : من يطلق زوجته ثم يمسكها على الحرام ، والتاسع : الذي يحكم بالخور ، والعاشر : تارك الصلاة على صحة البدن (٣٨٠) .

وسئل ابن عباس -رضي الله عنهما- عن تارك الصلاة على صحة البدن هل يقبل منه التوحيد أو لا ؟ قال : من لا صلاة له لا توحيد له ، ومن لا صلاة له لا زكاة له ، ومن لا صلاة له لا صيام له (٣٨١) ، قال الله تعالى : ﴿ أَصَاغُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ (٣٨٢) وغياً : واد في جهنم لا يدخله إلا تارك الصلاة .

وقال ابن عباس -رضي الله عنهما: أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن الصلاة فإن قبلت منه قبل سائر عمله ، وتارك الصلاة على صحة البدن إذا رفع اللقمة من القصعة تنادى : رفعني عدو الله إلى فم لا يذكر الله .

وتارك الصلاة على صحة البدن لا تجوز شهادته ولا يحل لمسلم أن يؤاكله ولا يزوجه ابنته ولا يدخل معه تحت سقف . وتارك الصلاة على صحة البدن يأتي يوم القيامة مكتوب على جبهته ثلاثة أسطر الأول : يامضيع حق الله ، والثاني : يامخصوصاً بعضب الله ، وفي الثالث : كما ضيعت حق الله فايس اليوم من رحمة الله .

٣٨٠- لم أقف عليه .

٣٨١- لم أقف عليه .

٣٨٢- سورة مريم : الآية ٥٩ .

وجاء في الخبر : أن النار تقول لتارك الصلاة : أنت لى ولى ياليت أن الله جمع بينى وبينك فانتقم للصلاة ، أنت عدو للصلاة والله عدو لك ، وتقول له الجنة : ياعدو الله ضيعت أمانة الله وتهانت بفريضة الله فأنى محرمة عليك حين يأتى عباد الله منى حيث يشاءون ، ما جرت أنهارى ، وتجاوبت أطياري ، وسطع نورى وتزين حورى فأنا وجميع ما فى من الحور والسرور والولدان والقصور حرام عليك أبد الأبدى .

كامل كتاب بحر الدموع والحمد لله وإليه الرجوع والصلاة والسلام على مولانا محمد ذى الجمد والمقام المرفوع وعلى آله وأصحابه أولى الإخلاص لله والخشوع أمين وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، وغفر الله لكاتبه ومشايخه وإخوانه ولجميع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين أمين .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٣	تقديم
٥	مقدمة التحقيق
١٥	ترجمة ابن الجوزى
٢٠	عملى فى الكتاب
٢٢ - ٢٣	مقدمة المصنف
٢٤	الحث على ذكر الله
٢٧	التحذير من العصيان
٢٨	حكاية لملك مع مذهب
٢٩	فروا إلى الله
٢٩	توبة عبد يخشى الله
٣٠	التائب حبيب الله
٣٠	فضل قيام الليل
٣١	سعة رحمة الله
٣٣ - ٤١	الفصل الأول
٣٣	انتبه يا أسير الدنيا
٣٣	يا من باع الباى بالفانى
٣٦	فضل البكاء من خشية الله
٣٧	خدعتك الدنيا وأنت لا تسمع ولا تبصر
٣٧	مجوسى تدركه رحمة الله فيسلم
٣٨	الترهيب من الغفلة

٤٥ - ٤٢

الفصل الثاني

- ٤٢ عاقبة المعاصي
٤٣ حكاية ذى النون مع عابد

٥٠ - ٤٦

الفصل الثالث

- ٤٦ احذر يا مقيما على الخطايا والعصيان
٤٦ أما تنتفع بالمواعظ
٤٧ ارفضوا الدنيا
٤٧ الثقة فى رزق الله
٤٨ احتضار الشافعى
٤٩ ابدروا بالتوبة
٤٩ إسلام معروف الكرخى وأسرتة

٥٥ - ٥١

الفصل الرابع

- ٥١ يا إخوان الغفلة تيقظوا
٥١ تواضع العابدين
٥٢ تحذير إلى الغافل
٥٣ شدة الحساب
٥٣ البسطامى عند موته
٥٤ احتضار جابر بن زيد
٥٥ سبب توبة داود الطائى

٥٨ - ٥٦

الفصل الخامس

- ٥٦ اقرعوا صحف العبر
٥٦ عاقبة حب الدنيا
٥٧ أو ان الاستغفار

٥٨	الدنيا دار تكليف وامتحان
٥٨	قطرات الدموع
٥٩ - ٦٢	الفصل السادس
٥٩	شمروا الأخراكم
٥٩	من المفلس ؟
٦٠	كرامة لابن أدهم
٦١	ألا تبكون ؟
٦٣ - ٦٧	الفصل السابع
٦٣	عاقبة النظرة
٦٥	حكاية عبد صالح
٦٨ - ٧١	الفصل الثامن
٦٨	آه من قلة الزاد وبعد الطريق
٦٨	ذم الغرور
٦٩	ملوك الموت
٧٠	حكاية عمران وأمه
٧٢ - ٧٥	الفصل التاسع
٧٢	سفر الدنيا والآخرة
٧٢	إياك والدنيا
٧٣	ابن المبارك في مكة
٧٦ - ٧٨	الفصل العاشر
٧٦	يا من يتزيا بزي العباد والزهاد
٧٦	تكرار الندم
٧٧	اطلب رفقة التائبين

٧٨	يا جامد العين
٧٨	قصة عابد
٧٩ - ٨٥		الفصل الحادى عشر
٧٩	الإسراع إلى الدنيا
٧٩	العمر أمانة
٨٠	حكاية امرأة متعبدة
٨٠	لازم باب مولاك
٨١	قصة عفة
٨٢	عمر بن عبد العزيز
٨٣	عيسى والحواريون
٨٤	أقسام الرجال
٨٥	مجاهدة المحيين
٨٦ - ٨٩		الفصل الرابع عشر
٨٦	يا من أقعده الحرمان
٨٦	أحوال الذاكرين
٨٧	أحباء الشيطان
٨٧	ابتلاء فقيه بغدادى
٩٠ - ٩٣		الفصل الخامس عشر
٩٠	بياض الشيب ينذر
٩٠	موعظة للحسن البصرى
٩١	قصة موعظة لمالك بن دينار
٩٤ - ٩٨		الفصل السادس عشر
٩٤	تزود فإن السفر طويل
٩٤	احذر دنياك

٩٥	حكاية ألى سللمان مع عابء
٩٦	تقلب الأيام
٩٧	لا تغتر بالدنيا
٩٧	فتنة الدين
٩٩-١٠٠	الفصل السابع عشر
٩٩	يا من يذنب ولا يتوب
٩٩	موعظة للحسن البصرى
١٠٠	زهد سلمان الفارسى
١٠١-١٠٥	الفصل الثامن عشر
١٠١	يا غافلاً عن مصيره
١٠١	إنذار الشيب
١٠٢	أنت حسيب نفسك
١٠٣	إياك أن تؤثر الدنيا
١٠٣	بيت النبوة
١٠٤	زهد ابن إسباط
١٠٤	متى تطلب الآخرة ؟
١٠٥	علامة المحبة
١٠٦-١٠٩	الفصل التاسع عشر
١٠٦	مهر الآخرة يسير
١٠٦	حكاية شاب عابء
١٠٧	دير المحبة
١٠٧	محبة الأنبياء والصالحين
١٠٨	حقيقة المحبة
١٠٨	ابتداء المحبة

١١٣-١١٠

الفصل العشرون

- ١١٠ يا أسير الغفلة
١١٠ كفران النعمة
١١١ وصية لحاتم الأصم
١١١ خوف عطاء
١١٢ حكاية الأصمعى وعابده
١١٢ حكاية شيبان المصاب

١١٧-١١٤

الفصل الحادى والعشرون

- ١١٤ حير أمة أخرجت للناس
١١٤ حسن الظن
١١٤ المراقبة والمعرفة
١١٥ عبادة الغضائرى
١١٦ أهل المحبة
١١٧ علامة الولى

١٢٢-١١٨

الفصل الثانى والعشرون

- ١١٨ الطهارة من الذنوب
١١٨ فضيلة الاعتذار
١١٩ أسرار الصلاة
١٢٠ بادروا إلى الصلح
١٢١ جدوا قبل الرحيل
١٢١ عابد فى مفازة

١٢٧-١٢٣

الفصل الثالث والعشرون

- ١٢٣ يا من سوف بالمتاب حتى شاب
١٢٣ حكاية بعض الشباب مع محمد بن واسع

الموضوع	الصفحة
حكاية حمدونة العابدة	١٢٤
عاقبة ترك الشهوة	١٢٥
الأنس بحب الله	١٢٥
كرامات ابن أدهم	١٢٦
الفصل الرابع والعشرون	١٢٨-١٣١
يا راحلاً بلا زاد والسفر بعيد	١٢٨
تواضع داود وخوفه	١٢٩
مقامات الرجال وكراماتهم	١٢٩
حكاية شيبان الراعى	١٢٩
كرامة لسفيان الثوري	١٣٠
المفلس من الطاعة	١٣٠
كرامة أبي ريحانة	١٣١
الفصل الخامس والعشرون	١٣٢-١٣٥
أفنت عمرك في اللعب	١٣٢
يا حذيفة كيف أصبحت	١٣٢
الهارب من الدنيا	١٣٣
من دلائل النبوة	١٣٥
الفصل السادس والعشرون	١٣٦-١٣٩
التائبون	١٣٦
يا معشر الفقراء	١٣٧
يا معشر الفتيان ...	١٣٧
يا مضيعة عمره في العصيان	١٣٧
فضل الصف الأول والتكبير الأولى	١٣٨
من دلائل النبوة	١٣٩

الصفحة	الموضوع
١٤٨-١٤١	الفصل السابع والعشرون
١٤١	من أكبر الكبائر : الزنا
١٤٦	غلبة الهوى
١٤٦	كرامة عابد متعفف
١٤٨	التحذير من النظر
١٥٣-١٤٩	الفصل الثامن والعشرون
١٤٩	فضيلة الصمت
١٥١	النهي عن تتبع عورات الناس
١٥٣	من مناقب أبي حنيفة
١٥٩-١٥٤	الفصل التاسع والعشرون
١٥٤	ذم الغيبة
١٥٥	ذم التهمة
١٥٦	وصية نفيسة لأعرابية
١٥٧	حكمة الأقدار
١٥٨	التحذير من عدم التوبة
١٥٨	أعظم الذنوب الغيبة
١٦٤-١٦٠	الفصل الثلاثون
١٦٠	التحذير من الغيبة بالقلب
١٦٢	وصية الرسول لمعاذ في الإخلاص
١٧٤-١٦٥	الفصل الحادى والثلاثون
١٦٥	التحذير من إيذاء المسلم لغيره
١٦٥	الترغيب في الصمت
١٦٨	إياك والعجب
١٧٠	لحن الأفعال ولحن المقال

الصفحة

١٧٢	فضل التواضع .
١٧٣	فضيلة العفو وكظم الغيظ
١٧٤	حامل القرآن
١٧٤	وصية نفيسة

١٧٥ - ١٩٠ الفصل الثاني والثلاثون

١٧٥	الترهيب من الربا
١٧٦	الترهيب من أكل الحرام
١٧٨	عاقبة الحرام
١٧٩	الورع
١٧٩	سبيل الطاعة أكل الحلال
١٨٠	الحرام يعمى البصيرة
١٨١	التحذير من أكل مال اليتيم ..
١٨١	الترهيب من الخيانة في الميزان ..
١٨٢	السرقه والخيانة
١٨٣	إياك والغش ..
١٨٤	التحذير من الحلف الكاذب
١٨٥	الترهيب من شرب الخمر ..
١٨٥	آثار شرب الخمر ..
١٨٧	تارك الصلاة ..
١٩١	فهرس الكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٩٢ / ١٥٩٠

I.S.B.N. 977-5211-25-5 الترقيم الدولي

مطالع الوفاء - المنصورة

شارع الإمام محمد عبده المواحه لكلية الآداب

ت . ٣٤٢٧٢١ - ص ب ٢٣٠٠

تلکس DWFA UN ٢٤٠٠٤